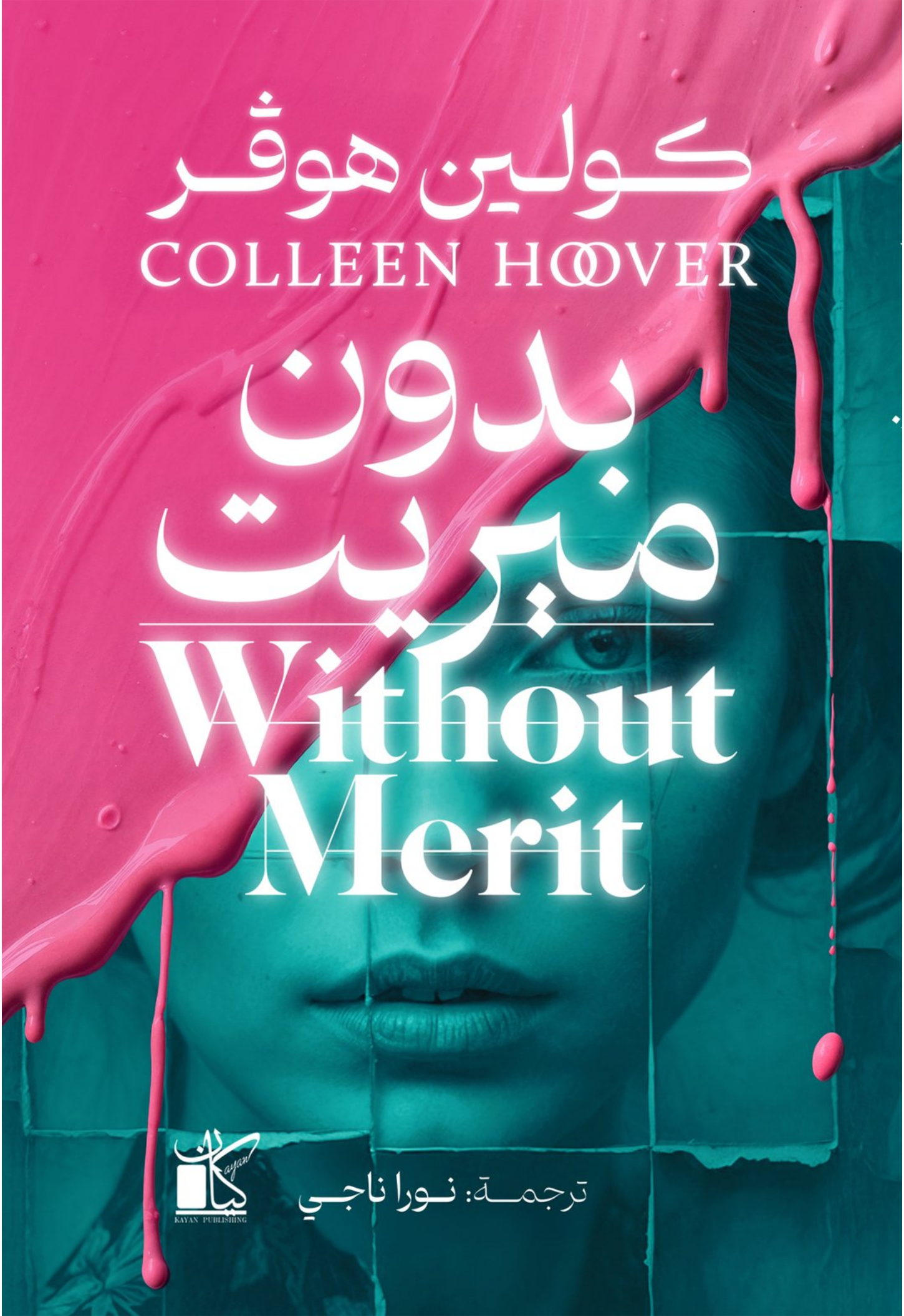

كولين هوفر

COLLEEN HOOVER

# بدون ميريت

# Without Merit



ترجمة: نورا ناجي

KAYAN PUBLISHING

# بدون میریت

هوفر، كولين
**بدون ميريت**: رواية/ كولين هوفر
ترجمة: نورا ناجي.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.
420 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-222-9
-ا القصص الامريكية .
أ- ناجي، نورا (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 25354 / 2023
الطبعة الأولى : يناير 2025.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

-

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2014 by Colleen Hoover

.Published in agreement with Simon & Schuster, Inc

.Arabic Language Translation copyright © 2025 published by Kayan Publishing

.All rights reserved

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.
©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رواية

# بدون ميريت

# كولين هوفر

ترجمة

نوار ناجي

هذا الكتاب مُهدًى لكيل هوفر. لأنني أَمك ولأنني أحبك، لدي في بعض الأحيان رغبة كبيرة في وضعك داخل فقاعةٍ شفافة وحمايتك من العالَم. لكن لدي أيضًا رغبة شديدة في وضع العالم داخل فقاعة وحمايته منك. لأنك ستقلِبه رأسًا على عقب يومًا ما. لا أستطيع الانتظار.

# الفصل الأول

أمتلك مجموعةً رائعة من الكئوس التي لم أفز بها.

اشتريتُ معظمها من متاجر التوفير أو أسواق الجراجات. اثنان منها حصلت عليهما من أبي بمناسبة عيد ميلادي السابع عشر. وسرقتُ واحدًا منها فقط.

ربما يكون كأسي المسروق هو الأقل تفضيلًا لديّ. أخذته من غرفة نوم درو والدروب مباشرة، بعد انفصاله عنِّي. تواعَدْنا لمدة شهرَين فقط، وكانت هذه هي المرة الأولى التي سمحتُ له فيها بوضع يدِه على صدري. كنتُ أفكر في مدى روعة شعوري، عندما نظر إليَّ وقال: «لا أعتقد أنني أُريد مواعدتك بعد الآن يا ميريت».

كنت هناك، أستمتع بيدِه على ثديي، بينما كان هو طوال الوقت يُفكر في أنه لا يرغب في وضع يدِه على ثديي مرةً أخرى. انزلقتُ برِزانة من تحتِه ووقفت. هندمت قميصي، وتوجهت إلى رفِّ كتبه وانتزعتُ أكبر جائزة حصل عليها. لم ينطق بكلمة. اعتقدتُ أنه إذا كان قد حظيَ بوضع يده على صدري، فيجب عليَّ أن أحصل على كأسٍ على الأقل.

كانت كأسُه لِكرة القدم في بطولة المنطقة هي في الواقع أول كأسٍ في مجموعتي. بعدها، اعتدتُ شراء الكئوس العشوائية من أسواق الجراجات أو متاجر التوفير في أي وقتٍ يحدث فيه شيءٌ غبي لي.

فشلت في اختبار القيادة الخاص بي؟ سأحظى بكأس المركز الأول في رمي الجلة.

لا يدعوني أحدٌ لحضور حفل الخريجين؟ سأحظى بكأسِ أفضل مُمثلة في مسرحيةٍ من فصلٍ واحد.

أبي يتقدَّم لخطبته لعشيقته؟ سأحظى بكأس أبطال فريق الدوري الصغير.

لقد مرَّ عامان منذ أن سرقتُ تلك الكأس الأولى. لديَّ اثنتا عشرة كأسًا الآن، على الرغم من حدوث أكثر من اثني عشر شيئًا سيئًا لي منذ انفصال درو والدروب عنِّي. لكن من الصعب جدًّا العثور على كئوس غير مرغوب فيها. وهذا هو سبب وجودي هنا في متجر تُحَف محلي، أتطلع للحصول على كأس المركز السابع بمسابقة ملكة الجمال الذي تمنيتُه منذ أن رأيته لأول

قبل ستة أشهر. يبلغ طوله حوالي قدم ونصف، وهو من مسابقة ملكة جمال دالاس عام 1972 المُسمَّاة Boots and Beauties.

تُعجبني هذه الكأس بسبب اسم المسابقة المُضحك، لكني أُحبها أكثر بسبب المرأة المطلية بالذهب على رأس الكأس. إنها ترتدي فستانًا منفوشًا، وتاجًا، وزوجًا من أحذية رُعاة البقر. ما يتعلق بهذه الكأس سخيف. خاصة ثمنها الذي يبلغ خمسة وثمانين دولارًا. لكنني كنت أدخر من أجلها منذ أن رأيتها لأول مرة، ولديَّ أخيرًا ما يكفي من المال لشرائها.

أمسكتُ بالكأس واستدرتُ للسير باتجاه الخزانة عندما لاحظتُ وجود فتًى في الطابق الثاني من متجر التحف. يتكئ على الدرابزين ويُحدق بي. يستريح ذقنه بشكلٍ عرضي على إحدى يدَيه كما لو كان في هذا الوضع لفترةٍ من الوقت. ابتسم بمجرد أن تواصلْنا بالعَين.

ابتسمتُ له، وهو أمر غير طبيعي بالنسبة لي. أنا لستُ من النوع الذي يتقبل المغازلة، وأنا بالتأكيد لستُ من النوع الذي يعرف كيفية الرد بالمِثل عندما يُغازلني شخصٌ ما. لكن ابتسامته جميلة، وهو حتى ليس في نفس طابقي، لذلك لم أشعر بالتهديد من أي إحراج مُحتمل.

«ماذا تفعلين؟» صاح بي..

لا إراديًّا، نظرتُ من فوق كتفي لأرى ما إذا كان يُوجِّه تعليقه إليَّ. ربما ينظر ويتحدث إلى شخص خلفي. لكن بخلاف الأم التي تتجول في متجر التُّحف مع طفلها الصغير، لم أرَ أي شخصٍ آخر في الجوار. والمرأة وطفلها كلاهما في الاتجاه المعاكس، لذلك لا بد أنه يُشير إلي.

نظرتُ إليه مرةً أخرى فرأيته ما زال ينظر إليَّ بنفس الابتسامة. قلت: «أشتري كأسًا!»

أعتقد أنني مُعجبة بابتسامته، لكنه يقف بعيدًا فلا أعرف ما إذا كنتُ سأنجذب إليه عن قُرب أم لا. ثقته جذَّابة في حدِّ ذاتها. لدَيه شعر داكن هائش وأشعث بعض الشيء لكنني لا أحكم عليه، أنا نفسي لا أعتقد أنني مشَّطت شعري منذ صباح الأمس. يرتدي قلنسوة رمادية ويَثني كُمَّيه فوق مِرفقيه. تغطي الأوشام الذراع التي يستريح عليها ذقنه، لكن لا يُمكنني التدقيق فيها من الأسفل. من هنا، يبدو صغيرًا جدًّا وموشومًا جدًّا على أن يكون متواجدًا في

متجر التحف في صباح يومٍ دراسي، ولكن مَن أنا لأحكم؟ أنا نفسي كان يجب أن أكون في المدرسة الآن.

استدرتُ متظاهرة بتفحُّص المعروضات، لكني أدركتُ أنه يُراقبني. حاولت أن أتجاهله، لكن بين الحين والآخر، كنتُ أُلقي نظرة عليه احتياطيًّا للتأكُّد من أنه لا يزال هناك.

ربما يعمل هنا وهذا سبب تواجُده، لكن هذا لا يفسر لماذا لا يتوقف عن التحديق في وجهي. إذا كانت هذه هي فكرته عن المغازلة، فهذه طريقة غريبة. لكن للأسف، أنا أنجذب إلى الأشياء الغريبة وغير التقليدية. لذلك طوال الوقت الذي تظاهرتُ فيه بالتسوُّق من المتجر، كنت أُجبر نفسي على أن أبدو غير متأثرة، في حين أنني في الواقع متأثرة بشدة. استطعتُ الشعور بنظرته مع كل خطوة أقوم بها. لا ينبغي أن يكون للتحديق وزن، لكن معرفة أن عينَيه مُصوَّبتان نحوي أثقلت خطواتي. حتى إنني شعرت بثِقل في معدتي.

ألقيتُ نظرة على كل شيء في المتجر بالفعل، لكنني لم أُرد شراء الكأس والمُغادرة فورًا، لأنني كنتُ مُستمتعة بهذه اللعبة كثيرًا.

أدرس بمدرسة عامة صغيرة جدًّا في بلدة صغيرة جدًّا. وعندما أقول صغيرة، فأنا لا أُبالغ. لا يُوجد سوى عشرين طفلًا في كل صف. ليس كل فصل، بل كل صف.

يتكوَّن صفِّي الكبير بأكملِه من اثنين وعشرين طالبًا. اثنتا عشرة فتاة وعشرة أولاد. ثمانية من هؤلاء الأولاد العشرة كانوا في الصف معي منذُ أن كنت في الخامسة من عمري. هذا يُضيق مجال المواعدة قليلًا. من الصعب أن تجد شخصًا جذابًا قضيتَ كل يومٍ تقريبًا من حياتك معه منذ أن كان عمرك خمس سنوات.

لكن ليس لديَّ أي فكرة عمن هو هذا الفتى الذي جعلني مَركز اهتمامه. مما يعني أنني مُنجذبة إليه بالفعل أكثر من أي شخصٍ في مدرستي بأكملِها، وذلك ببساطة لأنني لا أعرفه.

توقفتُ لحظات في مَمرٍّ يُمكّنني من رؤيته بوضوح حيث يقف، وتظاهرتُ بأنني مُهتمة بإحدى اليافطات المعروضة على الرف. إنها يافطة بيضاء قديمة مكتوب عليها كلمة «رمح» ورسم لسهمٍ يُشير إلى اليمين. أضحكتني كثيرًا. بجانبها يافطة قديمة تبدو وكأنها من محطة وقود. تقول «مزلق». ما جعلني أتساءل عما إذا كان شخص ما قد وضع العلامات التي تحمِل إيحاءاتٍ جنسية معًا أم أنها وضعت بعشوائية. لو كان لديَّ ما يكفي من المال، كنت

سأشتريها وأبدأ في جمع إشارات مُوحية جنسيًّا لغرفة نومي. لكن عادتي في الحصول على الكئوس باهظة الثمن لا تُبقي معي ما يكفي من مال.

وقف الطفل الصغير الذي يتجول في المتجر مع أمِّه على بُعد قدمَين مني. يبدو أنه يبلغ من العمر أربع أو خمس سنوات. في نفس عمر أخي الصغير موبي. أخبرَتْه والدته ما لا يقل عن عشر مرات ألا يلمس أي شيء، لكنه واصل التقاط خنزيرٍ زجاجي من على الرفِّ أمامنا. لماذا ينجذب الأطفال إلى الأشياء الهشة؟ كانت عيناه تلمعان وهو يتفقَّده. أعجبني أن فضوله أكثر أهميةً بالنسبة له من اتباع أوامر والدته. قال: «أمي، هل يُمكنني الحصول على هذا؟»

كانت أمُّه تقف أمام رفٍّ من المجلات القديمة. لم تستدر حتى للنظر إلى ما يحمِله. قالت بحسم: «لا».

انطفأت عينا الصبيِّ على الفور وعبس وهو يذهب ليضع الخنزير مرةً أخرى على الرف. لكن يدَيه الصغيرتَين ارتبكتا عندما حاول أن يضعه في مكانه لينزلق الخنزير من قبضته، مُتحطمًا عند قدمَيه.

صِحت فيه: «لا تتحرك»، كنت قد وصلتُ إليه قبل أن تفعل أمُّه. انحنيتُ لأبدأ في التقاط القطع الزجاجية. جذبته أمُّه لتُبعده بضعة أقدام عن الزجاج. وصاحت فيه: «قلت لك ألا تلمس أي شيءٍ يا نيت!»

ألقيتُ نظرةً على الطفل الصغير وهو يحدق في الزجاج المكسور وكأنه فقد للتو صديقه المُقرب. بينما ضغطت أمُّه بيدِها على جبهتها وكأنها مُنهكة ومُحبطة، ثم انحنت لتُساعدني في التقاط القطع.

قلت لها: «لم يفعل ذلك، أنا من كسره».

نظرت المرأة إلى طفلِها الصغير ونظر إليَّ الولد كما لو أنه لا يعرف ما إذا كان هذا اختبارًا أم لا. غمزتُ له قبل أن أستدير وأقول: «لم أره واقفًا هناك. اصطدمتُ به وأسقطته».

بدت مندهشة، وربما مُذنبة بعض الشيء لافتراضها أن ابنها فعل ذلك. قالت: «أوه». وواصلَت مُساعدتي في التقاط أكبر شظايا الزجاج. وفي نفس اللحظة، ظهر الرجل الذي كان واقفًا على الخزانة عندما دخلتُ المتجر من العدم مع مكنسة ومِجرفة.

قال: «سأتولى الأمر من هنا». لكنه أشار بعد ذلك إلى لافتة على الحائط تقول «تكسره، تشتريه».

أخذت المرأة يد ابنها الصغير وذهبت. لكن الصبيَّ لم ينسَ أن ينظر إليَّ من فوق كتفه ويبتسِم، ابتسامتُه أشعرتني أن الأمر استحقَّ كل هذا العناء. حولت انتباهي إلى الرجل مع المكنسة وسألته: «كم سعره؟»

ـ «تسعة وأربعون دولارًا. لكني سأحسبه لك بثلاثين فقط».

تنهَّدت. لا أعتقد أن ابتسامة الصبي الصغير تساوي ثلاثين دولارًا. أرجعت كأس مسابقة الجمال التي تمنَّيتُها إلى مكانها والتقطتُ كأسًا أرخص بكثير وأقل جاذبية من الرف. أخذته إلى الخزانة ودفعت ثمن الخنزير المُحطم وثمن كأس البولينج الأول لي. عندما سلمني الرجل الكيس وبقية المال، اتجهتُ نحو الباب. وبينما أفتحه، تذكرت الفتى الذي كان يُراقبني من الطابق الثاني. ألقيت نظرة سريعة قبل أن أخرج من الباب لكنه لم يعُد هناك. بطريقةٍ ما أشعرني اختفاؤه بأنني أثقل.

خرجت من المتجر وعبرتُ الشارع متوجهة إلى إحدى الطاولات بالقرب من النافورة. عشتُ في مقاطعة هوبكنز طوال حياتي، لكنني نادرًا ما تجولت في الميدان. لا أعرف لماذا، ربما لأن حبي للميدان لم يتوطَّد إلا عندما وضعوا إشارات المُشاة الغريبة. تعرِضُ اللافتات صورةً لرجل يعبر الشارع، لكن ساقَيه مرفوعتان عاليًا في الهواء وتتحركان بشكلٍ مُبالغ فيه لدرجة أشبَهَ بالرجال السائرين في مسيرةٍ سخيفة في عرض مونتي بايثون.

يوجد أيضًا حمَّامان أنشأتهما المدينة قبل بضع سنوات. إنهما هيكلان زجاجيان يبدوان مثل مُكعبَين طويلَين من المرايا من الخارج، ولكن عندما تكون داخل الحمامات يُمكنك رؤية ما بالخارج دون أن يراك أحد. إنه لأمر مزعج أن يجلس الشخص على المِرحاض ويشاهد السيارات وهي تمرُّ بجواره. لكنني أنجذب إلى الأشياء غير العادية، لذا فأنا واحدة من القلائل الذين يُحبون استخدام تلك الحمامات الغريبة.

ـ «لمن الكأس؟»

بالحديث عن الانجذاب إلى أشياء غير عادية.

كان الفتى من متجر التُّحف يقف بجانبي الآن، ويُمكنني أن أقول بكل تأكيد إنه جذَّاب جدًّا. عيناه فريدتان باللون الأزرق الفاتح، لذا فهي أول شيءٍ يبرز في وجهه. تبدو وكأنها غير مُتناسِقة مع بشرته الزيتونية وشعره الداكن. حدقتُ في شعره لحظة. لست متأكدةً من أنني رأيتُ شعرًا بهذا اللون الأسود على شخصٍ بعينَين زرقاوين من قبل. مزيج مُزعج بعض الشيء. على الأقل بالنسبة لي.

كان لا يزال مُبتسمًا لي كما فعل وهو يستند على الدرابزين في متجر التحف. ما جعلني أتساءل عما إذا كان يبتسم طوال الوقت. لا أتمنَّى ذلك. أُحب فكرة أنه ربما يبتسِم لي لأنه لا يستطيع مقاومتي. نظر نحو الكيس في يدي لأتذكر فجأة أنه سألني سؤالًا عن الكأس.

ـ «أوه. إنها لي.»

أمال رأسه باستمتاع أو باستغراب. لا أعرف، لكني لم أُبالِ. قال: «هل تجمعين كئوسًا لم تفوزي بها؟»

أومأت برأسي فضحك، لكنها ضحكة صامتة. كأنه يُريد أن يحتفظ بها لنفسه. وضع يدَيه في جيبَيه الخلفيَّين. وقال: «لماذا لستِ في المدرسة؟»

لم أكن أدرك أن كوني ما زلت في المدرسة الثانوية واضحًا بهذا الشكل. وضعتُ كيسي على المنضدة المجاورة لنا وخلعت صندلي.

ـ «الطقس جيد اليوم. لم أُرد أن أقضيه وأنا سجينة فصل دراسي.»

مشيتُ إلى النافورة الخرسانية التي في الحقيقة ليست نافورة على الإطلاق. إنها جزء من الخرسانة، مسطح على الأرض على شكل نجمة. يخرج الماء من الثقوب حول النجم ويندفع باتجاه المركز. ضغطتُ بقدميَّ على إحدى الثقوب وانتظرت وصول الماء إليَّ.

إنه الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر، لذا يكون الجو باردًا جدًّا بالنسبة للأطفال للعب في الماء كما هو الحال عادةً في الصيف. لكنه ليس باردًا جدًّا لأُبلل قدميَّ قليلًا. يُعجبني عندما يضرب الماء باطن قدمي. وبما أنني لا أستطيع تحمُّل تكلفة العناية بقدميَّ في مركز تجميل، فهذا ثاني أفضل شيءٍ يفي بالغرض.

راقبَني الفتى للحظة ولكن بصراحة، كنتُ قد اعتدت ذلك. وكأنه تحول إلى ظلٍّ لي، أكثر جاذبية قليلًا. لم أنظر إليه مباشرة وهو يخلع حذاءَيه. ويقف بجانبي ويضغط بإحدى قدمَيه

على الثقوب.

ألقيت نظرة على ذراعه لأتفحص وشومه. كنتُ على حق، إنها على ذراعه اليسرى فقط. ذراعه اليُمنى ليس بها وشم واحد مَرئي. لكن الوشوم على ذراعه اليسرى ليست كما توقعت. كانت عشوائية وغير مرتبطة ببعضها. إحداها عبارة عن محمصة صغيرة تخرج منها شريحة خبز موشومة على مِعصمه. ورأيت أيضًا دبوس أمان بالقُرب من كوعه. وجملة: «دورك يا دكتور»، مُمتدة على ساعده. رفعت عينيَّ إلى أعلى ذراعه بينما كان هو لا يزال ينظر إلى قدمَيه. كنت على وشك أن أسأله عن اسمه عندما ضرب الماء قدمي بشكلٍ غير مُتوقع. ضحكت وتراجعت للخلف، لأُشاهد اندفاع الماء نحو المركز.

ضرب الماء قدمَه بعد ذلك لكنه لم يتفاعل معه. حدَّق فقط في قدمَيه حتى توقف الماء وتحرك إلى الثقب المجاور له. رفع عينَيه ولكن عندما نظر إليَّ هذه المرة، لم يبتسم. بدا شيء من الجدية في تعابيره ما جعل كل شيء يضيق بداخل صدري. عندما فتح فمه للتحدُّث، انتبهتُ لكل كلمة.

ـ «من بين كل الأماكن التي يمكن أن نكون فيها، نحن هنا. في نفس الوقت.»

بدا من صوته أنه مُستمتع بذلك، لكن تعابيره كانت مُحيرة. هز رأسه واقترب مني. ثم مد ذراعه الموشوم لأعلى ليرفع خصلة شاردة من شعري.

إنها إيماءة حميمة وغير مُتوقعة، مثل هذه اللحظة بأكملها، لكني لم أعترض. بل وددتُ أن يفعلها مرة أخرى، لكن ذراعه تراجعت إلى جانبه.

لا أستطيع تذكُّر إنْ كان أحدٌ قد نظر لي من قبل كما ينظر هذا الرجل لي الآن، نظرة انبهارٍ غريبة. أعلم أننا لم يرَ أحدُنا الآخر من قبل، ومهما كان هذا الانجذاب الغريب بيننا، فمن المُحتمَل أن يتلاشى في اللحظة التي نُجري فيها محادثتنا الحقيقية الأولى. من المُحتمل أن يتضح أنه شخص أحمق، أو العكس، قد يراني غريبة الأطوار. ومن ثَم سيصبح الأمر مُحرجًا وسيذهب كل منَّا في طريقه. هذا ما يحدث عادة في تفاعلاتي مع الرجال. لكن الآن في هذه اللحظة، مع عدم معرفة أي شيءٍ عنه بخلاف هذا الانجذاب بيننا، فمسموح لي أن أتخيَّل أنه مثالي. أن أتظاهر بأنه ذكي ومحترم ومُضحك وفنان. لأنه سيكون كلَّ هذه الأشياء إذا كان الرجل المثالي. أنا راضية عن تخيُّل أنه يمتلك هذه الصفات ما دامَ واقفًا هنا أمامي.

اقترب منِّي خطوةً، فشعرت فجأة وكأنني ابتلعتُ قلبَه بسبب كل هذه الدقات الإضافية التي بدأت في التصاعُد داخل صدري. ثبَّت عينَيه على فمي فتأكدتُ أنه على وشك تقبيلي. تمنيتُ أن يفعل. وهذا أمر غريب لأننا لم نتبادل سوى جملتَين، ولكني أردتُه أن يُقبلني بينما أتخيَّله مثاليًّا، لأن هذا يعني أن قُبلته ستكون مثالية أيضًا.

أحاط مِعصميَّ بأصابعه، لكن بدا الأمر وكأن قبضتَيه مشدودتان بإحكامٍ حول رئتيَّ. أثارت أصابعُه القشعريرة في ذراعيَّ وهو يُمرِّر يدَيه عليهما حتى استقرت يدُه خلف رقبتي.

لا أعرف كيف استطعتُ البقاء واقفةً بثبات على قدميَّ. مال رأسي للخلف بينما بقِيَ فمه على بُعد بوصات من رأسي، وكأنه مُتردِّد في أخذ الخطوة. ابتسمَ وهمس: «تدفنينني».

لم أملِك أي فكرة عما تَعنيه هذه الكلمة، لكني أحببتُها. كما أحببتُ الطريقة التي اتصلَتْ بها شفتاه بلُطف مع شفتيَّ مباشرةً بعد أن قالها. وكنتُ على حق. كانت قبلة مثالية. مثالية جدًّا، مثل قبلات الأفلام الكلاسيكية عندما يضغط البطل بيدِه على ظهر المرأة فتحني جسدَها للخلف ليُشكِّل جسداهما شكلَ حرفِ الـ C وهما يضمَّان بعضهما أكثر. الأمر كذلك تمامًا.

شدَّني إليه بينما ينزلق لسانُه على شفتي. ومثل ما في الأفلام، تدلَّى ذراعاي إلى جانبيَّ حتى انتبهتُ لمدى رغبتي في أن أكون معه في هذا الأمر، بدأتُ أخيرًا في مبادلته القُبَل. مَذاقُه مثل الآيس كريم بالنعناع، وهذا مثالي، لأن هذه النكهة تحتلُّ مرتبةً عالية على مقياس مُفضَّلاتي من الحلوى. هذا كوميدي، هذا غريب، كان يُقبلني كما لو كان هذا هو آخِر شيءٍ متبقٍ على قائمة أُمنياته. ما جعلني أتساءل عن سبب قيامه بذلك.

تحركَت كلتا يدَيه لتثبيت وجهي، كما لو كنَّا نملِك كل الوقت في العالَم. إنه ليس في عجلةٍ من أمره ولن يكتفي بقبلةٍ واحدة. وهو بالتأكيد لا يهتم بمن يرانا، كوننا واقفَين في وسط ساحة البلدة، يُحدق فينا بالفعل شخصان واقفان على مقربةٍ منَّا.

التفَّ ذراعي حول رقبتِه وقررتُ أنني سأسمح له بالاستمرار بقدْر ما يريد لأنه ليس لديَّ أي مكانٍ آخر للذهاب إليه. حتى لو كنتُ مشغولة، فسأُلغي كلَّ خططي مقابل ذلك.

بينما تتخلَّل إحدى يدَيه شعري، تناثر الماء تحت قدمي. فصرختُ من المفاجأة، ضحك، لكنه لم يتوقَّف عن تقبيلي. كنَّا غارقان في الماء لأن قدمي لم تُغطِّ الفوهة بالكامل، لكننا لم

نهتم. بل زاد ذلك قُبلتنا حميمية.

رن هاتفه، فأضاف ذلك المزيد من السخافة إلى هذه اللحظة لأنه بالطبع سيتم مُقاطعتنا الآن. بالطبع. لقد كانت لحظةً مثالية للغاية.

تراجع للخلف ونظر إليَّ نظرةً مُشبعة وجائعة في نفس الوقت. أخرج هاتفه من جيبه ونظر إليه، ثم نظر إليَّ وقال: «هل فقدتِ هاتفك أم أن هذه مزحة؟»

هززتُ كتفيَّ لأنني لا أعرف أي جزءٍ من هذا يعتقد أنه قد يكون مزحة. السماح له بتقبيلي؟ أم أن ثمَّة شخص يُهاتفه في منتصف القبلة المذكورة؟ ضحك قليلًا وهو يضغط الهاتف على أُذنه ويقول: «مرحبًا!»

اختفتِ الابتسامة من وجهه وارتبك وهو يسأل: «من معي؟» انتظرَ بضع ثوانٍ ثم سحب الهاتف بعيدًا عن أُذنه ونظر إليه. ثم نظر إليَّ قائلًا: «حقًّا. هل هذه مزحة؟»

لا أعرف إذا كان يتحدث معي أو مع الشخص الموجود على الهاتف، لذلك هززتُ كتفيَّ مرة أخرى. وضع الهاتف على أُذنه وابتعد عني بخطوة: «من هذا؟» كرَّر. ثم ضحك بعصبيةٍ وأمسك الجزء الخلفي من رقبتِه قائلًا: «لكن... أنت تقِفين أمامي الآن.»

شعرت بالدم يُغادر وجهي عند تلك الجملة. كل الدماء في جسدي – في هذه اللحظة السخيفة مع هذا الرجل العشوائي – تجمَّعت عند قدمي، مما جعلني أشعر وكأنني نسخة كربونية من الدرجة الثانية لأونور فوس. أختي التوءم. الفتاة التي من الواضح أنها على الطرف الآخر من تلك المكالمة الهاتفية.

غطيتُ وجهي بيدي واستدرتُ، مُمسكةً بحذائي وحقيبتي. تمنيتُ أن أتمكن من الابتعاد لأكبر مسافةٍ مُمكنة قبل أن يكتشف أن الفتاة التي قبَّلها للتو ليست أونور.

لا أستطيع أن أُصدِّق أن هذا يحدُث. لقد قبلتُ للتوِّ صديق أختي.

من الواضح أنني لم أفعل ذلك عن قصد. كان لديّ شعور بأنها بدأت للتوِّ في مواعدة شخصٍ ما لأنها تغيب كثيرًا عن البيت، ولكن من بين جميع الرجال في العالم، كيف كان من المُفترض أن أعرف أنه بالتحديد هو هذا الفتى؟ واصلتُ الاندفاع بعيدًا ولكني لم أتمكن من الابتعاد بما يكفي قبل أن أسمعه يركض ورائي مُناديًا: «يا...!»

لهذا السبب كان يُراقبني في المتجر. اعتقدَ أنني هي. ولهذا السبب سألني عن سبب غيابي عن المدرسة، لأنه إذا كان يعرف أونور جيدًا بما يكفي لتقبيلها، فهو يعلم أن أونور لا تتغيَّب عن المدرسة أبدًا.

كل الأمور تتَّضح الآن. لم يكن هذا اتصالًا عشوائيًّا بين شخصَين غريبَين. لقد اعتقد أني صديقتُه وكنتُ حمقاء تمامًا لأنني لم أُدرك على الفور ما يحدث.

شعرت أن يدَه تُمسك بمرفقي. ليس لدي خيار سوى أن أستدير وأواجهه لأنني أريد أن أوضِّح أن أونور لا يمكن أن تعرف بما حدث. عندما التقت أعيُننا، لم يعُد ينظر إليَّ بانبهار. حدَّق في هاتفه، ثم فيَّ، ثم هاتفه، ثم قال: «أنا آسِف جدًّا... اعتقدت أنك...».

قلتُ بغضب: «اعتقادُك خاطئ.» على الرغم من أنه كان خطأً غير مقصود.

أنا وأونور مُتطابقتان، لكن إذا كان يعرف أُختي التوءم جيدًا، فكان عليه أن يعرف أنها لا يمكن أن تظهر علنًا كما أظهر الآن. أنا لا أضع مساحيق التجميل، وشعري فوضوي، وملابسي غير مهندمة.

أعاد هاتفه إلى جيبِه لكنه بدأ بالرنين مرة أخرى. عندما سحبَه، استطعتُ رؤية اسم أونور يومِض عبر الشاشة. أمسكتُ بهاتفه ومررتُ إصبعي عبر الشاشة، قلت: «مرحبا.»

ضحكت أونور قائلة: «ميرين؟ ماذا يحدث هنا؟ لماذا أنت مع ساجان؟

ساجان؟ حتى اسمه مثالي.

«أنا لست. أنا فقط.. قابلتُه بالصدفة. اعتقدني أنت ولكن بعد ذلك اتصلتِ و... دَعِينا نقول فقط إنه ارتبك قليلًا.» قلتُ كلَّ هذا وأنا أُحدق مباشرة في ساجان. لكنه أبقى عينَيه على عينيَّ ولم يُحاول حتى أن يأخذ الهاتف مني.

ضحكت أونور مرةً أخرى: «هذا مُضحك. ليتني رأيتُ وجهه.»

قلت: «لا يُقدَّر بثمن، لكن كان عليك أن تُحذري صديقك من أن لديك توءما مُتطابقًا.» أعدتُ الهاتف إلى ساجان وتراجعتُ بضع خطواتٍ بينما يُمسك هو الهاتف في يده، غير قادرٍ على رفع عينَيه عني. همست قائلة: «لا تُخبر أونور بما حدث، لا تُخبر أي أحد. أبدًا.»

أومأ برأسه، وإنْ كان مُترددًا. بمجرد أن تأكدتُ من أنه لن يُخبر أونور، استدرتُ وابتعدت. لا شيء يُمكن أن يصل إلى هذا المستوى من الإحراج. لا شيء.

# الفصل الثاني

يالي من مُغفلة!

لكن يا إلهي، كان الأمر جميلًا جدًّا وغير مُتوقع. فاجأتني حميميتُه، في اللحظة التي قبَّلني فيها، ذُبت. كان طعمه مثل النعناع وكان دافئًا جدًّا، تناثر الماء علينا وكأنه حِملٌ حسِّي ضخم لدرجة أنني أردتُ أن أهلك بجرعاتٍ زائدة منه. أردتُ كل شيء. أردتُ أن أشعر بكلِّ شيء. تلك القُبلة غير المُتوقعة جعلتني أشعر أنني على قيد الحياة لأول مرة... في الواقع، لستُ متأكدة من أنني شعرتُ بهذه الطريقة من قبل.

وهذا هو بالضبط السبب وراء عدم إدراكي لحقيقة أنه يُقبل أونور. في حين أن تلك القُبلة العشوائية كانت تعني الكثير بالنسبة لي، إلا أنها لم تكن جديدةً بالنسبة له. من المُحتمَل أنه يُقبل أونور بهذه الطريقة طوال الوقت.

وهو أمر مُحير، لأنه بدا.. أقصد.. ليس من نوعية الرجال الذين تُعجَب بهم أونور، عادة.

بالحديث عن أونور...

أشعلتُ الضوء الوامض وأمسكتُ بهاتفي عند الرنة الثانية. من الغريب أنها تتَّصِل بي. نحن لا تتَّصِل إحدانا بالأُخرى أبدًا. توقفتُ وأجبتُها بصوتٍ كسول: «مرحبًا».

ـ «هل ما زلتِ مع ساجان؟»

أغمضتُ عينيَّ وزفرتُ زفرةً قصيرة. ليس لدي الكثير من الهواء داخل رئتيَّ بعد تلك القبلة. أجبتُها: «لا.»

تنهَّدَت قائلة: «غريب. إنه لا يردُّ على هاتفه الآن. سأُحاول الاتصال به مرةً أخرى.»

ـ «حسنًا.»

كنتُ على وشك إنهاء المكالمة عندما صاحت: «مرحبًا. لماذا لستِ في المدرسة؟»

تنفَّستُ الصعداء وأجبتُها: «شعرتُ ببعض التوعُّك لذلك غادرت.»

ـ «أوه. حسنًا. أراك الليلة.»

ـ «أونور، انتظري.. ما هو.. أقصد.. هل هناك خطأ ما في ساجان؟

ـ «ماذا تقصدين؟»

ـ «أنت تعرفين. هل أنتِ معه لأنه... هل هو يحتضر؟»

صمتت للحظة. ولكن بعد ذلك استطعتُ سماع الانزعاج في صوتها وهي تقول: «يا يسوع، يا ميريت. بالطبع لا. يُمكنك أن تكوني عاهرةً حقيقية في بعض الأحيان.»

أغلقتُ الهاتف فنظرتُ إلى شاشته لحظة. لم أُرِد إهانتها. أشعر بفضولٍ حقيقيٍّ لسببِ مُواعدتها له. لم تحظَ بصديقٍ واحدٍ طبيعي منذ أن بدأت بمواعدة كيرك في الثالثة عشرة من عمرها. إنها لا تزال تشعر بالحزن بسبب ما فعلَتْه بها تلك العلاقة، تشعر وكأنها تختنق داخل شرنقة من الندوب.

كان كيرك فتى مزرعة لطيفًا. يقود جرّارًا، ويحزم القش، ويعرف كيف يُصلح قاطعًا كهربائيًّا. ذات مرة، أصلح ناقل الحركة في سيارة لم يتمكن أبي حتى من إصلاحها بنفسه.

قبل حوالي شهرٍ من بلوغِنا الخامسة عشرة وبعد أسبوعَين من فقدان أونور عُذريتها مع كيرك، وجدَه والده مُلقًى على الأرض في منتصف مزرعتهم، شبهَ واعٍ وينزف. سقط كيرك من الجرَّار الذي دهسه مما أدَّى إلى إصابة ذراعه اليُمنى. على الرغم من أن الإصابة لم تكن مُهدِّدة للحياة، لكنه وأثناء تلقي العلاج من الإصابة، سعى الطبيب الواسع المعرفة للحصول على إجاباتٍ حول سبب سقوط كيرك من الجرار أصلًا. ليتبيَّن له أن كيرك عانى من نوبة صرع نتيجة ورم ينمو في دماغه.

قال الطبيب: «ربما يُعاني منه منذ الطفولة.»

عاش كيرك ثلاثة أشهر أخرى. طيلة الأشهُر الثلاثة التي عاشها، نادرًا ما تركَت أُختي جانبه. كانت أونور أول وآخِر فتاة أحبَّها، وآخِر شخصٍ رآه كيرك قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أُصيبت أونور بصدمةٍ نتيجة وفاة حُبها الأول بسبب ورم كان ينمو في دماغه، ربما منذ الطفولة. لم تعُد قادرة على حُب أي فتًى بصحَّةٍ جيدة وعُمر مديد. تقضي معظم أيامها ولياليها في غرَف الدردشة عبر الإنترنت للمَرضى الميئوس من شفائهم، وتقع في حُب الأولاد الذين لم يتبقَّ أمامهم سوى ستة أشهر أو أقل في الحياة. على الرغم من أن مدينتنا صغيرة جدًّا بحيث لا تُوفِّر لأونور عددًا كبيرًا من الخاطبين المرضى، إلا أن دالاس تبعُد أقل من ساعتَين بالسيارة. مع عددٍ أكبر من المستشفيات المُخصصة للأمراض المزمنة، كان هناك صبيَّان على

الأقل يعيشان على مسافة قصيرة بالسيارة من أونور. خلال أسابيعهما القليلة الأخيرة، ظلَّت أونور إلى جوارهما، مُصمِّمة على أن تكون آخِر شخصٍ يرَيانه وآخِر فتاة يُحبَّانها قبل أن يَزفرا أنفاسهما الأخيرة.

بسبب هوَسِها بأن تكون محبوبةً إلى الأبد من قِبَل المرضى الميئوس من شفائهم، شعرتُ بالفضول حول علاقتها بساجان. استنادًا إلى تاريخ علاقاتها، أعتقد أنه من الطبيعي أن أفترِض بأنه مُصاب بمرض عُضال، ولكن من الواضح أن هذا الافتراض جعلني عاهرةً في نظرها.

دخلت إلى ممرِّ سيارتي، مرتاحةً لأنني الوحيدة هنا. بغض النظر عن المُقيمة الدائمة في الطابق السُّفلي. أمسكتُ بحقيبتي التي بها الكأس. لو كنتُ أعلم في متجر التحف أنني على وشك تجربة الحدث الأكثر إذلالًا طوال سِنِي عُمري السبع عشرة، لكنتُ اشتريتُ كل كأس لديهم. كنتُ سأضطر إلى استخدام بطاقة والدي الائتمانية الطارئة، لكن الأمر كان سيستحقُّ العناء.

ألقيتُ نظرة على اللافتة المعلقة بينما أشق طريقي عبر الفناء. لم يمر يوم منذ أن انتقلنا للعيش دون أن يُحدِّث أخي، يوتاه، لافتتَه بنفس السرعة والدقة التي يُعطيها لكل جانبٍ آخر من جوانب حياته.

يستيقظ في حوالي الساعة 6:20 صباحًا كل يوم، ويستحم في الساعة 6:30 صباحًا، ويصنع كوبَين من العصير الأخضر، واحدًا له وواحدًا لأونور في الساعة 6:55 كل صباح. (إذا لم تكن قد صنعته هي أولًا.) بحلول الساعة 7:10 يرتدي ملابسه ويتوجّه إلى لافتة الفناء لتحديث الرسالة اليومية. في حوالي الساعة 7:30 صباحًا كل يوم، يُلقي كلمة حماسية مُزعجة على أخينا الصغير ثم يغادر إلى المدرسة، أو، إذا كانت عطلة نهاية الأسبوع، يتوجّه إلى صالة الألعاب الرياضية للتمرين حيث يمشي لمدة خمسٍ وأربعين دقيقة على مستوى خمسة على جهاز المشي، تلِيها مائة تمرين ضغط ومِئتا تمرين ظهر.

يوتاه شخص غير عفوي. وعلى الرغم من العبارة الشائعة حول ولاية يوتاه، التي يُتوقَّع فيها ما هو غير مُتوقع، فيوتاه أخي لا يتوقع إلا المُتوقَّع، إنه لا يُحب ما هو غير مُتوقع.

لم يُعجبه عندما انفصل والدانا منذ عدة سنوات. لم يُعجبه عندما تزوَّج أبونا مرة أخرى. ولم يُعجبه بشكلٍ خاصٍّ عندما قيل لنا إن زوجة أبينا الجديدة حامل.

لكنه في الواقع، يُحب أخانا غير الشقيق الذي جاء نتيجة الحمل المذكور. من الصعب ألا يُعجبك موبي فوس. ليس بسبب شخصيته في حدِّ ذاتها، ولكن لأنه في الرابعة من عمره. الأطفال البالِغون من العمر أربع سنوات مَحبوبون دومًا.

واليوم تقول الرسالة على اللافتة: «لا يُمكنك التذمُّر أثناء إغلاق أنفك».

إنها حقيقة. جربتُها عندما قرأتها هذا الصباح، بل وحاولتُ مرة أخرى وأنا أسير نحو الأبواب الأمامية لمنزلنا المصنوعة من خشب الأرز.

أستطيع أن أقول على وجه اليقين أننا نعيش في المنزل الأكثر غرابةً في هذه المدينة بأكملِها. أقول المنزل لأنه بالتأكيد ليس بيتًا. وداخل هذا المنزل سبعة من أشدِّ شاغلِيه غرابة. لن يستطيع أحد أن يُحدد من خارج منزلنا أن عائلتنا المكوّنة من سبعة أفراد تضمُّ مُلحدًا، وخرَّابة بيوت، وزوجة سابقة تُعاني من حالة حادَّة من رُهاب الخلاء، وفتاة مُراهقة يقترب هوسها الغريب من مُجامعة الميتِين.

ولن يتمكن أحدٌ من تحديد أيٍّ من ذلك داخل منزلنا أيضًا. نحن جيدون في حفظ الأسرار في هذه العائلة.

يقع منزلنا قُبالة طريق مقاطعة نفطية في بلدة مجهرية شمال شرق تكساس. كان المبنى الذي نعيش فيه ذات يومٍ الكنيسةَ الأبرز في مدينتنا الصغيرة، ولكنه أصبح منزلنا منذ أن اشترى أبي، بارنابي فوس، الكنيسة الوليدة وأغلق أبوابها أمام الرُّعاة إلى أجلٍ غير مُسمَّى. وهو ما يُفسر سبب وجود لافتة عرض كبيرة في الفناء الأمامي لمنزلنا.

والِدي مُلحد، رغم أن هذا ليس السبب في اختياره شراء دار العبادة المحرومة وانتزاعها من أيدي الناس. لا، لم يكن لله رأيٌ في هذا الأمر.

لقد اشترى الكنيسة وأغلق الأبواب لأنه ببساطة، وبشدَّة، وبلا أدنى شك، كان يكره كلب القس برايان، ومن ثم القس برايان.

كان وولفجانج كلبًا أسود ضخمًا ومُثيرًا للإعجاب من حيث الحجم والشكل، لكنه يفتقر إلى قدْر كبير من الفطرة السليمة. إذا تمَّ تصنيف الكلاب إلى مجموعاتٍ في المدرسة

الثانوية، فمن المؤكَّد أن وولفجانج سيكون رئيسًا للاعبي الأسطوانات. كان كلبًا صاخبًا وبغيضًا يقضي ما لا يقلُّ عن سبعٍ من ساعات النوم الثماني الثمينة التي كان والدي يحتاجها كل ليلةٍ وهو يَنبحُ بلا انقطاع.

منذ سنوات مضت، كان لدَينا امتياز مؤسِف لكوننا جيران وولفجانج عندما كنَّا نعيش في المنزل الواقع خلف الكنيسة. كانت نافذة غرفة نوم والدي تُطل على الجزء الخلفي من الكنيسة، والذي كان أيضًا مكانًا لِلَهو وولفجانج، حيث يلعب بشكلٍ مُنتظم، غالبًا خلال الساعات التي يُفضِّل أبي أن ينام فيها. لكن وولفجانج لا يُحب أن يُقال له ما يَجِب عليه فعلُه أو متى ينام. في الواقع، اعتاد فعل عكس ما يُريده أي شخصٍ آخر.

اشترى القس برايان وولفجانج عندما كان مُجرد جرو، وبعد أسبوع من اقتحام مجموعة من المراهقين المحليين كنيستَه ليسرقوا عُشور الأسبوع. شعر القس برايان أن وجود كلبٍ في المبنى من شأنه أن يردع عمليات السطو في المستقبل. ومع ذلك، لم يعرف القس برايان سوى القليل جدًّا عن تدريب الكلاب، ناهيك عن كلبٍ يتمتَّع بذكاء لاعب كرة قدَم في المدرسة الثانوية. لذلك، خلال السنة الأولى من وجود وولفجانج، كان تفاعُل الكلب مع البشر قليلًا جدًّا بعيدًا عن سيده. نظرًا لأن وولفجانج ميئوس منه عندما يتعلق الأمر بالفكر والتفاعُل، فقد تمَّ وضع كل طاقته وفضوله اللامَحدودَين فقط على الضحية المُطمئنَّة، وربما غير المُستحِقَّة، التي احتلت العقار خلف الكنيسة. أبي، بارنابي فوس.

لم يكن أبي من مُحبي وولفجانج منذ اللحظة التي رآه فيها. حتى إنه منعني أنا وإخوتي من التعامُل مع الكلب، ولم يكن مُسغرَبًا بالنسبة لنا أن نسمع أبي يُهدد بقتل وولفجانج سرًّا وعلانية.

قد لا يكون أبي مُؤمنًا بالرب، لكنه مؤمن بشدة بالكارما. وبقدر ما حلم بقتل وولفجانج، فإنه لم يُرد تلويث يدَيه بدَمِ حيوان. حتى لو كان هذا الحيوان هو أسوأ ما واجَهَه على الإطلاق.

كانت مشاعر وولفجانج مُتبادلة، أو هذا ما افترضتُه بالطريقة التي قضى بها وولفجانج الجزء الأفضل من حياته وهو ينبح ويُزمجر في وجه أبي، غير مُبالٍ بما إذا كان ذلك ليلًا أو نهارًا أو ليلةَ نهاية الأسبوع أو عطلة نهاية الأسبوع، ما عدا عندما ينشغِل بمُطاردة سنجابٍ مارق.

حاول أبي كل شيءٍ على مرِّ السنين لوضع حدٍّ للمضايقات المستمرة، بدءًا من سدَّادات الأذن، وإطلاق الكثير من التحذيرات، وحتى النباح في وجه وولفجانج لمدة ثلاث ساعاتٍ متواصلة بعد مساء يوم جمعة حين تناول ثلاثةَ أكوابٍ من كأس النبيذ المسائي أكثر مما يتناوله عادة. لقد حاول كل هذه الأشياء دون جدوى. في الواقع، فقد أبي الأمل في النوم الهادئ أثناء الليل، حتى إنه أمضى ذات يومٍ صيفًا كاملًا في محاولةٍ لتكوين صداقةٍ مع وولفجانج على أمل أن يتوقَّف عن النباح.

لم يحدُث ذلك...

لم ينجح أي شيء، ونظرًا للوضع، لن ينجح أي شيء، لأن القسَّ برايان كان يهتم بوولفجانج كثيرًا أكثر من اهتمامه بجاره بارنابي فوس. لسوء حظ القس برايان، كانت كنيستُه الوليدة في أدنى مستوياتها المالية على الإطلاق، بينما موقف السيارات المُستعمَلة الخاص بأبي ـ مثل تعطُّشه للانتقام ـ في أعلى مستوياته.

قدم أبي عرضًا لم يستطِع البنك رفضه، ولم يتمكن القس برايان بنفسه من جمع الأموال لمُضاهاته. ساعده كذلك إبرامه لصفقة كبيرة مع موظف القروض المسئول عن رهن الكنيسة، فباعه سيارة فولفو مستعملة بسعر خيالي.

عندما أعلن القس برايان لرعيَّته أنه خسِر حرب المُزايدة أمام أبي، وأن أبي سيُغلق باب الكنيسة أمامهم، وينتقل بعائلته للعيش فيها، أصبحت عائلتنا مادةً للقيل والقال. ولم تهدأ منذ ذلك الحين.

بعد التوقيع على الأوراق الختامية منذ ما يقرُب من خمس سنوات، أعطى أبي القس برايان وَوُولفجانج يومَين لإخلاء المبنى. استغرقا ثلاثة أيام. لكن في الليلة الرابعة، بعد أن انتقلت عائلتنا إلى الكنيسة، نام والدي ثلاث عشرةَ ساعة مُتواصلة.

اضطُر القس برايان إلى تغيير مكان خطبةِ يوم الأحد، فمع التدخُّل الإلهي إلى جانبه، لم يستغرق الأمرُ أكثر من يومٍ واحد فقط للعثور على مكان بديل. فأعيد افتتاح الكنيسة بعد أسبوع في حظيرةٍ راقية استخدمها شمَّاس لإيواء مجموعته من الجرارات. خلال الأشهر الثلاثة الأولى، جلس أبناء الرعيَّة على حُزَم من القش بينما كان القس برايان يُلقي خطبته من منصةٍ مؤقتة مَبنية من الخشب الحُبيبي والباليتات.

لمدة ستة أشهر متواصلة، كرَّس القس وقته للصلاة علنًا من أجل أبي وروحه الضالة كل يومِ أحدٍ قبل مغادرة الكنيسة. كان القس برايان وأبناء الرعية يُصلون: «فليرَ الخطأ في طرُقه، ويُعيد إلينا بيت عبادتنا.. وبسعرٍ مناسب.»

أزعجَتْ أبي هذه الأخبار عن وجود اسمه على رأس قائمة صلاة القس برايان، لأنه لم يشعر أن لدَيه روحًا، ناهيك عن روحٍ ضالة. من المؤكد أنه لم يُرِد أن يُصلي روَّاد الكنيسة من أجل الروح المذكورة.

بعد حوالي سبعة أشهر من تحويل تلك الكنيسة القديمة إلى مسكن عائلتنا، شُوهِد القس برايان يقود سيارة كاديلاك مكشوفة جديدة تمامًا. في يوم الأحد التالي، لم يعُد بارنابي فوس موضوعًا للصلاة الختامية السلبية العدوانية للقس برايان.

كنتُ في ساحة انتظار السيارات في اليوم الذي توصَّل فيه أبي والقس برايان للصفقة. أصغر سنًّا بكثير مما أنا عليه الآن، لكني أتذكر الصفقة كما لو كانت بالأمس. «توقفْ عن الصلاة من أجل رُوحي غير الموجودة وسوف أمنحك سيارة كاديلاك باللون الأحمر الكرزي».

مرَّت سنوات عديدة منذ أن اضطُر أيٌّ منَّا إلى الاستماع إلى نُباح وُولفجانج في الليل، وعدة سنوات على استيقاظ أبي بمزاجٍ سيِّئٍ كل صباح. خلالها، أعدنا تصميم الكنيسة، ولكن لا تزال هناك ثلاثة عناصر تمنع المسكن من أن يبدو مختلفًا عن بيت العبادة الذي كان عليه من قبل.

1) النوافذ ذات الزجاج المُلوَّن.

2) تمثال يسوع المسيح الذي يبلُغ طوله ثمانية أقدام مُعلقًا على الجدار الشرقي.

3) اللافتة الضخمة في الحديقة الأمامية.

بقِيَت اللافتة على الواجهة طوال هذه السنوات، بعد فترة طويلة من تغيير أبي الاسم الموجود فوقَها من «كنيسة مُفترق الطرق اللوثرية» إلى «دولار فوس».

اختار تسمية المنزل بالدولار فوس لأن الكنيسة مُقسَّمة إلى أربعة قطاعات. واسمُنا الأخير هو فوس. كنتُ أتمنَّى لو كان يقصد شيئًا أكثر ذكاءً.

فتحتُ الباب الأمامي ودخلتُ إلى القطاع الأول. يتكون من قاعة الكنيسة القديمة التي تحوَّلت إلى منطقةِ معيشة ومطبخٍ كبير إلى حدٍّ ما، تم إعادة تصميمهما ليعكس استخداماتهما الجديدة، باستثناء تمثال يسوع المسيح الذي يبلُغ ارتفاعه ثمانية أقدام على الصليب الذي لا يزال مُعلقًا على الجدار الشرقي للمعيشة. عمل يوتاه وأبي بلا كللٍ في أحد أيام الصيف لتفكيك التمثال الذي يبلُغ طوله ثمانية أقدام، ولكن دون جدوى. ويبدو، بعد أيامٍ من المحاولات الفاشلة لإزالته من جدار غرفة المعيشة، أن صليب يسوع المسيح كان جزءًا فعليًّا من هيكل المبنى ولا يُمكن إزالته دون إزالة القوائم والجدار الشرقي للمنزل بالكامل.

لم يُعجَب أبي بفكرة فقدان الجدار بأكملِه. إنه يستمتع بالهواء الطلق، لكنه مؤمِن بشدة بوجوب بقاء الأماكن الداخلية والخارجية مُنفصلة. وبدلًا من ذلك، اتخذ قرارًا ببقاء يسوع المسيح الذي يبلُغ طوله ثمانية أقدام. قال: «إنه يمنح القطاع الأول شخصية فريدة».

إنه مُلحد، مما يعني أن التمثال على الحائط مجرد تمثال لا أكثر بالنسبة له. جدار مُعلق حيث يسوع ـ الذي يبلغ طوله ثمانية أقدام ـ هو النقطة المحورية. ومع ذلك، فإنني أحرص على التأكد من أن يسوع المسيح يرتدي ملابس تعكس العيد المناسب. وهذا هو السبب في أن تمثال يسوع المسيح الذي يبلُغ طوله ثمانية أقدام مُغطًّى حاليًّا بملاءة بيضاء. إنه يرتدي زيَّ شبَح.

القطاع الثاني ـ الذي كان في وقتٍ ما ثلاثة فصول دراسية في مدرسة الأحد ـ تم إعادة تصميمه وإضافة المزيد من الحوائط، وهو مُقسَّم الآن إلى ستِّ غرف نوم صغيرة إلى حدٍّ ما، كبيرة بما يكفي لاستيعاب شخصٍ واحد، سرير مزدوج الحجم، وخزانة ملابس واحدة. أنا وإخوتي الثلاثة نشغل أربعًا من غُرَف النوم الست. غرفة النوم الخامسة عبارة عن غرفة ضيوف والسادسة تُستخدَم كمكتب أبي. وهو ما لم أره يستخدِمه من قبل.

القطاع الثالث والذي كان قاعة طعامٍ قديمة، تحوَّل إلى غرفة نوم رئيسية. إنه المكان الذي ينام فيه أبي نومًا هنيئًا لمدة ثماني ساعاتٍ على الأقل كل ليلة مع فيكتوريا فيني فوس. عاشت فيكتوريا في دولار فوس لمدة أربع سنواتٍ وشهرَين تقريبًا. قبل ثلاثة أشهر من الانتهاء من طلاق والديَّ، وقبل ستة أشهر من ولادة أخي الرابع والأخير، موبي.

القطاع الأخير من دولار فوس هو القطاع الرابع، الأكثر عزلةً وإثارة للجدل من بين القطاعات الأربعة.

القبو

تم إعدادُه ليكون شقةً كاملة، تتكوَّن من حمَّام مع دُش قائم، ومطبخ صغير جدًّا، ومساحة معيشة صغيرة تحتوي على أريكةٍ واحدة، وتليفزيون، وسرير كبير.

تشغل أمي، فيكتوريا فوس، والتي يَجب عدم الخلط بينها وبين زوجة أبي الحالية التي تحمل الاسم نفسه، القطاع الرابع. من المؤسِف أن أبي طلَّق فيكتوريا، ثم تزوَّج على الفور من فيكتوريا أُخرى، ولكن الأكثر آسَفًا أن الفيكتوريتَين لا تزالان تعيشان في دولار فوس.

لم يكن حُب أبي لفيكتوريا فوس الحالية علاقةً عابرة، لكنه كان علاقة حدثت في الزمان والمكان غير المناسِبَين، هذا هو السبب الرئيسي للخلاف الدائم بين البالِغين الثلاثة.

من النادر أن تصعد أُمي فيكي من مسكنها في القطاع الرابع، لكنَّ حضورها يشعُر به الجميع. على الرغم من ذلك لم يتحسَّس من ترتيبات المعيشة الحالية سوى زوجة أبي الحالية، فيكتوريا. لم تكن سعيدةً بسكن أُمي للقطاع الرابع منذ يوم انتقالنا إلى دولار فوس.

بالتأكيد، من الصعب العيش في منزلٍ مع زوجك وزوجته السابقة. ولكن الأصعب كان اكتشاف أُمي المُصابة بالسرطان أن أبي ينام مع مُمرضة الأورام الخاصة بها.

كل ذلك حدث منذ عدة سنوات، وقد تجاوزتُ أنا وإخوتي منذ فترةٍ طويلة الأخطاء التي ارتكبَها أبونا ضدَّ أُمِّنا.

في الواقع.. لم نفعل ذلك. ولا حتى قليلًا.

بغضِّ النظر، فقد استغرق الأمر كل السنوات العديدة الماضية حتى تَتمَّ إعادة تصميم وتجديد دولار فوس لإيواء عائلة فوس بأكملها بشكلٍ مُناسب، لكن أبي صبور جدًّا في هذه المسائل.

وبغض النظر عما هو صحيح وما هو خاطئ، فإننا، عائلة فوس، نبدو مثل عائلة عادية إلى حدٍّ كبير، ودولار فوس يُشبه إلى حدٍّ كبير منزلًا عاديًّا، باستثناء النوافذ ذات الزجاج الملوَّن، والتمثال الموجود على حائطنا، ولافتة الكنيسة.

اعتاد القس براين تحديث اللافتة بأمانةٍ كل يوم سبت بعباراتٍ ذكية مثل «لا تكن مُنفتحًا لدرجة أن يسقط عقلك» وموعظة كل أسبوع مثل: خمسون معنًى للصلاة.

أحيانًا أتساءل عما يُفكر فيه سكان البلدة عندما يمرُّون بالسيارة ويقرءون الحقائق والاقتباسات اليومية في ولاية يوتا. مثل الأمس، عندما قرأتُ على اللافتة «نقش ميدالية جائزة نوبل للسلام هو صورة لثلاثة رجال عُراة».

أحيانًا أعتقد أن الأمر مُضحك، لكن في الغالِب أشعر بالحرج. يشعر معظم سكان مدينتنا الصغيرة بأننا لا ننتمي للمكان، ولا نستحق العيش في هذه الكنيسة القديمة. أفعالنا تُعزِّز تلك المشاعر. أعتقد أن أبي حاول بالفعل أن يبذل جهدًا للتأقلُم مع الوضع في العام الماضي وجعل منزلنا يبدو وكأنه منزل أكثرَ من كونه كنيسة. حتى أمضى أسبوعَين في وضع سياجٍ أبيض لطيف حول الفناء بأكمله.

لم يُفلح السياج الأبيض في جعل الكنيسة تبدو كمنزل. الآن يبدو الأمر وكأننا نعيش في كنيسةٍ قديمة مُحاطة بسياج أبيض في غير مكانه.

توجَّهتُ إلى غرفة نومي وأغلقتُ الباب. ألقيت بحقيبة مشترياتي على الأرض بجوار سريري وألقيتُ بنفسي فوقه. إنها الساعة الثالثة بعد الظهر تقريبًا، مما يعني أن موبي وفيكتوريا سيعودان قريبًا. ثم أونور ويوتاه. ثم أبي. ثم العشاء العائلي. يا للمرح!

كان يومي بالفعل مُرهِقًا جدًّا. لا أعتقد أنني أستطيع تحمُّل المزيد.

ذهبتُ إلى الحمَّام وبحثت في الأدراج عن بعض أدوية النوم. أنا لا أتناولها عادةً إلا إذا كنتُ مريضة، ولكن الشيء الوحيد الذي يُمكنني التفكير فيه والذي سيُمكِّنني من اجتياز هذه الليلة دون الهوَس بقُبلتي مع صديق أونور هو رشفاتٌ قليلة من دواء البرد. وهذا بالضبط ما وجدتُه تحت الحوض.

تناولتُ جرعة ثم أرسلت رسالةً نصية إلى أبي بينما أتدثر بغطائي.

*« لا أشعر أنني بحالة جيدة. غادرت المدرسة في وقتٍ مبكر وخلدتُ إلى السرير. من المُحتمل أن أغيب عن العشاء.»*

أغلقتُ صوت هاتفي ووضعته تحت وسادتي. أغمضتُ عينيَّ، لكن ذلك لم يُساعدني على التوقُّف عن رؤية ساجان أمامي. أنا وأونور لم نعُد قريبتَين كما اعتدنا، لذلك لم أندهش من

أنني لم أسمع عن علاقتها الجديدة. لاحظتُ بالتأكيد أنها تتغيَّب عن البيت أكثر من المعتاد ولكني لم أسألها عن السبب. على حدِّ عِلمي، لم تُحضره إلى منزلنا قط، لذلك لم يكن لديَّ أي فكرة عن هويته عندما رأيتُه اليوم.

لو أنني رأيتُ وجهه قبل الموقف الذي وقع في ساحة البلدة، لكان من المُمكن تجنُّب هذا الإحراج برمَّته. كنتُ سأعرف من هو على الفور. إذا كانت لدَيه ذرة دماء في عروقه لن تطأ قدمُه داخل هذا المنزل أبدًا. ليس الأمر وكأنهما في حالة حُب. بالكاد يعرفان بعضهما. لم يمرَّ سوى بضعة أسابيع فقط على علاقتهما. لكن أي شخصٍ في كامل قواه العقلية لن يريد أن يُسبب مشكلة بين أختَين. وخاصة لو كانتا توءما.

ولكن مرة أخرى، أشكُّ في أن لدَيه أي نوايا لمُلاحقتي. كانت غلطةً غير مقصودة. اعتقدَ أنني أونور. لو كان يعلم أنني أختها، لما قال أبدًا أشياء لطيفة ومُربكة بشكلٍ مُقزِّز مثل «تقبريني» قبل أن يُقحِم لسانه في حلقي.

من المُحتمَل أنه يضحك الآن من هذا الخلط. يا للجحيم! ربما انتهى به الأمر بإخبار أونور بما حدث وكلاهما يضحكان عليَّ الآن.

يضحكان على ميريت المسكينة والمُثيرة للشفقة التي اعتقدت أن الفتى اللطيف مُعجَب بها.

أكره أنني أشعر بالحرج الشديد من ذلك. كان يجب أن أصفعَه عندما قبَّلني. لو فعلتُ ذلك لكنتُ أضحك معهما. لكني ألقيتُ بنفسي عليه واستمتعتُ بأكبر قدْرٍ مُمكن من تلك القبلة ومنه. إنه شعور أريد تجربته مرةً أخرى. وهذا ما أزعجني أكثر. آخِر شيء أريده هو أن أشعر بالغيرة من شيءٍ تملِكُه أختي. مجرد التفكير في تقبيل ساجان لها كما قبَّلني اليوم يجعلني أغار بشدة، لدرجة أنني ربما أنزف دماءً خضراء إذا طعنني شخصٌ ما.

كنت أخشى دائمًا حدوث شيءٍ مثل هذا. أن يفترض شخصٌ ما أنني هي، وأنني سأُحرج نفسي بطريقةٍ ما. الشيء الوحيد الذي يُميزنا هو أنها ترتدي عدساتٍ لاصقة وأنا لا. لا يُهم أنني بذلتُ كل ما في وسعي لتمييز نفسي عن أونور، بما في ذلك قص وصبغ شعري، وتجويع نفسي، والإفراط في تناول الطعام، ولكن يبدو أننا دائمًا نتشابَه في الوزن، والشكل وحتى الصوت.

لكننا لسنا نفس الشخص...

أنا لا أُشبه أختي التوءم المُتطابقة، التي تُفضل قلوب الجثث على القلوب التي تعمل بكامِل طاقتها.

أنا لا أُشبه أبي، بارنابي، الذي قلب حياتنا بأكملها رأسًا على عقب، ببساطة بسبب كراهيته لكلب.

أنا بالتأكيد لا أُشبه أخي يوتاه الذي يقضي كل لحظةٍ من استيقاظه في عيش حاضر دقيقٍ ومثالي للتعويض عن جميع العيوب الداخلية التي تعيش في ماضيه.

وأنا بالتأكيد، بلا أدنى شك، بعيدة كل البُعد عن أُمي، فيكي، التي تقضي أيامها ولياليها في القطاع الرابع تُشاهد نيتفليكس، وتلعق الملح من على رقائق البطاطس، بروحٍ محبوسة، ترفض مغادرة المنزل الذي يعيش فيه زوجها السابق مع زوجته الجديدة فيكتوريا في الطابق العلوي، خاصة في القطاعَين الأول والثالث.

بدأ تأثير الدواء في العمل بمجرد أن سمعتُ الباب الأمامي يُفتَح. وصوت موبي وهو يعلو في الردهة، وسرعان ما تبِعَه صوت فيكتوريا تنادي عليه ليغسل يدَيه قبل أن يأكل وجبة خفيفة.

تناولت سماعات الرأس من فوق الكومود. فضَّلتُ النوم أثناء الاستماع إلى أغاني الثنائي «Seafret» بدلًا من الاستماع إلى أصوات عائلتي بالخارج.

# الفصل الثالث

تمنيتُ ألا أرى ساجان ثانية. كنت أتمنى أن ينفصل عن شقيقتي قبل أن تُقدمه للعائلة. استمر هذا الأمل لمدة أربع وعشرين ساعة قبل أن يخفُت ويخفت لمدة أسبوعَين تقريبًا.

خلال هذين الأسبوعين، زار ساجان منزلنا مراتٍ لا أستطيع عدَّها، يأتي للعشاء كل ليلة وللإفطار كل صباح ويبقى معظم الساعات بينهما.

لم أُبادله ولو كلمة واحدة منذ ذلك الصباح الذي ظهر فيه بمنزلنا لأول مرة، بعد أربعٍ وعشرين ساعة فقط من قُبلتنا. خرجت من غرفتي بمنامتي، ورأيته جالسًا على الطاولة. وبمجرد أن التقت أعيُننا، أدرتُ ظهري وفتحت الثلاجة، شعرت وكأن قلبي كرة تتقافز داخل صدري.

تمكنتُ من إنهاء فطوري دون أن أنطق بكلمةٍ واحدة. بمجرد أن بدأ الجميع في الْتقاط أشيائهم والرحيل، أطلقتُ تنهيدة ارتياح قصيرة إلى أن أدركتُ أنه لم يزل بالمطبخ، وبدا وكأنه لن يرحل كما رحل البقية. سمعتُ أونور تقول له وداعًا. لم أتمكن من رؤيتهما، فلم أعرف إن كانا تبادَلا قبلة وداعٍ أم لا. لم أشعر بفضول لألتفت وأراهما. رغم ذلك أثار فضولي عدم مُغادرته البيت معها. من الغريب أن يبقى في منزلٍ لا يعرفه بعدَ أن غادرت صديقتُه إلى المدرسة، ولكن هذا بالضبط ما فعله.

بعد أن رحل الجميع سواه، التقطتُ قطعة قماشٍ لأمسح الطاولة. لم تكن في حاجة إلى التنظيف لكني لم أجد شيئًا آخر لأفعله بيديَّ أو بعينيَّ. وقف وحمل ثلاثة أكواب من الطاولة. ومشى بها إلى المطبخ ووقف بجواري بينما يصبُّ محتوياتها في الحوض.

خيم صمتٌ ثقيل على الغرفة، مما جعل تلك اللحظات بيننا أكثر دراميةً مما يجِب أن تكون عليه.

«هل تريدين الحديث عما حدث؟» قال وهو يفتح غسالة الأطباق وكأنه يحقُّ له غسل الأطباق في هذا المنزل. وضع الثلاثة أكواب في الرفِّ العُلوي ثم أغلقه. جفَّف يديه بالمنشفة ووضعها على الطاولة انتظارًا لأي ردة فعلٍ مِني. هززتُ رأسي غير مهتمة بفتح الموضوع مرة أخرى.

تنهَّد وقال: «ميريت». نظرتُ إلى عينيه ثم اكتشفتُ أن هذا تصرف غبي لأنه أحنى رأسه ونظر إليَّ مُعتذرًا. مما جعل من المستحيل أن أتمسك بأي شكلٍ من الغضب غير المُبرر الذي شعرتُ به تجاهه. «أنا آسِف جدًّا. أنا فقط.. اعتقدت أنك هي. لم أكن لأُقبلك أبدًا لولا ذلك.»

بدا اعتذارُه صادقًا، أنا أيضًا تشبثت بصِدقه. لم أستطع منع نفسي من تحليل ذلك الجزء الأخير. «لم أكن لأُقبلك أبدًا لولا ذلك».

بطريقةٍ ما بدت جملتُه إهانة أكثر منها اعتذارًا. وعلمتُ أن الأمر كله سخيف، وأنه أخطأ بحق. لم تعلم أونور بما حدث لذا يجب ألا أُضخِّم الأمر. لكني لم أستطع. من الصعب ألا أُضخم أمرًا أثَّر فيَّ بهذا الشكل. ولكني بذلت قصارى جهدي للتظاهر بالعكس.

«لا بأس» هززتُ كتفيَّ «كانت قبلة مُحرجة. على أية حال أنا سعيدة أن الأمر حدث بالخطأ، فقط كنتُ على بُعد ثانيتَين من صفعك.»

بدا الخذلان على وجهه. فرسمتُ على وجهي ابتسامة واستدرت ماشية إلى غرفة نومي دون أن أنظر إليه. كانت تلك آخِر مرة أتحدث فيها معه.

لم نتحدث على الإفطار، لم نتحدث على العشاء، لم نتحدث بينما يمكث في غرفة المعيشة يشاهد التليفزيون.

ولكن كوننا لا نتحدَّث لم يعنِ أنني لم أشعر به في كل مرة نظر إليَّ فيها. حاولت باستمرار كبح جماح نبضي حتى لا أشعُر بذنب انجذابي إليه.

لم أُحب أن أحسد أونور. حاولتُ أن أقنع نفسي بأنني لستُ منجذبة إليه. ولكني فقط معجبة بفكرة أن يرغب بي غريبٌ لدرجة أن يُقبلني بكل تلك العاطفة كما قبلني هو ذلك اليوم. هذا هو ما حسدته. ليس للأمر علاقة بساجان أو بكينونته كشخص. أنا حتى لا أعرفه بما يكفي لتُعجبني شخصيته. ولم أودَّ معرفة ذلك. لهذا بالضبط تجنبتُه.

ولكني علمت أنه ليس نوع أونور المُفضل. لا توجَد أي كيمياء بينهما. أو ربما هذا ما تمنيتُه.

بذلتُ كل ما في وسعي لأتصالح مع الموقف كله، وأشعرني ذلك بالبؤس أكثر. كان لديَّ إحساس أنَّ تَصالحي لن يكون مُحتملًا الآن. لأن البؤس لن يتركني بسهولة، سواء تصالحتُ

مع الموقف أم لا، سأظل بائسة.

بالرغم من أننا كنا بعد منتصف الليل، أبقيتُ الباب الأمامي مفتوحًا، أُحملق في العين المذعورة لولفجانج؛ الكلب نفسه الذي روَّع أبي للعديد من سنوات طفولتي.

يا لها من مفاجأة سعيدة. لم يلحظ والدي أني لم أعُد أذهب للمدرسة منذ فترة، وأنني لم أعد أعرف الليل من النهار. استيقظتُ من النوم بعد مرور دقائق من غرق الجميع في النوم. ذهبت إلى القطاع الأول بحثًا عن الطعام، قبل وصولي إلى المطبخ سمعتُ ما بدا كصوتِ خدشٍ على الباب الأمامي المزدوَج. وبما أننا لا نمتلك أي حيوانٍ من ذوات الأربع. قد يفكر المرء بغريزته الأولى أنني كان يجِب عليَّ تنبيه أبي بوجود دخيلٍ مُحتمل. لكني فتحت الباب على الفور لأتحقق من الأمر بنفسي. لو كانت حياتي فيلمَ رعب، لكنتُ أول مَن يموت.

ارتفع نشيج وولفجانج أمام قدميَّ، كان مُغطًّى بالوحل ويرتجف من المطر. ومن منظره بدا تائهًا. كان هناك العديد من صواعِق الرعد العالية التي هزت المنزل وأيقظتني مراتٍ قليلة عندما بدأتِ العاصفة مبكرًا في الليل. ربما شعر بالفزع وبدأ في الجري حتى انتهى إلى المكان الوحيد الذي يعرفه.

لم ألمس كلبًا من قبل. لأننا تلقَّينا الأوامر بأن نبتعد عنه منذ طفولتنا. مددت يديّ مترددة، أخبرَنا أبي من قبل أنه شهد وولفجانج وهو يلتهِم فتاةً كشافة بالكامل. أُدرك الآن أنها كانت كذبة بالطبع. ولكن زيارته الليلة في تلك اللحظة المشئومة التي توَّجَها الظلام. أقلقتْني من فكرة أن أُخبئ وولفجانج كما أُخبئ أعواد النعناع في جيبي.

لكن وولفجانج لم يأكلني ولا حتى جزءًا منِّي. على العكس ما حدث أنه أخذ يَلعقني.

مرَّ سريعًا بلسانه على خنصري وبعدها أفلته. كأنه عرض للسلام وليس كفاتِح شهية. وسَّعتُ فتحة الباب قليلًا ليفهم وولفجانج أنها دعوة للدخول فهرول إلى الداخل. على الفور مشى عبر الردهة ومضى مباشرةً إلى الباب الخلفي. وبعدها أخذ يطرق عليه وكأنه يريد المرور إلى الباحة الخلفية.

دائمًا ما افترضتُ أن وولفجانج كلب جاهل. لذا تفاجأتُ أن وجدَ طريقه لأرضه القديمة مرة أخرى. لكن ما فاجأني أكثر أنه فضَّل أن يكون بالخارج في الباحة بدلًا من دفء الداخل. كنتُ سأسأله: لِمَ هذا الاختيار السيء؟ لكنه مجرد كلب.

فتحتُ الباب الخلفي فهرول وولفجانج مرة أخرى وأخذ يدفع باب السلك الخارجي حتى انفتح وكأنه في مهمة. أشعلتُ أضواء الباحة ووقفت أشاهد وولفجانج وهو يهبط من على الممرِّ ويندفع خلال المطر إلى بيت الكلب الذي لم يُنقَل أو يُستخدَم منذ أن أخلاه أبي منذ سنوات.

أردتُ أن أُحذر وولفجانج من وجود عناكب أو أي سكَّان آخرين استولوا على مسكنه القديم. لكن بدا أنه لا يُمانع. اختفى داخل بيت الكلب القديم وراقبتُه للحظة لأرى إن كان سيجري للخارج ثانية. لكنه لم يفعل.

أغلقت الباب السلكي والباب الخلفي وأحكمتُ القفل. وقررتُ إعادته للقس برايان في الصباح. هذا إن لم يجد طريقةً لتخطِّي سور الباحة والعودة لمنزله بنفسه.

أعددتُ لنفسي شطيرة وشغَّلتُ التليفزيون ولكنني انتهيتُ من الأكل قبل أن أجد شيئًا مثيرًا لأُشاهده. نمتُ كثيرًا ما أشعَرني بالحيوية، بالكاد أفكر في أونور وحبيبها. قررتُ أن أستغلَّ دفقة الطاقة غير الاعتيادية في تنظيف غرفتي.

وضعتُ سماعات الرأس على أذنيَّ لأبدأ التنظيف. لكن من المفاجئ كم الأغاني التي تتحدَّث عن الحُب المُحرم أو تقبيل أحدهم. غيرت الأغنية في كل مرة يذهب عقلي إلى هناك على أمَل أن أُحفز ذكرياتٍ أخرى. تخطيتُ الأغاني حتى وصلت إلى «أوشن» وعندها التقطتُ قميصًا قديمًا لأمسح به كل كئوسي. في كل مرة أشتري كأسًا جديدًا أمسحها جميعًا من الغبار وأُعيد ترتيبها. وضعتُ كأس البولينج الجديد الذي اشتريتُه قبل أسبوعين في منتصف المقدمة. مددتُ يدي إلى مؤخرة الرف والتقطتُ كأس كرة القدم الذي سرقتُه من درو والدروب. وضعته جانبًا لأستخدمه في تغيير ملابس تمثال المسيح لاحقًا الليلة.

قضيت الساعات اللاحقة أستمتع بالوحدة بينما الجميع نائمون. أخذتُ دشًّا من دون أن يُقاطعني أحد. شاهدت أول عشر دقائق من ثمانية أفلام مختلفة على نتفليكس. ربما لديَّ مشكلة في الانتباه لأني لم أستطع إكمال أي فيلم دون أن يُصيبني الملل. أنهيتُ لعبة ونصفًا من الكلمات المتقاطعة قبل أن أَعلَق أمام كلمةٍ من أربعة أحرف. عندما لاحظت أول شعاع للشمس يسطع من خلال إحدى النوافذ الملوَّنة. قررت تغيير ملابس تمثال المسيح قبل أن يستيقظ أحد.

جمعتُ كل الأشياء التي احتجتُها. وعندما انتهيت من تهيئة السلم في غرفة المعيشة. تسلقتُه وفي يدي كأس كرة القدم المسروقة. مرَّرتُ معصمي داخل فتحة بكَرة الشريط اللاصق ووضعت الكأس في يد يسوع اليُمنى، وثبَّتُّه بالشريط اللاصق. أعدتُ ضبط القبعة على شكل قالب الجبنة التي يرتديها مُشجعو فِرق الكرة فوق تاج الأشواك، ونزلت من على السُّلم ووقفت في الخلف لأشاهد إبداعي في إعجاب.

في العادة أُعطي لتمثال المسيح ألقابًا مؤقتة، بناءً على شكل زيِّه. الشهر الماضي تمت الإشارة إليه باسم «شبح المسيح» لأسبابٍ واضحة. والآن على اعتبار أنه مشجع للباكرز. مُرتديا الزيَّ الكامل الأساسي للفريق، مع قبعة الجبنة لويسكونسين. والآن في يده كأس درو والدروب المفقودة. أعتقد أني سأعتبره «المسيح المُشجع».

«بابا وفيكتوريا سيغضبان عندما يرَيَان ذلك.»

التفتُّ لأري أونور وقد اغتسلت للتو وبدَّلت ثيابها تُحدق في التمثال. ابتسمت، لأن هذا بالضبط ما بذلتُ كل ذلك المجهود لأجله. أبي مشجع كبير للكاوبويز وقد أمضى الليلة الماضية يتحدَّث بلا انقطاع عن مباراة الليلة ما بين دالاس وجرين باي. هو فقط سيغضب لأني جعلتُه يرتدي زيَّ مُشجعي الباكرز.

على الجانب الآخر، ستغضب فيكتوريا لأني ألبستُه من الأساس. فعلى العكس من أبي؛ كانت فيكتوريا تؤمِن بالربِّ وبقدسية الدين. تكرهني عندما أُبدل ملابس المسيح. تقول هذا تدنيس للمقدَّسات وتقليل من احترامهم.

لم أوافقها، سيكون قلة احترامٍ لو أن المسيح الحقيقي في غرفتنا وأنا أُجبره على تغيير ملابسه طوال الوقت. ولكن هذا التمثال مُزيف ومصنوع من الخشب والبلاستيك. حاولت شرح ذلك لفيكتوريا. أخبرتُها أنه ليس من ضمن العشر وصايا أن نُقدس أوثانًا زائفة. وإلباس هذا الوثن من أجل المُتعة بدلًا من تقديسه هو بالفعل اتباع للوصايا.

لم ترَ الأمر بتلك الطريقة، لكن مُعارضتها بكل وضوح لم تُقنعني بالتوقف. التقطتُ السُّلَّم وأعدتُه إلى الجراج. قد يستيقظ أبي في أي دقيقة. لذا تخلصتُ من الدليل. بالرغم من أنهم يعلمون أنني الوحيدة في المنزل التي لا تزال تبذل مجهودًا لإلباس تمثال المسيح. لم يبدُ أن

أونور تهتمُّ بالحياة الأخرى منذ أن أصبحَت مهووسة بالمرضى الميئوس من شفائهم منذ سنواتٍ قليلة.

ربما نَبدو أنا وأونور مُتطابقتَين، صوتانا مُتطابقان، نتشارك نفس الأساليب، لكن لا يمكننا أن نكون مُتعاكستَين أكثر من ذلك. أيُّ توءم آخر يكمل أحدُهما جُمَل الآخر. يعرف أحدُهما ما يفكر فيه الآخر. ويتشاركان نفس الاهتمامات. لكن أنا وأونور تُربك إحدانا الأخرى. حاولنا قدْر جهدنا أن نعيش وفق معايير التوائم المُتطابقة. لكن بمجرد أن وصلنا لسن البلوغ، بشكلٍ ما استسلمنا.

وعندما بدأت تُواعد كيرك، وضع موته حاجزًا أكبرَ بيننا، لأنه طوال الوقت قبل تلك اللحظة، كنا قد جَرَّبْنا كل شيءٍ تقريبًا معًا. ولكن بموت كيرك جرَّبَت هي أشياء لم أُجرِّبْها. مثل أن تقع في الحُب وتفقد عُذريتها، وتختبر الحزن. لم نعُد نشعر أننا في نفس المستوى بعد ذلك. أو على الأقل شعرَتْ هي أنها في مستوًى مختلف عني. وكلما مرَّ الوقت كلما ابتعدْنا عن بعضنا.

مشيتُ عائدة من الجراج إلى المطبخ وتعثرَت خطاي عندما رأيتُ ساجان. كان ظهره مواجهًا لي بينما يجلس على طاولة المطبخ. في بيتنا، وفي وقتٍ غير مناسب تمامًا من اليوم. من يزور حبيبته في السابعة صباحًا؟ لقد أصبح لاعبًا أساسيًّا داخل دولار فوس. مما جعلني أشعر بأنني أقلُّ حسدًا لأُختي في كل مرة يختار أن يكون فيها هنا. فهل هناك ذو عقلٍ سليم سيختار طوعًا العودة إلى هذا المنزل؟ ألم يقابل عائلتي؟ هل أصابَه العمى بِحُبه غير المُتبادل لأونور؟

كان مُنحنيًا باهتمامٍ على لوحة الرسم أمامه. عندما أدركتُ أنه فنان أيضًا. ضحكت على حظي. فقد تمنيتُ أن يكون فنانًا قبل أن يُقبلني. مِن المناسب القول أنه كلما كنتُ حوله كلما بدا أكثر كمالًا. إنها الكارما لانجذابي إلى حبيب أُختي التوءم.

مشى موبي داخل المطبخ وجر قدمَيه إلى الطاولة. ربما يكون موبي هو الفرد الوحيد في هذه العائلة الذي يُشعرني بالسعادة. لكن الأطفال في سن الرابعة تقريبًا يكونون محبوبون من الجميع. ما زال هناك الكثير من الوقت لموبي حتى يُخيِّب أملي.

«صباح الخير يا صديقي» داعب ساجان شعر موبي. ولكن موبي ليس شخصًا صباحيًّا. بالرغم من عمره. حرك رأسه بعيدًا وتسلق إلى المقعد المجاور له. قطع ساجان قطعة ورق بيضاء من كشكول الرسم الذي كان منحنيًا عليه. مرَّر قطعة الورق أمام موبي وانتزع قلمَ تلوين من السلة أمامه. مُحاولًا الفوز بودِّ موبي كالعادة. فلا يوجد طفل في الرابعة على وجه الأرض لا يُحب قلم التلوين والورق الأبيض. حاول موبي دائما نسخ الرسومات التي يرسمها حبيب أونور. ممَّا كان مُضحكًا نظرًا للرسومات السوداوية التي يرسمها حبيبها عادة. بالأمس وجدت رسمةً رسمها لأونور. كانت جالسة في مقبرة فارغة. تضع أحمر شفاه. وعلى ظهرها كُتِبَ «حتى يُفرقنا الموت.»

لم أعرف أبدًا معنى رسوماته، لكنها كانت تُذهلني. لم أُرِد فقط أن يعرف ذلك. أيضًا لم أُرده أن يعرف أنه في كل مرة يرسم رسمة لأونور، وتبدي إعجابها بها كذبًا، في حين أنها لا تعني لها أي شيء، أسرقها أنا. لدي العديد من رسوماته الآن. ملفوفة في بُرْنس الحمام ومحشورة في الدُّرج السفلي من خزانة ملابسي. أحيانًا أنظر إليها وأتظاهر أنها رسومات لي وليست لأونور.

تأكدتُ أن تلك الرسمة التي يرسمها ستنتهي أيضًا أسفل دُرج خزانتي لأن أونور لا تُقدر الجانب الفني فيه.

نظر موبي إليَّ وغطى فمه بيدِه، وتمتم بشيءٍ يقصد أن أسمعه أنا فقط. دائمًا ما يضع يدَه مفرودة فوق فمه عندما يُخبر أحدًا بسِر. بدلا من تكوير يده حول فمه. كان الأمر مُحبَّبًا. لم نمتلك الجرأة لنُخبره أننا لا نفهم كلمة مما يقول. لكني لا أحتاج لفهمه فأنا أعرف بالضبط ما يريد.

غمزتُ له والتقطت علبة الدونتس من أعلى الثلاجة. تبقَّى اثنتان في العلبة. لذا وضعت الأولى في فمي وأعطيتُ الثانية لموبي. أخذ القطعة من يدي وعلى الفور زحف تحت الطاولة ليأكلها. لم أحتَجْ حتى لإخباره أن يَختبئ مِن أمِّه. هو يعرف بالفعل أن كل شيءٍ طعمه حلو لا تسمح به فيكتوريا.

«أنتِ تُدركين أنك تُشجعينه على إدمان الوجبات السريعة. أليس كذلك؟» دخل يوتاه المطبخ بمزاجه الأخلاقي المتعالي. «إن كَبِر سيُعاني من السمنة المُفرطة فهذا خطؤك.»

لم أتفق مع نظريته، لكني لم أقل شيئًا للدفاع عن أفعالي. سأفسد إضراب الثلاثة أيام عن الكلام. وبالرغم من عدم وجود ردٍّ من جانبي. فإن يوتاه مُخطئ. لو كبر موبي ليعاني السمنة المُفرطة، سيكون هذا ذنب فيكتوريا. فهي التي استبعدت مجموعات غذائية كاملة من نظامه الغذائي. لم تسمح له بالسكر، والكربوهيدرات، والجلوتين أو أي شيءٍ ينتمي لنفس العائلة. الطفل المسكين يأكل الشوفان منزوع الحديد على الإفطار كل يوم. من دون زبد أو سكر. لا يمكن أن يكون ذلك جيدًا له. على الأقل أختلس له الحلوى في اعتدال. مشى يوتاه أمامي ليلتقِط شرابه المخفوق الصحي من يد أونور. أخذه منها وانحنى وطبع على ظهر يدِها قبلة شُكر سريعة. فهو يعرف أنني لا أُحبذ اقترابه مني بعاطفته الأخوية المبهجة. إن لم يكن هناك دليل من تحليلنا الجيني، لقلت إنَّ يوتاه وأونور يبدوان توءما مُتطابقًا أكثر منها ومنِّي. هما اللذان يُكمِلان جُمَل أحدهما الآخر. يتشاركان نفس النكات. ويقضيان معظم الوقت معًا.

ليس لديَّ ويوتا ه أي شيءٍ مشترك، بخلاف كوننا الشخصَين الوحيدَين في عائلة فوس اللذَين يعرفان أعمق أسرارها. ولكن بما أنه شيء لم نُناقشه أبدًا منذ اليوم الذي حدث فيه كل شيء. أصبح بالكاد خيطًا مشتركًا بيننا.

لا نُشبه بعضنا. أونور وأنا نشبهُ أُمَّنا. أو على الأقل كما كانت تبدو وهي أصغر. كان شعرها أشقر وأكثر حيوية. أقربَ لشعرِنا الآن. لكنها لم ترَ الشمس لفترةٍ طويلة؛ ما جعل شعرها يبدو باهتًا الآن. يوتاه يُشبِه أبي، بشعْرٍ بُني رملي وبشرة شاحبة. أونور وأنا لدَينا أيضًا ظلال من الشحوب في الجلد. ولكن ليس بنفس درجة يوتاه. يجِب عليه أن يضع واقيًا للشمس إن بقِيَ في الخارج لأكثر من نصف ساعة وإلَّا سيحترِق. أعتقد أنني وأونور مَحظوظتان لأننا نسمَرُّ باعتدالٍ في الصيف.

موبي هو خليط منَّا جميعًا. أحيانًا يُشبه والدنا. أحيانًا يُشبه فيكتوريا. ولكن أغلب الوقت يُذكرني بطائر إعلان سائل الأطباق «داون» الذي رأيتُه العام الماضي. ليس تشبيهًا سيئًا. كان طائرًا لطيفًا.

جلس يوتاه وانحنى لينظُر أسفل الطاولة «صباح الخير يا صديقي. هل أنت مُتحمس لليوم؟»

مسح موبي بقايا السكر المُلتصقة على فمه بأكمام قميصه وأومأ: «نعم!»

ـ «ما مدى تحمُّسك؟»

رد موبي مبتسمًا ابتسامته العريضة: «مُتحمس للغاية.»

ـ «ما مدى تحمُّسك؟»

«الأكثر حماسًا» صاح موبي.

لا يُوجَد شيء بارز اليوم يستحق الحماس بشأنه. فذلك المشهد يتكرَّر يوميًّا بين يوتاه وموبي. يقول يوتاه إن هذا مُهم لتحفيز الأطفال على يومهم. حتى لو لم يكن هناك شيء مُهم في اليوم. يقول إن هذا يساعد على بِناءِ بيئةٍ نفسية إيجابية. أيًّا كان ما يُفترَض أن يعنيه ذلك.

يوتاه يريد أن يُصبح مُعلمًا، وبالفعل خطط لدراسته الجامعية بالكامل. وبمجرد تخرُّجه من الثانوية بعد ستة أشهر، سيحظى بعطلةٍ لمدة يومَين، وبعدَها يبدأ دروسه في جامعةٍ محلية يوم الإثنين الذي يلي ذلك. وأونور أيضًا سجَّلت لتبدأ دراستها بعد التخرُّج بيومَين.

وأنا؟ ما زلتُ أجادل؛ هل سأذهب للفصل اليوم. فما بالك بالكلية التي تبدأ بعد ستة أشهُر من الآن.

من غير الاعتيادي أن يكون هناك ثلاثة إخوة في المرحلة الأخيرة من الثانوية في وقتٍ واحد. وضعَت أُمي يوتاه في أغسطس. وحملَت فيَّ أنا وأونور بعد ذلك بشهر واحد. من الواضح أن فكرة أنَّ الرضاعة تمنع الأنثي من الحمل، هي مجرد كذبة.

عندما حان الوقت ليوتاه لأن يذهب للمدرسة. قرَّرتْ هي وأبي أن يفوِّتا سنةً لنتمكن جميعًا من الدراسة في نفس العام الدراسي. فما المَغزى من التعامل مع جداول دراسية مختلفة إن أمكنك أن تتعامَل مع جدولٍ واحد لكل أطفالك.

أعتقد أنهما لم يُفكرا بشكلٍ كافٍ مسبقًا عن دفعهما لثلاثة رسوم جامعية في نفس الوقت. لا أمانع، ولكن لا يملك والدايَ المال اللازم لدفع رسوم طالبٍ واحد. فما بالك بثلاثة. مجرد أن نبدأ الدراسة الجامعية. ستتراكَم القروض الطلابية علينا. أو عليَّ أنا فقط. يوتاه وأونور ليس عليهما القلق بشأن الرسوم الجامعية لأنهما مُتقدِّمان بعدة نقاط على أي شخصٍ آخر بالفصل. حين يتعلق الأمر بالتنافُس على المقدمة. ليس هناك شك أن أحد أبناء عائلة فوس سيكون في أعلى مركزَين في الفصل وسيحصل على المِنَح الدراسية التي تُصاحب الجوائز.

السؤال هو: مَن منهما سيحظى بالمركز الأول؟ صوتي ليوتاه. ببساطةٍ، لأنه لم يُواجه مخاطر الانشغال بالمرضى الميئوس من شفائهم طوال الوقت وحتى التخرُّج.

لستُ تنافُسية بطبيعتي. لذا لم تَعنِ لي الدرجات كما تَعني لهما. اعتدتُ أن أقع في منتصف ترتيب الفصل عند حساب متوسط الدرجات. لكني واثقة أن مُعدل درجاتي تلقَّى ضربة كبيرة الأسبوعَين الماضيَين. لم أعُد إلى المدرسة منذ اليوم الذي رحلت فيه مبكرًا إلى ميدان المدينة. قد أعود مُجددًا لكني أميل إلى العكس.

سينتقل يوتاه بعد شهرٍ أو اثنَين، ولكن من المُحتمل ألا يؤثر ذلك على معدل درجاته. فيوتاه ليس من النوعية التي تحتفل وتُضيع وقتها ويترك درجاته تنحدِر. بالإضافة إلى أنه مِن المرجح أن يكون هنا معظم الوقت لأنه لن يذهب بعيدًا. سيعيد بناء الأرضيات في منزلنا القديم الذي يقع مباشرةً خلف هذا المنزل. بمجرد أن يُنهيها، سينتقل إلى هناك. السلام والهدوء اللذان سيُوفرهما المكان سيمنحانه وقتًا أطول للمذاكرة، والتنظيف وكيٍّ ملابسه. ربما يكون أكثر طالبٍ في نهاية المرحلة الثانوية يمتلك الزيَّ الأكثر انضباطًا في مدرسة عامة لا تُعنى كثيرًا بالزيِّ الموحَّد الإجباري. بصراحة سأفرح عندما ينتقل إلى منزلنا القديم. كان هناك الكثير من التوتر بيننا لفترة.

صببتُ لنفسي كوبًا من العصير وجلستُ على الطاولة مقابل ساجان. لم يُلاحظني ولكنه حجب ما يرسُمه بذراعه الموشوم برسوماتٍ متقطعة. لاحظتُ بعض الرسومات الجديدة التي لم أُشاهدها من قبل. هناك ما يُشبه الدرع، وسحلية صغيرة بعينٍ واحدة أو ربما تغمز. كنتُ سأسأله ماذا تعني، ولكني سأُضطر للتحدُّث إليه. أبقيتُ فمي مغلقًا وحاولت أن أتلصَّص على ما يرسُمه. انحنيت للأمام وحاولتُ أن أُلقي نظرة أفضل. دارت عيناه للأعلي لتتلاقى أعيُننا. تجاهلت رعشة الطاقة التي سبَّبتْها نظرته وأجبرت نفسي على رسم تعبيرٍ صارم. قوَّس حاجبَيه والتقط كشكول الرسم متكئًا على كُرسيه للخلف. ظلَّ ينظر إليَّ ويهز رأسه في بطءٍ ليُعلِمني أنني لا أمتلك امتياز النظر إليه وهو يرسُم. لم أُرِد رؤيته على أي حال.

اهتزَّ هاتفُه فاندفع نحوَه. الْتقط الهاتف ونظر إلى الشاشة فانقلب وجهه مُحبطًا. كتم صوت الهاتف وقلَبه على ظهره، ثار فضولي لمعرفة من الذي ينتظر اتصاله في لهفة في حين أن أونور

جالسة هنا. نظر ساجان إلى أونور فحملقت في وجهِه. كان هناك تخاطُر صامت بينهما، ومعرفة احتمالية أنَّ هناك أسرارًا بينهما أشعلت النار في أحشائي.

صرفتُ انتباهي إلى موبي الذي لا يزال يَختبئ تحت الطاولة. لقد تمكن من وضع الكعكة على وجهه أكثر منها داخل فمه. «قطعة أخرى؟» تمتم بفمه. هززتُ رأسي بلا، الاعتدال. ثُم إنه لم يعُد لدينا المزيد.

دخلت فيكتوريا المطبخ مُسرعة. «موبي، تعال لتتناول وجبة الشوفان!» صاحت بذلك بصوتٍ مرتفع انتشر في كل أرجاء البيت، ولكن لو كانت تهتمُّ بطفلها مثل اهتمامها بزينتِها، لكانت لاحظَت أنه استيقَظ من نومِه، وارتدي ملابسه وتناول طعامَه.

التقطت فيكتوريا سكينًا من الخزانة وثمرةَ موز. مسحت نصل السكين في زيِّها الطبي الوردي، لتَقييم نظافته من عدمِه.»مَن الذي كان عليه غسيل الأطباق بالأمس؟» لم يَرُد أحد عليها. نادرًا ما نفعل، إلا إن كان أبي في الغرفة. فنحن لا نهتمُّ كثيرًا بفيكتوريا.

«حسنًا، أيًّا كان من أخرج الأطباق من الغسالة. تأكَّد أن الأطباق نظيفة قبل إخراجها. هذا مُقرف.» وضعَتِ السكين في الحوض وسحبَت سكينًا آخر من الخزانة. نظرت عبر المطبخ إلى أولاد زوجها الجالِسين حول الطاولة. كنتُ أنا الوحيدة التي تنظر إليها. تنهَّدَت وبدأت في تقشير الموز.

ليس لديَّ أي فكرة ماذا يرى أبي فيها. بالتأكيد هي لطيفة بالنسبة لعُمرها، بلغت للتو الخامسة والثلاثين. أصغر من أمي بعشر سنوات. ولكن هذا أقصي مزايا فيكتوريا. كانت أمًّا متسلطة لموبي. تأخُذ وظيفتَها كمُمرضة بصورة مُفرطة في الجد. لا يعني ذلك أن التمريض مهنة سيئة، لكن المشكلة مع فيكتوريا أنها لا تعرف أن تفصل بين حياتها العملية وحياتها في المنزل. هي دائمًا ما ترعى موبي وكأنه مريض. وليس طفلًا بعمر أربع سنوات مُمتلئًا بالحياة. ودائمًا ما ترتدي الزيَّ الوردي بالرغم من أنه مسموح لها بارتداء اللون والنمط الذي تُريده. أعتقد أن زيَّها الوردي هو أكثر ما يُضايقني فيها. ربما كنتُ سأُسامحها على فعلتها الشنعاء ضد أُمِّي لو ارتدت لونًا آخر ولو لمرةٍ واحدة فقط.

ما زلت أذكر اليوم الذي ارتدت فيه زيَّها الوردي. كنتُ في الثانية عشرة أجلس على نفس الطاولة. عندما نزلت من الطابق الثالث. الذي كان أبي وأمي المريضة يتشاركانه. ظلَّت مُمرضة

لأَمي لمدة ستة أشهر، في الواقع كانت تُعجبي نوعًا ما حتى ذلك الصباح. على أية حال.

كان أبي يجلس قُبالتي يقرأ الجريدة عندما نظر إليها وابتسم. «الوردي يبدو جميلًا عليك بحق يا فيكتوريا.»

أعرف أنني كنتُ صغيرة، لكن حتى الأطفال يمكنهم تمييز المُغازلة، خصوصًا إن كانت تتضمَّن واحدًا من الوالدَين المتزوجَين.

منذ ذلك اليوم وفيكتوريا ترتدي أزياء العمل بدرجاتِ الوردي فقط. كثيرًا ما أتساءل إن كانت علاقتهما بدأت قبل أم بعد لحظة الغزل تلك في المطبخ. أحيانًا يَستهلكني الفضول كثيرًا. أردتُ سؤالهما بالضبط عن الساعة التي بدَءا فيها تحطيم حياة أُمي. ولكن سيعني هذا مناقشة سِرٍّ في العلن. ونحن لا نفعل ذلك في هذه العائلة. نحن نحتفظ بأسرارنا مدفونةً أعمق من القبر الذي تمنَّت فيكتوريا أن تفعلها أُمي وتسقط فيه. أبقَيا علاقتهما سرًّا لمدة عام. فترة كافية ليُدركا أن إصابة أُمي بالسرطان لن تقتُلها في النهاية، ولكنها لم تكن طويلةً بشكل كافٍ لمنع فيكتوريا من أن تحمل. علق أبي بين المطرقة والسندان عند تلك النقطة. فأيًّا كان القرار الذي سيتَّخِذه، سيظل وغدًا في كل الأحوال. كان بإمكانه أن يختار ألا يهجُر زوجتَه التي هزمت السرطان للتو. لكن لو اختار زوجتَه فهذا يعني تخلِّيه عن عشيقته التي حملت منه.

حدث ذلك منذ فترة طويلة للغاية، لستُ متأكدة كيف اتخذ قراره. لا أذكر كثيرًا المعارك التي دارت بين البالِغين. ولكني أذكر عندما تناقش أبي وأُمي حول أين ستعيش زوجته الجديدة وطفلُه، اقترحت أن ينتقل إلى المنزل القديم خلف دولار فوس ويتركها هنا لتعتني بنا نحن الأطفال. رفض اقتراحها بدعوى أنها ليست في حالة عقلية أو جسدية تسمح لها بالعناية بنا من دون مساعدة. وللأسف كان على صواب.

تعرَّضت أُمي لحادث سيارة في فترة حملِها بي وبأُختي، ولم تُكمل تعافيها أبدًا. بالنسبة لنا نحن الأطفال، كانت دائمًا الشخص نفسه، على اعتبار أننا لم نرَها قبل الحادث. لكننا علِمْنا أنها تغيرت بسبب الطريقة التي يُشير بها أبونا للأشياء. فيقول «قبل الحادث عندما كانت أُمُّكم قادرة على...» أو «قبل الحادث عندما كنَّا نخرج للعطلات...» أو «قبل الحادث عندما لم تكن مريضة للغاية...»

لم يقُل تلك الأشياء أبدًا على سبيل التجريح. لا أعتقد ذلك. لقد كانت فقط حقائق. فهناك فيكتوريا فوس «ما قبل الحادث» وفيكتوريا فوس التي لدَينا الآن كأمٍّ. فإن لم تحتسِب ظهرها العليل، صراعها لعامَين مع سرطان المخ، أو العرج الخفيف في خطوتها، أو الرهاب الاجتماعي الشديد الذي أبقاها في القبو لأكثر من عامَين، وبعض الندبات على ذراعِها الأيمن، وعدم مَقدرتها على إكمال اليوم من دون أن تحصل على غفوتَين على الأقل، فيمكن القول أنها عادية نسبيًّا.

حاولنا أن ندفعها لترك القبوِ والتفاعل معنا طوال الوقت. آخِر مرة تركت القبو كانت لحضور جنازة كيرك. وهذا فقط، لأنَّ أونور بكت بشدة وترجَّتْها للحضور. ولكن بعد ذلك عندما مرَّت أول سنة على عُزلتها وبدت أُمُّنا وكأنها تتعايش جيدًا مع حياتها في القبو، لم يكن أمامنا خيار سوى تقبُّل الأمر. بمساعدة يوتاه وأونور وأنا، يتم الاطمئنان عليها كلَّ يوم. لا يزال أبي يشتري لها كل المواد الغذائية وأحرص أنا وأونور أن يظلَّ مطبخها الصغير مُجهزًا بالمُؤَن. لا تحتاج لدفع الفواتير لأن أبي يتكفَّل بتغطية نفقات كل المنزل.

المشكلة الوحيدة التي ظهرت خلال العامَين اللذين انعزلت فيهما كانت ظروفها الصحية. لحسن الحظ وجد أبي طبيبًا يُجري زيارات منزلية متى دعَتِ الحاجة لذلك. وبما أنها ترفض زيارة طبيب نفسي لأجل رُهابها الاجتماعي، لم يكن أمامنا خيار سوى قبوله. الآن لديَّ شعور عندما نُغادر ثلاثتنا إلى الجامعة العام المُقبل، ستُطالب فيكتوريا بنقل أُمي خارج المنزل. ولكن هذه ليست هي المعركة التي يُريد أحدٌ خوضها قبل الأوان، خصوصًا وهي تعرف بأنَّني وإخوتي سنقِف دفاعًا عن أُمِّنا.

لقد استسلمَت فيكتوريا لفكرة التظاهُر بأن أُمي غير موجودة، بنفس الطريقة التي نتظاهر بها أنا وإخوتي بأن فيكتوريا غير موجودة، لا نري المَغزى من مُصادقة امرأة نحتقرها، فقط لأنها أُمٌّ لأخينا غير الشقيق. منذ اليوم الذي دخلت فيه فيكتوريا حياتنا، لم تعُد عائلتنا كما كانت، وبينما نُحمِّل والدنا مسئولية نصف مشاكل عائلتنا، ما زال عليه أن يُحبنا، ما يُصعِّب علينا لومَه أكثر من فيكتوريا التي لا تُحبنا حتى.

رتَّبَت فيكتوريا قِطَع الموز في طبقات فوق وعاء موبي من الشوفان، ونادته:

ـ «موبي، تعال لتتناول إفطارك!»

زحف موبي خارجًا من تحت الطاولة ونهض قائلًا: «أنا لستُ جائعًا» ومسح بُقَع السكر من على فمه في كم قميصه. لا يمكن إخفاء أنه الْتَهم كعكة مُحلاة للتو. ولا فائدة من محاولة اخفاء أنني مَن أعطاها له.

«موبي،» قالت فيكتوريا وهي تُقربه منها، «بحق العالَم ما الذي يُغطي جسدك كله...» ها نحن نبدأ.

ـ «ميريت! طلبتُ منك ألا تُعطيه كعكًا.»

نظرتُ إلى فيكتوريا ببراءة بينما دخل أبي الغرفة، فحوَّلَت انتباهها إليه، وهي تلوِّح بالسكين الذي استخدمته لتقطيع الموز في الهواء: «ميريت أعطت موبي كعكةً مُحلاة على الإفطار!»

حرّك أبي أصابعه برفق حول معصمها وأمسك السكين، وانحنى وقبَّلَها على خدها ووضع السكين على الطاولة. وعثر عليَّ مِن بين زحام أطفاله.

ـ «ميريت، لقد تحدثنا عن ذلك. افعليها ثانيةً وستُعاقَبين.»

أومأت، على افتراض أن تلك النهاية. ولكن فيكتوريا لم تتوقَّف عند هذا الحد. لأن كعكة مُحلاة على الإفطار تساوي نهاية العالَم وتستحق كل هذا الهلع.

«أنت لا تُعاقبهم أبدًا» قالت بنبرة اتِّهامية وهي تحمِل وعاء الشوفان وتمشي به إلى سلة المهملات. أفرغت محتويات الوعاء بغضب في السلة مُكملة: «لم أرك مُطلقًا تُوقع عليهم عقوبة واحدة يا برنابي. لذلك يتصرفون على هذا النحو.»

نحن أبناؤه الأكبر، هذه هي الحقيقة. أبي لا يُطلِق سوى التهديدات الجوفاء والقليل من الأفعال. وهذا أكثر ما أُفضله فيه.

ـ «حبيبتي، استرخي قليلًا. ربما لم تعرف ميريت أنها لا يجِب أن تُعطيه كعكة اليوم.»

لا شيء يُزعج فيكتوريا أكثر من أن يأخذ أبي جانبنا على جانبها. قالت: «بالطبع تعرف ميريت. ولكنها لا تستمِع إليَّ. لا أحد منهم يفعل.» رمت فيكتوريا الوعاء في الحوض وانحنت لتحمِل موبي. وضعته على الطاولة بجوار الحوض وبلَّلت منديلًا لتمسح له بقايا الكعكة على فمه. «موبي لا يمكنك أكل الكعك المُحلى. فهو سيئ جدًّا لصحتك. يجعلك ناعسًا. وعندما تكون ناعسًا لن يُمكنك أن تركز في المدرسة.»

لا تُهم حقيقة أنه في الرابعة من عمره ولم يذهب إلى مدرسةٍ حقيقية بعد.

ارتشف أبي من فنجان قهوته ومدَّ يدَه نحو موبي مُربتًا على شعره وقال: «استمع إلى أمك يا صديقي.» ثم حمل قهوته والجريدة إلى الطاولة وجلس بجواري. وأعطاني نظرةً تقول إنه ليس سعيدًا بي. حدقتُ فيه على أمل أن يطلب منِّي الاعتذار أو أن يسألني لِمَ كسرت إحدى قواعد فيكتوريا مُجددًا. لكنه لم يفعل، مما يعني أن إضرابي عن الكلام لا يزال صالحًا لليوم الرابع.

تساءلت: هل سيُلاحظ أحدهم صمتي؟ لا أتعمَّد الصمت دومًا. فأنا في السابعة عشرة. بالكاد طفلة. ولكني أشعر بأنني غير مرئية في هذا المنزل مُعظم الوقت، وأنا فضولية لأعرف كم سيستغرقهم الوقت لملاحظة أنني لم أتحدَّث لفترة.

أعرف أنها عدوانية سلبية بعض الشيء. ولكن ليس الأمر وكأنني أفعل ذلك لأثبت لهم شيئًا. الأمر ببساطة أنني أريد إثبات شيءٍ لنفسي. تساءلت: هل يمكن أن أفعلها لمدة أسبوع كامل. قرأتُ مرة اقتباسًا يقول. «لا تجعل حضورك معروفًا. ولكن اجعل غيابك محسوسًا.» لا أحدَ في تلك العائلة يلاحظ حضوري أو غيابي. كلهم يلاحظون أونور. لكني وُلِدتُ بعدها بثوانٍ. مما يجعلني نسخة باهتة من الأصل.

«ما الذي ستكتُبه على اللافتة اليوم يا يوتاه؟» سأل والدي.

إنه لأمر سيئ بما فيه الكفاية أنَّ كل رعايا الكنيسة السابقين ما زالوا يُكنون الضغينة تجاه أبي لشراء هذا المنزل، ولكن تلك اللافتة ستَغرِز السكين أعمق. أنا متأكدة أن الاقتباسات اليومية التي لا علاقة لها بالمسيحية ستُثير غيظ الناس. فاقتباس الأمس كان: «لقد أكل تشارلز داروين من كل حيوانٍ اكتشفَه». بحثتُ عن تلك المعلومة على جوجل لأنها أكثر جنونًا من أن نُصدِّقها. لكنها كانت حقيقية.

قال يوتاه: «سترى خلال خمس دقائق.» وترك ما تبقَّى من مشروبه مبتعدًا عن الطاولة.

صاحت أونور: «انتظر، ربما عليك تأجيل تحديث اللافتة اليوم. بدافع من الاحترام.»

حدّق يوتاه مشدوهًا في أونور. مما يدل على أن لا أحد منَّا يعرف ما الذي تتحدّث عنه.

نظرَت إلى أبي وقالت: «تُوفيَ القس برايان ليلة الأمس.»

على الفور ركزتُ انتباهي على أبي على إثر ذلك الخبر. نادرًا ما يُظهر مشاعره. ولست واثقة أي نوع من المشاعر سيجلبه الخبر. لكن بالتأكيد سيكون شيئًا ما. دمعة؟ ابتسامة؟ حدَّق في

أونور بهدوءٍ بينما يستوعب الخبر.

ـ «حقًّا مات؟»

أومأت: «نعم، رأيتُ الخبر على الفيسبوك هذا الصباح. بسكتة قلبية.»

أراح أبي ظهره على ظهر المقعد وقبض على فنجان قهوته، ثم نظر إلى الفنجان قائلًا: «مات؟»

وضعت فيكتوريا يدَها على كتف أبي وقالت له شيئًا. لكني لم ألتفِت إليها. حتى تلك اللحظة كنتُ قد نسيت كل شيء عن ظهور وولفجانج الليلة الماضية.

وضعتُ يدي على فمي لأني أردتُ فجأة أن أقول كل شيء عن ظهور الكلب في منتصف الليل. ولكني شعرتُ أنني أختنق.

بالتأكيد يُفكرون بأنني لم أُبدِ أي ردِّ فعلٍ على خبر وفاة القس برايان. ولكن إدراك أن الكلب عاد إلى البيت الوحيد الآخَر الذي عرفَه مزَّقَني.

نعتتني أونور مرةً بالمختلة اجتماعيًّا في أحد شجاراتنا. سأبحث عن تلك الكلمة لاحقًا. ربما فيها بعضٌ من الحقيقة.

قال أبي: «لا أُصدق أنه مات.» وقف فانزلقت يد فيكتوريا من فوق كتفه لأسفل ظهره، أكمل: «لم يكن أكبر منِّي كثيرًا.»

بالطبع ذلك الذي ركَّز عليه. عمر القس برايان. هو لا يهتم بموت الرجل الذي تقاتل ضده لسنوات بقدْر اهتمامه بأنه قريب في العمر من رجلٍ كبر كفاية ليسقط ميتًا بالسكتة القلبية.

ما زال يوتاه مُتوقفًا عند الباب. بدا وكأنه في حالةٍ من عدم التصديق. قال: «لا أعرف ماذا أفعل، إن لم أذكر وفاته على اللافتة، سيتَّهِمُنا الناس بانعدام المشاعر. وإن ذكرتُ وفاته سيتَّهمُنا الناس بانعدام الصدق.»

يا له من شيءٍ غريب لنقلق بشأنه في تلك اللحظة.

مزَّق حبيب أونور رسمتَه من الكشكول وأخذ يُحدق فيها: «يبدو أنك ستخسر في الحالتَين، لذا افعل ما يتماشى مع إحساسك.» قالها دون أن يرفع نظره عن الرسمة. ولكن كلماته وصلت يوتاه على كلِّ حال. لأنه بعد لحظةٍ مختصرة من التوقُّف مشى عبر الباب الأمامي في اتجاه اللافتة.

كنتُ مشوشة لسببَين، الأول هو الوجود الدائم والمُتكرر لحبيب أونور على مائدة إفطارنا. والثاني حقيقة شعوري بأن الجميع يعرفونه جيدًا لدرجة أن لا مشكلة لدَيهم إطلاقًا لاشتراكه في مُحادثات العائلة. أليس من المُفترَض أن يكون متوترًا من الحديث؟ خصوصًا في وجود أبي. لم يظهر هنا سوى من أسبوعَين. مقابلة عائلة حبيبته بدا مُلائمًا له للغاية. لقد كرهتُ ذلك. وكرهت أيضًا أنه لا يبدو من الأشخاص المُحبِّين للحديث كثيرًا. ولكن الأشياء القليلة التي يقولها لها وزن أكبر مما لو قال شخصٌ آخر نفس الكلام.

ربما هذا جزء من أسباب قراري بالبدء في الإضراب عن الحديث. لقد مللتُ من كل ما أقول دون أن يَعني شيئًا لأحد. سأتوقف عن الحديث، حتى يتم وضع كلامي في الاعتبار عندما أتحدّث. الآن يبدو أنه في كل مرة أتكلم. تدور كلماتي وترتدُّ في فمي مثل اليويو، وأكون مضطرة إلى ابتلاعها ثانية.

سأل موبي: «ما السكتة القلبية؟»

انحنت فيكتوريا لتُساعد موبي على ارتداء سترته. أجابته: «عندما يتوقف قلبك عن العمل ويسقط جسدك نائمًا. ولكنها تحدُث عندما تكبر في العمر، لرجل عجوز مثل القس برايان.»

ـ «سقط جسدُه في النوم؟»

أومأت فيكتوريا.

ـ «إلى متى؟ متى سيستيقظ؟»

ـ «ليس لفترة طويلة.»

ـ «هل سيتم دفنه؟»

ـ «نعم»

بدت فيكتوريا مُنزعجةً من الفضول الطبيعي لطفل في عمر أربع سنوات. فأغلقت سحَّاب سترته قائلة: «ارتدِ حذاءك.»

ـ «لكن ماذا يحدث عندما يستيقظ؟ هل سيتمكن من الخروج من تحت الأرض ثانية؟»

ابتسمت، فأنا أعرف كراهية فيكتوريا لإخبار موبي بالحقيقة. هو يسأل الأسئلة المعتادة عن الحياة وفيكتوريا تختلق أكثر الإجابات غرابة. ستفعل أي شيءٍ لتحمِيَه من الحقيقة. سمعتُه

مرة يسأل عن معنى الجنس. فأخبرته أنه مُسلسل سيئ من الثمانينيات لا يجِب عليه مشاهدته أبدًا.

وضعت يدَيها على وجنتَي موبي وقالت: «نعم يمكن أن يخرج من تحت الأرض عندما يستيقظ. سيدفنون مع القس برايان هاتفًا حتى يُمكنه الاتصال وإخبارهم متى يحفرون مرة أخرى لإخراجه.»

انفجرت ضحكات أونور وسكبَتِ العصير في كل مكان. ناولها يوتاه منديلًا وهمس لفيكتوريا: «هل تعتقدِين أن هذا صحِّي أكثر من إخباره بالحقيقة؟»

تابعنا جميعًا المحادثة بافتتان. شعرَت فيكتوريا بذلك لأنه بالرغم من فشلها البائس، إلا أنها بذلت ما في وسعها لإخماد أسئلة موبي. قالت وهي تجذبه من يده : «لنذهب للعثور على حقيبتك.». لكنه توقَّف عن اللحاق بها قبل أن يصلا إلى الصالة.

ـ«لكن ماذا لو فرغت بطارية الهاتف وجسدُه نائم؟ هل سيظل عالقًا تحت الأرض للأبد؟»

أمسك أبي موبي من يده، مُتدخلًا لإنقاذ فيكتوريا اليائسة: «تعال يا صديقي. حان وقت الذهاب.»

عندما وصلوا إلى الزاوية عند الصالة، سمعتُ موبي يقول: «ألم يحن الوقت لجسدك أن ينام يا أبي؟ لقد كبرت في السنِّ أيضًا.»

بدأت أونور في الضحك. وأعتقد أن صديقها ضحك كذلك. ولكن ضحكته هادئة فلم أُرِد أن أنظر إليه. غطَّيتُ فمي. لأني لم أكن واثقة هل يُعتبر الضحك عاليًا ضد إضرابي عن الحديث. لكن مهارات فيكتوريا في الأمومة مُثيرة للضحك كثيرًا.

حدَّقت فيكتوريا فينا جميعًا ويداها على فخذَيها. تُشاهدنا ونحن نضحك. أصبح وجهها ورديًّا تمامًا كملابسها، فانسحبت بنعومةٍ من الغرفة. متجهةً نحو القطاع الثالث من البيت. كنت سأشعُر بالأسف نحوَها لو لم تجلب ذلك لنفسها.

بدأ يوتاه وأونور في حزْم أغراضهما. مشيتُ إلى الحوض متظاهرةً بالانشغال. آمِلة أن يسألني أحدهما إن كنت سأذهب إلى المدرسة اليوم. عادة كنت أستقل سيارة مختلفة عنهما لأنهما يمكثان إلى ما بعدَ الدراسة. أونور بسبب تمارين التشجيع، ويوتاه لـ... أيًّا كان ما يفعله يوتاه

بعد المدرسة. لستُ متأكدة حتى. ذهبت إلى غرفتي، غالبًا لأتجنَّب النظر إلى حبيب أونور لأنه في كل مرة، أستعيد الشعور بشفتَيه على شفتيَّ منذ ذلك اليوم في الميدان.

انتظرتُ في غرفتي واستمعت إلى الباب الأمامي يُفتَح ويُغلَق، وحتى حينها انتظرت لعدة دقائق أكثر. عندما عمَّ المنزل الهدوء أخيرًا. وتأكدتُ أنهم ذهبوا. فتحتُ باب غرفتي ومشيتُ بهدوء تجاه المطبخ للتأكُّد من أن المكان خالٍ. أُمي بالأسفل ولكن احتمالات أن تخرج من القبو لتسأل لِمَ فوَّتُ المدرسة أقل من احتمالات هزيمة الكاوبويز للباكرز الليلة.

وبالحديث عن ذلك. لقد أُحبِطتُ قليلًا لأن أبي وفيكتوريا لم يلاحظا تمثال المسيح قبل رحيلهما.

في طريقي إلى المطبخ، لفتت انتباهي اللافتة المُعلقة على النافذة. أدرتُ عينيَّ لأقرأ الكلمات التي اختارها يوتاه للعرض.

«في العالم هناك طيور فلامنجو مُزيفة أكثر من الحقيقية.»

تنهَّدتُ، شعرت بالخيبة من يوتاه. لو كنتُ مكانه، لأبديت احترامي للقس برايان. إما هذا أو لم أكُن لأُحدِّثها على الإطلاق. ولكنَّ تحديثها من دون ذِكر وفاة الرجل الذي أنشأ تلك اللافتة بالتحديد بدا... لا أعرف... كشيءٍ يتوقَّعه الناس من عائلة فوس. وأنا لا أُحب تعزيز انطباعهم السلبي عنَّا.

نظرتُ إلى غرفة المعيشة وبعدها إلى المطبخ، تساءلتُ ماذا سأفعل بنفسي اليوم. كلمات مُتقاطعة مرة أخرى؟ لقد تحسنتُ فيها كثيرًا. جلست على الطاولة مع كتاب الكلمات المتقاطعة نصف المُنتهي. قلَّبت الصفحات إلى الصفحة التي انتهيتُ عندها يوم الجمعة وبدأتُ في الصفحة التي تلِيها.

وصلتُ إلى السؤال الثالث قبل أن يبدأ الشك في التسرُّب إلي. الأمر ليس مُهمًّا. يحدث هذا يوميًّا منذ أن توقفتُ عن الذهاب إلى المدرسة. شعور بالذعر يُطل برأسه القبيح مما يجعلني أتساءل عن اختياري.

ما زلتُ غير متأكدة لِمَ توقفتُ عن الذهاب. لم تكن هناك حادثة واحدة كارثية أو مُحرجة تشجعني على قراري. مجرد أكوام من الصغائر التي استمرَّت في التراكُم حتى أصبح من الصعب تجاهلها. هذا بالتوازي مع قُدرتي على اتخاذ القرارات من دون أن أُفكر فيها ثانية.

في دقيقةٍ كنت في المدرسة، الدقيقة التي تلتها قررتُ الذهاب لفرز التُّحَف بدلًا من تعلُّم كيف خسِرنا بشكل رهيب معركة ألامو.

أُحب العفوية. ربما أُحبها لأن يوتاه يكرهها كثيرًا. هناك إحساسٌ بالتحرُّر عند رفض القلق من المواقف المُقلقة. بغضِّ النظر عن مقدار الوقت أو التفكير الذي تُخصصه لاتخاذ القرار. في النهاية إما أن تكون مُحقًّا أو مُخطئًا. بالإضافة إلى اكتسابي الكثير من المعرفة هذا الأسبوع بحلِّ الكلمات المتقاطعة أكثر مما كسبتُه طوال سنتي النهائية في المدرسة الثانوية. لهذا أحل لغزًا واحدًا في اليوم. لا أريد أن أُصبح أكثر ذكاءً من أونور ويوتاه.

أنهيتُ اللُّغز وأغلقت الكتاب، وحينها فقط لاحظتُ الرسمة المتروكة على الطاولة. كانت موضوعة رأسًا على عقب أمام المقعد الذي جلستُ عليه في الصباح. مددتُ يدي عبر الطاولة، سحبتُ الرسمة تجاهي وقلبتُها.

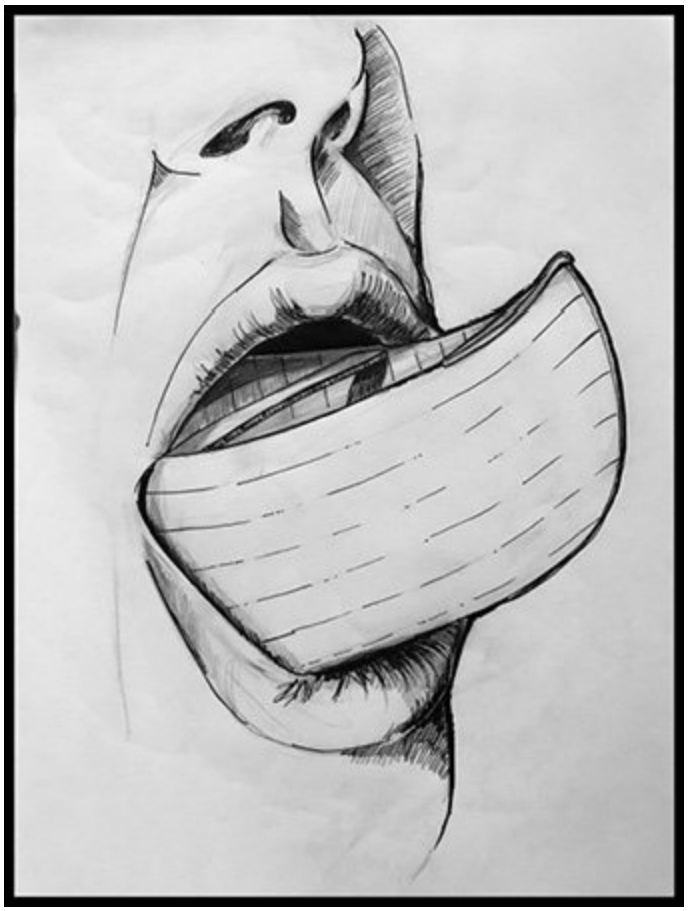

رسوماته ليس لها أي معنى. ما الذي قد يدفعه إلى رسم صورة لشخصٍ يبتلِع قاربًا؟

قلبتُها ونظرت إلى الجزء الخلفي منها. وجدتُ مكتوبًا أسفلها: «لو كان الصمت نهرًا، لكان لسانك هو القارب».

قلبتُ الرسمة مرة أخرى وحدقت فيها للحظة، وأنا مندهشة تمامًا. هل رسم هذا بوحيٍ منِّي؟ هل كان هو الوحيد في هذا المنزل الذي لاحظ أنني لم أتحدَّث منذ يوم الجمعة؟

«لقد لاحظ بالفعل» همست.

وضعتُ الرسمة فورًا على الطاولة وتأوَّهت. لقد أفسدتُ للتو نذْر صمتي..

«اللعنة.»

# الفصل الرابع

لِكَم من الوقت سيكفي؟» سألت المسئولة عن الخزانة في السوبر ماركت، وأنا أُسقط كيس طعام الكلاب الذي يبلُغ وزنه خمسين رطلًا أمامها.

سألتني: «أي نوع من الكلاب؟»

ـ «كلب لابرادور كامل النمو.»

ـ «واحد فقط؟»

أومأتُ بالإيجاب فقالت: «ربما شهر. شهر ونصف.»

أوه. كنتُ أظن أسبوعًا. قلت: «لا أعتقد أنه سيعيش معنا لفترةٍ طويلة.»

أخبرتني بالمبلَغ الإجمالي فدفعت ببطاقة ائتمان والدي. التي طلب منِّي ألا أستخدِمها إلا في حالات الطوارئ. بالتأكيد الطعام يُمثل حالة طارئة بالنسبة إلى وولفجانج.

«هل تحتاجين إلى مساعدة في حملها؟» سألني شخصٌ يقف خلفي.

«لا، شكرًا،» قلت، وأنا أتناول إيصالي. استدرتُ لمواجهته وأكملت: «إنها حقيبة واحدة فقط.. ماذا ترتدي؟» لم أقصد أن أقول ذلك بصوتٍ عالٍ ولكني لم أتوقَّع أن أقابل أمثال الرجل الذي أُحدِّق به الآن.

تُطل من تحت قُبعته خصلات متفرقة من الشعر الأحمر، مُشرقة جدًّا بحيث لا يمكن أن تكون حقيقية. زاهية جدًّا، لدرجة أنها مُسيئة تقريبًا. وجهه جميل، يوجَد بعض الديفوهات هنا وهناك. لكنني لم أهتم بها كثيرًا لأن عينيَّ اتجهتا مباشرة إلى التنورة الاسكتلندية التي يرتديها. أعتقد أن التنورة نفسها لا تُزعجني بقدر الملابس التي اختار إقرانها بها. قميص كرة سلة وحذاء نايكي باللون الأخضر النيون. مزيج مُثير للاهتمام.

نظر الرجل إلى ملابسه. وقال ببراءة: «إنه قميص كرة سلة. هل تكرهين بليك غريفين؟»

هززتُ رأسي: «الرياضة ليست من اهتماماتي»

وضع ما يُشبه مخزونًا مدى الحياة من لحم البقر المُقدَّد أمام الخزانة. لففتُ ذراعي حول كيس طعام الكلاب الضخم وتوجَّهت إلى سيارتي.

السيارة التي أقودها ليست ملكي بالضبط، ذلك لأن أبي لم يحتفظ قطُّ بسيارة لفترة كافية حتى يتمكن أيٌّ منَّا من المُطالبة بملكيتها. تتبدل السيارات دائمًا في ممرِّنا والقاعدة الوحيدة هي أنَّ أيَّ شخصٍ يُغادر المنزل مبكرًا كل يوم يختار سيارته أولًا. أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقي وراء التزام يوتاه الشديد بالمواعيد.

في الشهر الماضي ظهرت سيارة فورد EPX موديل 1983 باللون الأحمر الباهت في الممر. إنها سيارة فظيعة، توقَّفوا عن تصنيعها بنفس السرعة التي بدءوا بها. أعتقد أن أبي كان يُواجِه مشكلة في بيعها لأنها أكثر سيارة بقِيَت لدَينا. وبما أنني نادرًا ما أغادر المنزل في الوقت المُحدد، فقد كنت أقود سيارة الفورد المؤسفة هذه أكثر من بقية أفراد العائلة معًا.

وضعتُ كيس طعام الكلاب في صندوق السيارة وأوشكت على فتح الباب الأمامي عندما ظهر رجل التنورة من العدم. كان يمضغ قطعةً من لحم البقر المُقدَّد، ويُقيِّم سيارتي وكأنه على وشك سرقتها. مشى باتجاه مقدمة السيارة ونقر بحذائه النايكي ذي اللون الأخضر النيون على الإطار الأمامي مرتَين.

«هل يُمكنك تَوصيلي؟» نظر إليَّ واتكأ على السيارة. على الرغم من التنورة، إلا أن لكنتَه لم تحوِ أيَّ أثر للَّكنة الاسكتلندية. لا يُوجَد أيضًا أي أثر للكنة تكساس. لكن عندما قال الكلمة «أنت»، بدا بريطانيًّا بعض الشيء.

«ما هذه اللكنة؟» سألته. وأنا أفتح باب سيارتي وأقف خلفه لأضع حاجزًا بيننا. يبدو غير مؤذٍ، لكني لا أُحب ثقته بنفسه. أحتاج أن أحمي نفسي منه. لا ينبغي أبدًا الوثوق بالأشخاص الواثِقين في أنفسهم بشكلٍ مُفرط.

هزَّ كتفَيه. «أنا من كل مكان»، قال، لكن بلكنةٍ أسترالية.

ـ «أوه؟ هل أنتَ أسترالي؟»

ـ «لم أزُرها قط، ما نوع هذه السيارة؟» مشى إلى الجزء الخلفي من السيارة ليرى طرازها.

ـ «فورد إي بي إكس، سيارة مُنقرضة، إلى أين ستذهب؟»

عاد من الجزء الخلفي من السيارة، ووقف على نفس الجانب من الباب مثلي. قال: «بيت أُختي. إنه على بُعد بضعة أميال شرقًا من هنا.»

أعطيتُه موافقتي. أدرك مدى غباء توصيل شخصٍ غريب تمامًا. خاصة شخصًا غريبًا يرتدي تنورة ولا يبدو أنه يُتقن لهجته الخاصة. كل شيءٍ حوله يبدو غير مستقر، لكن عفويتي ورفضي المُوازنة بين عواقب قراراتي هما الشيئان المُفضَّلان لدي.

«بالتأكيد. أنا مُتجهة شرقًا.» جلستُ في مقعد السائق وأغلقت بابي. ابتسم لي من خلال النافذة وركض نحو جانب الراكب. يجِب أن أتَّكئ على المقعد لفتح الباب حتى يتمكَّن من فتحه.

ـ «أعطني ثانية لآخُذ أغراضي.»

انطلق بسرعةٍ عبر ساحة انتظار السيارات حتى وصل إلى كومةٍ من الأشياء المسندة بجوار المدخل الأمامي للمتجر. أمسك حقيبة الظهر ورماها على كتفِه، ثم كيس قمامة أسود سعة ثلاثين جالونًا وحقيبة صغيرة على عجلات.

وافقت على منحه توصيلة. لكن ليس هو وكل ما يملِكه.

فتحت صندوق السيارة وانتظرتُه حتى ينتهي من تحميل أمتعته. عندما دخل السيارة، وضع حزام الأمان وابتسم لي. «ها أنا مُستعد.»

ـ «هل أنت مُتشرد؟»

ـ «حدِّدي معنى كلمة متشرد».

ـ «شخص بلا بيت»»

ضاقت عيناه مفكرًا وقال: «حدِّدي معنى كلمة بيت.»

هززتُ رأسي: «أنت أغرب شخصٍ قابلتُه على الإطلاق.» أدرتُ السيارة ووضعتها في الاتجاه المعاكس.

ـ «من الواضح أنك لا تُقابلين الكثير من الناس. ما اسمك؟»

ـ «ميريت.»

«أنا لاك.»

ألقيتُ عليه نظرة سريعة قبل الانطلاق إلى الطريق السريع وسألته «لاك؟ حظ؟ هل هذا لقب؟»

ـ «لا.»

فتح حاوية لحم البقر المُقدَّد وقدَّم لي قطعة. فهززتُ رأسي رافضة. سألني: «هل أنت نباتية أو شيءٌ من هذا القبيل؟»

ـ «لا، أنا فقط لا أُحب أكل اللحم المُقدد.»

ـ «لديَّ ألواح الجرانولا في حقيبتي.»

ـ «أنا لست جائعة.»

ـ «هل تشعُرين بالعطش؟»

ـ «لماذا؟ ليس لدَيك حتى مشروب لتُقدمه لي إذا كنتُ كذلك.

ـ «كنتُ سأقترح عليك المرور إلى أيِّ منفذٍ للبيع في طريقنا، هل أنت عطشانة؟»

ـ «لا.»

ـ «كم عمرك؟»

بدأت أشعر بالندم على عفويتي. أجبتُه: «سبعة عشر.»

ـ «لماذا لستِ في المدرسة الآن؟ هل اليوم عطلة؟»

ـ «لا. لقد انتهيتُ من المدرسة الثانوية.» إنها ليست كذبة. الانتهاء والاكتفاء شيء واحد.

قال وهو يُوجِّه انتباهه إلى خارج نافذته: «عمري عشرون عامًا». هزَّ ركبتَه لأعلى ولأسفل ونقر بأصابع يدِه اليُمنى على ساقه. كل تململُه جعلني أتساءل عن قراري بمنحه توصيلةً إلى منزل أخته. دوَّنتُ ملاحظة ذهنية للتدقيق من بؤبؤَي عينَيه إذا واجهَني مرةً أخرى. سيكون من حظِّي السيئ أن ألتقط شخصًا غريبًا عشوائيًّا تحت تأثير المُخدر.

ـ «كم عدد الكلاب التي لديك؟» كان لا يزال يُحدق من النافذة وهو يسألني.

ـ «ولا كلب.»

واجهَني وجعَّد جبينه. فاغتنمتُ هذه الفرصة لتقييم بؤبؤَي عينَيه. بدَوا طبيعِيَّين.

ـ «لماذا تشترين طعام الكلاب إذا لم يكن لديك كلاب؟»

ـ «إنها لكلبٍ في منزلي، لكنه ليس كلبنا.»

ـ «هل تُجالِسينه؟»

ـ «لا.»

ـ «هل سرقته؟»

«لا.»

ـ «أي نوع من الكلاب هو؟»

ـ «لابرادور أسود.»

ـ «أنا أُحب هذا النوع. أين تعيشين؟» عقدتُ حاجبيَّ ليفهم استيائي من هذا السؤال المُتطفل، فأجاب على الفور: «لم أقصد عنوانك بالضبط. لقد قصدتُ فقط فيما يتعلق بالمكان الذي سأذهب إليه».

ـ «لا أعرف. لا أعرف إلى أين أنت ذاهب.»

ـ «إلى منزل أختي.»

ـ «أين تسكن أختك؟»

هزَّ كتفَيه وقال: «مِن هنا»، مشيرًا إلى الاتجاه الذي نسير فيه. سحب هاتفه من جيبه وأكمل: «لديَّ صورة لمنزلها.»

ـ «أنت لا تعرف عنوانها؟»

هز رأسه نافيًا وقال: «لا، ولكن إذا كان بإمكانك أن تُوصِّليني إلى مكانٍ ما في المنطقة العامة، فيُمكنني أن أسأل.»

ـ «المنطقة العامة أين؟»

ـ «المنطقة العامة لمنزل أختي.»

ضغطتُ بيدي على جبهتي. لم يمضِ خمس دقائق على معرفتي بهذا الشاب وكنت بالفعل في حيرة. ليس لديَّ أي فكرة عما إذا كنتُ أُحبه أم لا أستطيع تحمُّله. إنه ظريف بعض الشيء، ولكن مُزعج أيضًا بعض الشيء. من المُحتمَل أنه أحد هؤلاء الأشخاص الذين لا يمكن التسامُح معهم إلا على فترات. نوع مثل عاصفة رعدية. مُمتعة إذا حدثت فقط عندما تكون في حالة مزاجية مناسبة. ولكن إذا حدثت في وقتٍ غير مناسب، كما هو الحال في حفل زفافٍ في الهواء الطلق، فإنها تُفسد كل شيء.

ـ «كيف أنهيتِ دراستك في هذا السن؟ هل أنت واحدة من هؤلاء الأشخاص الأفضل في كل شيءٍ من أي شخصٍ آخر؟ مثل آدم ليفين؟ من المُحتمَل أنك تعزفين على الجيتار.»

ـ ماذا يعني ذلك حتى؟ لا، أنا لا أعزف على الجيتار. وأنا لستُ أفضل في كل شيء. أنا لستُ جيدة في طرح الأسئلة مثلك.»

ـ «أنت أيضًا لا تُجيدين الإجابة على الأسئلة.»

هل هو يُهين مهاراتي في المحادثة؟ قلت: «لقد أجبتُ على كل سؤال طرحته.»

ـ «ليس بالطريقة التي من المُفترَض أن تُجيبي بها على الأسئلة.»

«هل هناك طريقة أخرى للإجابة على الأسئلة غير إعطاء الإجابة الصحيحة؟»

أومأ: «أنت تُعطين إجابات قصيرة، وكأنك غير مُهتمة بإجراء محادثة. ينبغي أن تكون المحادثة مثل مباراة البنج بونج، رياضة ثنائية. ولكن معك يبدو الأمر أشبَهَ بالـ... البولينج. مجرد السير في اتجاهٍ واحد أسفل الممر.

ضحكت: «يجب أن تتعلَّم الإشارات الاجتماعية. إذا كان شخص ما يُجيب على أسئلتك وكأنه لا يُريد الإجابة عليها، فربما يجِب عليك التوقُّف عن طرح الأسئلة».

حدَّقَ بي للحظة ثم فتح حاوية اللحم البقري المُقدَّد مرة أخرى. سألني: «هل تريدين قطعة الآن؟»

«لا،» قلت مرة أخرى، وقد ازداد غضبي منه. «هل أنت غبي؟ أقصد.. هل هناك مشكلة في عقلك؟

أغلق حاويته ووضعها على الأرض بين ساقَيه. «لا، أنا في الواقع ذكي جدًّا.»

ـ «ما هي مشكلتك إذن؟ هل تتعاطى المُخدرات؟»

ضحك. «ليس غير القانوني منها.»

ابتسم لي، إنه يأخذ هذه المحادثة برمَّتها بخُطًى سريعة. وكأنه أمر طبيعي بالنسبة له، إنه مرتاح تمامًا. ما يجعلني أتساءل: ما هو نوع الأشخاص الآخرين الذين واجههم في حياته حتى يعتقد أن ما يحدُث الآن أمر طبيعي.

خرجتُ من الطريق السريع وقررتُ أنَّ أفضل إجراء هو إيصاله إلى محطة الوقود الوحيدة في مدينتنا.

ـ «هل لديك صديق حميم يا ميريت؟»

هززتُ رأسي نافية.

ـ «صديقة حميمة؟»

هززت رأسي مرة أخرى.

ـ «حسنًا، هل هناك أي شخص تَجِدينه مُثيرًا للاهتمام؟»

ـ «هل تُغازلني أم أن هذا مجرد طرح أسئلة؟»

ـ «أنا لا أُغازلك بالضبط، لكن هذا لا يعني أنني لن أفعل ذلك. أنت لطيفة. لكني الآن أُجري فقط محادثة، بينج بونج.»

زفرتُ بقوة فقال: «أنت على وشك صدم ديك رومي.»

ماذا؟ كبحتُ فراملي لا شعوريًّا، لماذا سيكون هناك ديك رومي على هذا الطريق؟ تفحصت الطريق أمامنا ومن حولنا لكني لم أر شيئًا. قلت: «لا يُوجَد ديك رومي.»

ـ «قصدت مجازيًّا.»

ـ «بحق الجحيم؟ لا تُخبر السائق أبدًا أنه على وشك الاصطدام بشيءٍ ما بشكل مجازي! يا مسيح.. يا عيسى!» تركت الفرامل حتى تبدأ السيارة في التحرك مرةً أخرى.

ـ «إنه مصطلح في رياضة البولينج. ثلاث ضربات هي ديك رومي».

ـ «لا أفهم منك شيئًا.»

جلس بشكلٍ أكثر استقامة وسحب ساقَه إلى أعلى في مقعده حتى يتمكن من مواجهتي. وكرَّر قائلًا: «يجب أن تكون المحادثة مثل لعبة بينج بونج، لكن المحادثة معك مثل لعبة البولينج. إنها مثل طريق طويل ذو اتجاهٍ واحد. ثلاث ضربات في البولينج هي صدم ديك رومي. وبما أنك لا تُجيبين على أسئلتي، فقد استخدمت الديك الرومي كقياسٍ لوصف افتقارك إلى... «.

«حسنًا!» صِحتُ وأنا أرفع يدي لإسكاته. «أنت على حق. هناك شخص يُعجبني. هل هناك أي شيءٍ آخر تُريد معرفته قبل أن تبدأ في المُبالغة في شرح الطرق المجازية التي تقتل مرةً أخرى؟

استطعتُ بالفعل أن أشعر بحماسته لأنني وافقتُ على المشاركة في محادثته. حتى لو كان ذلك فقط لإسكاته. سأل: «هل يعلم أنك مُعجبة به؟»

هززت رأسي نافية.

«هل هو مُعجب بك؟»

هززت رأسي مرة أخرى.

«هل هو أعلى من إمكانياتك؟»

«لا» قلت على الفور، «أنت وقِح للغاية.»

لكن على الرغم من أن سؤاله كان وقحًا، إلا أنه جعلني أتوقَّف. عندما رأيتُ ساجان لأول مرة في متجر التحف، كان لديَّ خوف شديد من أنه أعلى من إمكانياتي. لكن عندما اكتشفتُ أنه يواعِد أونور، لم يخطر ببالي مُطلقًا أنه أعلى من إمكانياتها. أكره أنني ربما اعتقد أنها تستحقُّه أكثر منِّي.

ـ «لماذا لا تُصارحينه؟»

قبضتُ على عجلة القيادة. كنتُ على بُعد ميل من محطة الوقود. علامة توقف أخرى ويُمكنني أن أنزله.

قال: «لا تصدمي الديك الرومي المجازي. لماذا لا تُواعِدين هذا الزميل الذي تجِدينه مثيرًا للاهتمام؟»

زميل؟ لقد أشار بجدية إلى رجلٍ آخر على أنه زميل. واستعارة الديك الرومي التي يستخدمها لا معنى لها حتى. قلت: «أنت تستخدِم الاستعارات بشكلٍ خاطئ.»

قال: «لا تتجاهلي السؤال، لماذا لا تتواعَدين أنت وهذا الرجل؟»

زفرت قائلة: «إنه صديق أُختي الحميم.»

كانت الكلمات بالكاد تخرُج من فمي قبل أن يبدأ لاك في الضحك: «أختك؟ يا للحماقة المُقدسة، ميريت! يا له من شيء فظيع!»

نظرتُ إليه بطرف عيني. هل يعتقد أنني لا أُدرك مدى فظاعة الانجذاب إلى صديق أختي؟

ـ «هل تعلم أختُك أنك تُحبينه؟»

ـ «بالطبع لا. ولن تفعل ذلك أبدًا. مِلتُ لأنظر إلى هاتفه وقلت: «دعني أرى صورة منزل أُختك. ربما أعرف أين هو» قلتُها وأنا أتمنَّى لو تركته في نفس اللحظة على قارعة الطريق.

استعرض لاك الصور على هاتفه. عندما وصل إلى الصورة المطلوبة، ناولني هاتفه.

لا بدَّ أنك تمزح معي. هذا مقلب، أليس كذلك؟ أوقفتُ السيارة على جنب. وكبرت صورة فيكتوريا وهي تقِف أمام دولار فوس. صورة مأخوذة من عامَين تقريبًا لأن السياج الأبيض الذي أقامه أبي العام الماضي ليس موجودًا فيها.

قال لاك: «يبدو أن هذا البيت كان كنيسةً في وقتٍ ما».

ـ «فيكتوريا هي أختك؟»

ـ «هل تعرفينها؟»

أعدتُ له هاتفه وأمسكت بعجلة القيادة. أسندتُ جبهتي إليها. وبعد خمس ثوان، أطلقَتْ سيارة خلفنا صوت أبواقها. نظرتُ إلى مرآة الرؤية الخلفية لأرى الرجل الذي يقِف خلفنا وهو يرفع يدَه مُستنكرًا. فأدرتُ السيارة وقلت: «نعم أعرفها.»

ـ «هل تعرفين أين تعيش؟»

ـ «نعم.»

التفتَ لاك نحوي وقال: «جيد، هذا جيد.» بدأ في النقر بأصابعه على ساقِه مرة أخرى. وأكمل: «هل ستأخُذيني إلى منزلها؟ الآن؟» بدا متوترًا مرةً أخرى.

ـ «أليس هذا هو المكان الذي تريد الذهاب إليه؟»

أومأ برأسه، لكن حتى إيماءته بدَت غير واثقة.

ـ «هل تعلم أختك أنك قادم؟»

هزَّ كتفَيه وهو يُحدق من النافذة: «ليس هناك حقًّا إجابة صحيحة لهذا السؤال.»

ـ «في الواقع، هناك إجابتان صحيحتان مُحتملتان. نعم ولا.»

ـ «ربما لا تنتظرني اليوم. لكنها لا تستطيع أن تتخلَّى عني دون أن تتوقَّع منِّي أن أعود مرة أخرى في مرحلةٍ ما.»

لم يكن لديَّ أي فكرة أن فيكتوريا لديها أخ. لستُ متأكدة من أن أبي يعرف أن فيكتوريا لديها أخ. وهو كذلك.. مختلف. لا يُشبه فيكتوريا في شيء.

توجهتُ نحو بيتنا وقدتُ السيارة إلى ممرِّنا وأوقفتها. حدق لاك في المنزل، وهو لا يزال ينقر على ساقِه ويهز ركبتَه، لكنه لم يبذل أي جهدٍ للخروج من السيارة.

«لماذا تعيش في كنيسة؟» نطق الكنيسة بدون ن. (كيسة). لقد اختفت كل ثقته المُزعجة، وحلَّ محلها قدْر مُزعج من الضعف. ابتلع ريقه ثم انحنى إلى لوح الأرضية ليلتقِط حاويته من لحم البقر المُقدد، قال: «شكرًا على التوصيلة يا ميريت.» وضع يدَه على الباب ونظر إليَّ.

ـ «يجب أن نتواصَل أثناء وجودي في المدينة. هل تُريدين تبادُل الأرقام؟»

هززتُ رأسي وفتحت بابي: «لن يكون هذا ضروريًّا.» خرجتُ من السيارة وتوجهت لصندوقها وفتحته.

ـ «يمكنني حمل أشيائي الخاصة، ليس عليك المساعدة.»

فتحتُ الغطاء: «أنا لا أُساعدك. أنا أحضر طعام كلبي.» وجدتُ صعوبة في إخراج الحقيبة من تحت كل مُتعلقات لاك. بمجرد أن أحكمتُ قبضتي عليها، توجهت نحو الباب الأمامي.

ـ «لماذا تأخُذين طعام كلبك إلى منزل أختي؟»

عندما لم أتوقَّف عن الرد عليه، بدأ في مُلاحقتي. «ميريت!» لحِق بي وأنا أضع المفتاح في الباب الأمامي. عندما فتحتُ الباب، واجهتُه. كان ما يزال يُحدق في المفتاح الموجود في الباب.

ـ «أختك هي زوجة أبي.»

انتظرتُه ليستوعِب تلك المعلومات. عندما فعل، أخذ خطوةً إلى الوراء وأمال رأسه: «هل تعيشين هنا؟ مع أختي؟»

ـ «نعم، إنها زوجة أبي.»

حكَّ ذقنه قائلًا: «وهذا يجعلني.. عمَّك؟»

ـ «عمِّي؟».

مشيتُ عبر الباب الأمامي وألقيتُ كيس طعام الكلاب على الأرض. وقف لاك عند المدخل وهو يُمرِّر يدَه عبر شعره ثم أمسك الجزء الخلفي من رقبتِه قائلًا: «لقد تخيَّلتُك عاريةً بالفعل.»

ـ «إذن الآن هو الوقت المناسب لكبح خيالاتك.»

نظر لاك إلى السيارة ثم ألقى نظرةً خاطفة إلى داخل المنزل، همس: «هل أختي في المنزل الآن؟»

ـ «لن تصل قبل بضع ساعات. احمل أغراضك وسأُريك أين تضعها.»

بينما كان عائدًا إلى السيارة، جررتُ طعام الكلب عبر المطبخ ووضعتُ الحقيبة بجوار الباب الخلفي. وجدتُ وعاءين قديمَين وملأتهما بالماء والطعام، ثم أخرجتهما مرة أخرى. وجدتُ وولفجانج في منتصف الطريق خارج بيت الكلب مُستلقيًا على بطنه. انتصبَتْ أُذناه عندما سمع إغلاق الباب الخلفي، لكنه لم يتحرك. حرك أذنَيه مرة أخرى عندما رآني. راقبَني وأنا أضع الأوعية بجوار بيته. لكنه لم يُهرع لتناول الطعام على الرغم من أنه قضى يومًا كاملًا بدونه.

مددتُ يدي وداعبتُ رأسه المُثير للشفقة. «هل أنت حزين؟» لم يسبق لي أن رأيتُ حيوانًا أليفًا حزينًا من قبل. لم أكُن أعلم حتى أنهم يُمكن أن يحزنوا. «حسنًا، يمكنك البقاء هنا طالما كنتَ في حاجة إلى ذلك. سأحاول إخفاءك عن أبي بقدْر ما أستطيع، لكن من الأفضل ألا تنبح طوال الليل.»

بمجرد أن وقفت، رفع وولفجانج نفسه عن الأرض، بعيدًا بما يكفي للوصول إلى وعاء طعامه. شمَّ الطعام ثم الماء، ثم استلقى مرةً أخرى على جانبه وانتحب.

ظهر لاك ليقِف بجانبي. سألني «هل هو مُعتاد على هذا النوع من الطعام؟» كان لا يزال يحمل حقيبته، وحقيبة القمامة، وحقيبة الظهر. نظرتُ نحوه وسألته: «لماذا لم تترك أغراضك بالداخل؟»

نظر إلى أغراضه وهزَّ كتفَيه. أومأ برأسه نحو الكلب. وسأل: «ماذا به؟ هل يموت؟»

ـ «لا. تُوفِّي صاحبه أمس. لقد ظهر في منتصف الليل، الليلة الماضية، لأنه كان يعيش هنا».

ـ «هذا مُثير للإعجاب» قال لاك وهو يَميل برأسه نحو الكلب: «ما اسمك أيها الكلب؟»

تفحص وولفجانج لاك بعينَيه، لكنه لم يتحرك.

«لا يستطيع الرد عليك.» أعتقد أن هذا أمر بديهي، لكنني لستُ مُقتنعة بأن لاك يفهم الأمور البديهية. قلت: «اسمه وولفجانج.»

تجهَّم لاك قائلًا: «ماذا؟ هذا اسم فظيع. كان يجب أن يُسمى هنري.»

ـ «فعلًا واضح جدًّا» كنتُ أسخر منه، لكن مرة أخرى، لستُ متأكدة من أن لاك يفهم هذا المستوى من التواصُل.

سأل لاك وولفجانج: «هل أنت في حداد؟»

ـ «هلَّا توقفتَ عن طرح الأسئلة على الكلب؟»

نظر لاك إليَّ في حيرة: «هل أنت غاضبة دائمًا؟»

ـ «أنا لستُ غاضبة.»

استدرتُ وسرتُ نحو المنزل. فتمتم من ورائي: «حسنًا، أنت لستِ غاضبة». بمجرد دخولنا المنزل، تبِعني إلى القطاع الثاني. أوصلتُه إلى غرفة النوم الاحتياطية المقابلة للقاعة. «يمكنك البقاء في غرفة الضيوف.» فتحتُ الباب وتوقفت عند المدخل. «ما هذا؟»

وجدت العديد من الأشياء مبعثرة في جميع أنحاء الغرفة. أحذية على الأرض، وسرير غير مرتب، وأدوات نظافة على خزانة الملابس. مَن يُقيم هنا؟ مشيت إلى الخزانة وفتحت الباب لأجد العديد من قمصان ساجان مُعلقة. قلت: «لا بدَّ أنكم تمزحون معي.»

كيف يمكن لأبي أن يسمح له بالنوم في نفس المنزل الذي تعيش فيه أونور؟ وهذا دليل آخر على أنه لا يهتم. إنه لا يهتمُّ حتى إذا حملت أونور في السابعة عشرة!

دخل لاك من ورائي وسار نحو الحائط المُقابل للباب. كان هناك العديد من الاسكتشات على الخزانة. ركَّز على اسكتش لرجل مُعلق من مروحة سقف بسلسلة من الريش. قال: «يبدو أن لديَّ زميلَ سكنٍ مريضًا للغاية.»

ـ «ليس شريكك في الغرفة، إنه لا يعيش هنا. لا أعرف لماذا تُوجَد كل أغراضه هنا.»

الْتقط لاك فرشاة أسنان من على المنضدة: «هل أنتِ متأكدة من أنه لا يعيش هنا؟»

ـ «يمكنك النوم في مكتب أبي.»

تبعني لاك حتى نهاية الردهة. قلت: «يوجد سرير أريكة فيه. عندما يغادر ساجان، يمكنك الحصول على غرفة نوم الضيوف.»

ـ «اسمه ساجان؟»

تبعني لاك إلى داخل الغرفة وأسقط حقيبته على الأريكة: «أستطيع أن أرى لماذا تجِدينه مُثيرًا للاهتمام. فنُّه.. مُثير للاهتمام.»

ـ «أنا لا أجِده مثيرًا للاهتمام.»

ضحك: «قلتِ في السيارة أنك تجِدِينه مثيرًا للاهتمام. أليس ساجان هو الرجل الذي يُواعِد أختك؟

أغمضتُ عينيَّ وزفرتُ نفسًا مُحبطًا. أخبرته بذلك فقط لأنني لم أعتقد أنني سأراه مرة أخرى.

أسند لاك حقيبته على المكتب ونظر حول الغرفة: «إنه ليس فخمًا جدًّا، ولكنه بالفعل أفضل من المكان الذي اعتدتُ النوم فيه.»

ـ «من الأفضل ألا تُكرِّر ذلك».

نظر إليَّ وكأنني الشخص الغريب بيننا: «إن هذا أفضل من المكان الذي اعتدت النوم فيه؟»

ـ «لا. الشيء الآخر. لقد أخبرتُك فقط عن صديق أختي لأنني لم أعتقد أنني سأراك مرة أخرى.»

ابتسم لاك: «استرخي يا ميريت. حياتك العاطفية لا تُثير اهتمامي بما يكفي لتكرارها.»

لم أعرف السبب، لكني صدقتُه. قلت: «شكرًا. هل تريد جولة في المنزل؟»

هزَّ رأسه رافضًا: «ربما في وقتٍ آخر. أودُّ أن أُفرغ أمتعتي أولًا.»

ـ «حسنًا.»

التفتُّ لأغادر وأمنحه بعض الخصوصية، لكنه بدلًا من ذلك قال: «لماذا يُوجَد تمثال ليسوع المسيح على جدار غرفة المعيشة؟» فتح حقيبته وبدأ في إخراج الملابس. «أو الأهم، لماذا يرتدي ملابس مُشجعي الباكرز؟»

ـ «كان البيت كنيسة.» جلستُ على الأريكة أُراقبه وهو يفرغ أمتعته.

ـ «هل أبوك واعظ أو شيء من هذا؟»

ـ «على العكس تمامًا، في الواقع.»

ـ «ما هو عكس الواعظ؟ صامت؟ مُلحد؟

ـ «أبي لا يؤمن بالله. لكنه حصل على صفقةٍ جيدة لشراء الكنيسة، لذا، انتقلنا إلى هنا منذ بضع سنوات. مباشرة قبل أن يبدأ النوم مع مُمرضة أُمي.

ألقى نظرةً إليَّ من فوق كتفِه: «يبدو أن أباك وغد.»

أطلقتُ ضحكة مكتومة «أنت لطيف جدًّا.»

سحب لاك قميصًا من حقيبته وذهب به إلى الخزانة: «ماذا حدث بعد أن علِمَت أمك بالأمر؟»

ـ «طلَّقَها وتزوَّج عشيقته».

ـ «أعتقد أن العشيقة هي أُختي؟»

أومأتُ موافقة. سألته: «كيف لا تعرف أيًّا من هذا؟ هل مرَّ وقت طويل منذ آخِر مرة رأيتَ فيها فيكتوريا؟»

مشى نحو الأريكة وجلس بجواري. استند إلى ذراع الأريكة وعقد ذراعَيه خلف رأسه وسألني: «لماذا لا تعيشين مع أمك؟»

ـ «أعيش معها بالفعل.. انتقلت أُمي إلى الطابق السُّفلي.»

انتظرتُ أن تظهر الصدمة على وجهه، لكنه رفع حاجِبَه بشكلٍ عرضي وقال: «هي تعيش هنا؟ في قبو هذا المنزل؟»

اومأتُ موافقة، سألته: «لماذا قلتَ إن أُختك تخلَّت عنك؟»

ـ «إنه لأمر مُعقد.»

ـ «أين والداك؟»

ـ «ماتا في الغالب، يجب أن أُحاول الحصول على قيلولة قبل أن تصِل إلى هنا. لقد مرَّ وقتٌ طويل منذ أن نِمت.»

بدا متعبًا بالفعل، لكنني لم أره قبل اليوم، لذا ليس لديَّ أي نقطة مرجعية. أومأت برأسي واتجهتُ نحو الباب. قلت: «طاب مساؤك.»

خرجتُ إلى الردهة وأنا أُحاول استيعاب مدى غرابة هذه الأربع والعشرين ساعة. يموت القس برايان، ويعود وولفجانج، وأصحَبُ مسافرًا عابرًا يرتدي تنورة اسكتلندية عشوائيًّا ليتبيَّن أنه عمِّي. قد يستدعي هذا اليوم إضافته إلى مجموعة جوائزي عند انتهائه.

وبينما كنتُ أشقُّ طريقي خلال القطاع الثاني، توقفتُ عند باب غرفة الضيوف. ألقيتُ نظرة يمينًا ويسارًا على الرغم من عدم وجود أحد هنا سوى لاك وأنا. وأمي بالطبع. فتحت الباب

وتفقدتُ الغرفة التي يُقيم فيها ساجان. لقد كنت دائمًا غافلة نوعًا ما، لكن هذا يأخذ غفلتي إلى مستوًى جديد. منذ متى وأشياؤه هنا؟ لقد افترضت أنه يأتي لتناوُل الإفطار كل صباح ويبقى حتى وقتٍ متأخِّر من الليل. أنا مندهشة من أن أبي يسمح بذلك، حتى مع مدى تساهُله في بعض الأحيان.

جلستُ على السرير وسحبتُ كراسة الرسم الخاصة به إلى حجري. أعلم أنه لا ينبغي لي أن أبحث في أغراضه، لكني بررتُ لنفسي أن عليَّ فعل ذلك لأنني لم أعلم أننا أضفنا عضوًا جديدًا إلى أسرتنا. قلبتُ في كراسة الرسم، لكن كل الصفحات كانت فارغة. كلها ماعدا واحدة. يوجَد في الجزء الخلفي من كراسة الرسم رسم لفتاتَين وذراع كلٍّ منهما حول الأخرى.

بعد الفحص الدقيق، أدركتُ أن هناك ما هو أكثر من ذلك. وضعت يدي على فمي عندما أدركتُ ما أنظر إليه. إنها رسمة لي وأونور، تطعن كُلٌّ منَّا الأُخرى في الظهر.

لماذا يرسُم هذا؟

قلبتُها، لكني لم أجد لها عنوانًا مثل التي رأيتها هذا الصباح.

ـ «ماذا تفعلين؟»

أبعدتُ الدفتر فورًا عن حضني. رأيتُ ساجان يقف عند المدخل، وهو ما يُمثل ثاني أكثر اللحظات إحراجًا في حياتي. من المُضحك أن كليهما يشمله.

أنا لا أتطفَّل عادة. لا أعرف بِمَ أُبرر وجودي هنا، وقفت، وأدركت بألَمٍ أنني لا أعرف ماذا أفعل بيدي عندما أشعر بالحرج إلى هذا الحد. ذراعاي مُتصلبتان على جانبيَّ. كوَّرتُ قبضتيَّ ثم أرخيتُهما.

تمتمت: «لم أكن أعلم أنك انتقلت للعيش هنا».

دخل إلى الغرفة وسقطت عيناه على كراسة الرسم التي كنتُ أتصفحها للتو. التقت عيناه بعينيَّ مرةً أخرى. بدا مُنزعجًا. «أعيش هنا منذ أسبوعين يا ميريت.»

أسبوعين؟

حتى هذه اللحظة، لم أُدرك قط مقدار الوقت الذي أقضيه وحدي في غرفتي. لمدة أُسبوعَين كان يعيش في الجهة المقابلة من الردهة؟ ولم يُفكر أحد أن يُخبرني؟

حدَّق في وجهي فحدقتُ في وجهه، لأنه ليس لديَّ أي فكرة عما يجب أن أفعله.

أنا أكره الطريقة التي يبدو بها. أكره شعره. أكره فمَه بشكلٍ خاص. شفتاه غريبتان ليس بهما أخاديد مثل معظم الشفاه. شفتاه ناعمتان ومشدودتان وأنا أكره أنه في كل مرة أنظر إليهما، أتذكر كيف كان الأمر عندما قبَّلني بهما.

لكن أكثر ما أكرهه فيه هو عيناه. أنا أكره ما أشعر به عندما أنظُر إليهما. لا يعني ذلك أن عينَيه اتهامِيَّتان، لكني دائمًا ما أشعر بالذنب عندما ينظر إليَّ. لأنه مهما كانت ميزاته الفردية تُزعجني، إلا أنها تكمل بعضها البعض بشكلٍ رائع للغاية. نظرتُ إلى قدمي وتمنيتُ أن أعود بالزمن خمس دقائق. لم يجدُر بي الدخول إلى حجرته. لم ينبغِ عليَّ النظر إلى رسوماته. وما كان ينبغي عليَّ أن أُحدق به طويلًا. لأنني أتمنَّى لو ضحيتُ بأي شيءٍ لينظر إليَّ بالطريقة التي نظر بها عندما اعتقد أنني أونور. حقيقة أنَّني أريد ذلك تُحرجني أكثر من أن أكون عالقةً في غرفته.

أسرعتُ في تجاوزه، رافضةً النظر إليه وأنا في طريقي للخروج إلى الحجرة. توجهت مباشرة إلى باب غرفة نومي وفتحته، ثم أغلقتُه بقوة. سقطتُ على سريري وشعرت بالدموع تلدغ عينيَّ. أنا لا أعرف حتى لماذا أبكي. أنا غبية جدًّا.

يا له من يوم غريب.. ومقرف..

أخرجتُ هاتفي من جيبي لأرسل رسالةً نصية إلى أبي. نادرًا ما أطلب منه أي شيء، لكن هذه حالة طارئة.

*هل يمكنك التوقف عند متجر التوفير في طريقك إلى هنا ومعرفة ما إذا كان لديهم أي كئوس؟*

انتظرتُ بضع دقائق لأرى ما إذا كان سيستجيب، لكنه لم يفعل. للأسف، أنا لستُ مندهشة.

استلقيتُ على سريري، وسحبت بطانيتي فوقي، أُفكر في الرسمة التي رسمها ساجان لي وأنا أبتلِع قاربًا هذا الصباح. إنها صورة غريبة. أكره حُبي لذلك. أكره أنه بغضِّ النظر عن مدى صعوبة مُحاولتي ألَّا أفعل، فأنا أُحبه أكثر قليلًا كلَّ يوم. يتساءل جزءٌ منِّي عما إذا كان هو الذي يُعجبني بالفعل أم أنني مجرد شخص غيور. لم أشعر بالغيرة أبدًا من أيٍّ من أصدقاء أونور قبلَه. ولكنهم بصراحة، كانوا جميعًا يحتضرون.

أنا غاضبة جدًّا لأنه يعيش هنا الآن. لقد كنتُ على قناعة أنه سيكون من السهل تجنُّبه، لكنه الآن يعيش في الغرفة المُقابلة لي من الردهة. سأخضع لعلاقتهما وله وهو يُقبلها ويُحبها.

أعلم أن أبي لا يؤمن بالله، لكن لحُسن الحظ أن الإلحاد ليس وراثيًّا. نادرًا ما أُصلي، لكني أشعر أن الآن هو أفضل وقتٍ لذلك. تدحرجتُ على ظهري ونظرت إلى السقف. تنحنحتُ وقلت: «يا رب!»

لا أكذب. إنه شعور غريب، التحدُّث إلى السقف. ربما يجِب أن أركع كما يفعلون في الأفلام.

ألقيتُ الأغطية وركعت على الأرض مقابل السرير. أخفضت رأسي وحاولتُ مرة أخرى وعيناي مُغلقتان.

«يا الله. أعلم أنني لا أُصلي بقدْر ما ينبغي. وعندما أُصلي، يكون لغرَض في نفسي. أعتذر عن ذلك. لكنني حقًّا بحاجةٍ لمساعدتك. أنا متأكدة من أنك رأيتَ ما حدث مع صديق أختي قبل بضعة أسابيع. لا أستطيع التوقُّف عن التفكير فيه. أنا لا أحب نفسي بهذا الشكل. تُراودني هذه الأفكار غير العقلانية، كأنه ربما كان ينبغي أن يكون معي وليس مع أونور. ربما أنت خلقتَه توءم روحي، ولأنني وأونور مُتطابقان، ارتبكتْ روحُه ووقع في حُبها. لأنهما لا يصلحان لبعضهما أبدًا. ليس لديهما أيُّ شيء مُشترك. إنها لا تُحب حتى أفضل ما فيه. ولكن حتى لو انفصلا، فمن المستحيل أن ينجح الأمر بيننا. لن أفعل ذلك أبدًا في أُختي، وبقدْر ما انجذبتُ إليه، لا يُمكنني أبدًا أن أُحب شخصًا كان يُحب أونور ذات يوم. هذا أمر مفروغ منه. لذلك أنا لا آتي إليك لأطلب منك أن تُريه خطأه. أنا قادمة إليك لأسألك عما إذا كنتَ ستُرسل لي شخصًا آخر. شخصًا سوف يأخذ ذِهني تمامًا منه. لا أريد أن أمتلك الأفكار التي تُراودني بعد الآن. أو على الأقل لا أريد أن أتحدث عن صديق أختي. لا أمانع في وجود هذه الأفكار حول شخصٍ آخر. لذا.. نعم. أنا فقط أطلب توءم الروح البديل. أو حتى مجرد إلهاء. لا يُهمني حتى إذا كان الأمر يتعلق بشخصٍ آخر. أي اهتمام غير ساجان سيكون رائعًا. أرجوك افعل ما ينبغي فعله.»

فتحتُ عينيَّ ثم عدت إلى السرير. الصلاة أمر مُحرج للغاية. ربما يجب أن أفعل ذلك أكثر..

ـ «أوه.. نعم. آمين.»

# الفصل الخامس

ميريت، استيقظي..

لم أعلم أنه من المُمكن أن أُدير عيني قبل أن أفتحهما، لكنني أنجزت هذا العمل الفذ. «ماذا؟» صِحت مُتذمرة، وسحبتُ الغطاء فوق رأسي.

قالت أونور: «يجب أن تستيقظي». أشعلَت أضواء غرفة نومي. فأخرجتُ هاتفي من تحت وسادتي لأرى كم الوقت.

تمتمتُ بغضب: «إنها السادسة صباحًا. لا أحد منَّا يستيقظ مبكرًا هكذا.» ناهيك عن أنها تعرف أنني لم أعُد أذهب إلى المدرسة، فما يهم إذا استيقظت؟

ـ «إنها السادسة مساءً أيتها الحمقاء. إنها ليلتُك لإعداد عشاء أُمي.» قالتها وأغلقت الباب.

الساعة السادسة مساءً؟ مما يعني أن اليوم لم ينتَهِ بعد. ياله من يومٍ سخيف!

وضعتُ البطاطس المهروسة على طبقٍ بجانب قطعةٍ من الدجاج المطهو. قد لا يكون هناك الكثير مما يُعجبك في فيكتوريا، لكنَّ طبخها كان دائمًا جيدًا. ومع ذلك، فأنا أتساءل كيف سيكون الأمر عندما تُضطر إلى طهي طعامٍ إضافي كل ليلة لضرَّتها السابقة التي تعيش في الطابق السفلي من منزلها.

استدرتُ لألتقط لفافةً لتغليف الطبق، لكنني اصطدمت بساجان، الذي ظهر خلفي فجأة. صاح: «آسف.» فحاولتُ أن أتحرك مبتعدةً عنه قبل أن أُضطر إلى شم رائحته، أو ـ لا سمح الله ـ أن أنظر إلى وجهه. تحركتُ يسارًا، فتحرك إلى اليمين. فظللنا كلٌّ منَّا في طريق الآخر. أتحرك يمينًا، وهو يتحرك يسارًا. هل تمزح معي؟

ضحك على رقصتنا الصغيرة، لكن هذا لأنه يستطيع التنفُّس عندما يكون حولي. إنه يفقد أنفاسه فقط حول أونور. أخيرًا استدرتُ وسرتُ في الاتجاه الآخر ودرتُ حول بار المطبخ. قبل أن أصل إلى باب الطابق السفلي، ألقيتُ نظرة سريعة على المطبخ. فرأيتُ أونور تقف بجانب صديقها، وتُعد طبقها. لكنه ظلَّ يُحدق بي متسائلًا.

لا بد أنه يعتقد أنني عاهرة، خاصة عندما يحدُث شيء بسيط مثل الوقوف في طريقه. لا أستطيع أن أضحك كما يفعل. شعرتُ بإحباطٍ وذهبت في الاتجاه الآخر.

ـ «ميريت؟»

لم أكن حتى في منتصف الطريق إلى أسفل الدرَج لكنها عرفت أنه أنا. لقد حفظت بطريقةٍ ما خُطَى كلٍّ من في المنزل. أعتقد أنه عندما يكون كل ما تفعله هو مشاهدة نيتفليكس وتصفُّح فيسبوك، فإنك تُصبح جيدًا جدًّا في الاستماع إلى الخطوات.

ـ «نعم إنه أنا.»

كانت تجلس على الأريكة عندما وصلتُ إلى الطابق السفلي. أغلقَتِ اللاب توب وأنزلَتْه على الأرض. سألتْني: «ما هو العشاء الليلة؟»

ـ «الدجاج والبطاطس مرة أخرى.»

ناولتُها الطبق وجلست بجانبها على الأريكة. نظرَتْ إلى الطبق ووضعَتْه على الطاولة بجانبها.

ـ «أنا لستُ جائعة حقًّا، أُحاول أن أخسر عشرة باوندات.»

ـ «ربما يجب عليك الذهاب للجري. الجو جميل.»

عَبَسَت. أعتقد أنني الوحيدة التي لا تزال تُحاول تشجيعها على الخروج. لكن في هذه المرحلة، هذا ليس تشجيعًا. إنه مجرد اقتراح ساخر.

«أنتِ لم تنزلي لرؤيتي منذ الأسبوع الماضي.» مدَّت يدها لتُداعب شعري على كتفي، لكنها ترددت قبل أن تلمسني. وأعادت يدَها إلى جوارها متسائلة: «هل كنتِ مريضة؟»

الإحباط هي أفضل كلمة تصف حالتها، كلما كبرت، أصبح من الصعب فهم رُهابها. قد لا ترغب في مغادرة منزلك، ولكن أن تحبس نفسك في الطابق السفلي لسنواتٍ بينما يستمر أطفالك في عيش حياتهم في الطابق العلوي يبدو أشبَهَ بأطولِ نوبةِ غضب في العالَم أكثر من كونه رُهابًا اجتماعيًّا.

أجبتُها: «نعم، لم أشعر أنني بحالة جيدة».

ـ «هل هذا سبب غيابك عن المدرسة؟»

ضيَّقتُ عينيَّ قليلًا، وتساءلتُ كيف عرفت أنني لم أذهب إلى المدرسة.

ـ «اتصل مُديرك اليوم للاطمئنان عليك.»

ـ «أوه. بماذا أخبرتِه؟»

هزَّت كتفَيها: «لم أرُد على هاتفي. لقد ترك بريدًا صوتيًّا».

تنهدتُ بارتياح. على الأقل المدرسة لا تعرف مدى رُهابها الاجتماعي. ما زالوا يتصلون بها قبل الاتصال بأبينا كلَّما حدثت مشكلة.

ألقت أُمي البطانية من حِجرها ووقفت. «هل يُمكنك إرسال شيءٍ لي غدًا؟» مشت عبر غرفة معيشتها، التي يبلغ طولها أربعة أقدام، والتقطت صندوقًا فارغًا من رفها. «أرسلت لي شيلي بعض الكتب.»

قد لا تُغادر والدتي القبو، لكن لديها أصدقاء أكثر من عدد أصدقائي أنا وأونور. إنها مهووسة بالقراءة، وانضمَّت إلى العديد من مجموعات القراءة عبر الإنترنت. إذا كانت لا تشاهد نيتفليكس، فهي تقرأ كتابًا أو تُجري محادثات فيديو مع أصدقائها من نادي الكتب. أحيانًا أتدخل في محادثات الفيديو الخاصة بها فتُقدمني وتجعلني أتحدث مع أصدقائها. إنها تحاول جاهدةً أن تظهر على الهواء أُمًّا عادية تعيش حياة طبيعية. لكن في بعض الأحيان عندما أُجبَر على الظهور في أحد مقاطع الفيديو الخاصة بها، أشعر بالرغبة في الصراخ: «إنها لم تُغادر القبو منذ عامَين!»

ـ «قالت شيلي إنها أرسلت لي طردًا بالبريد الأسبوع الماضي. وينبغي أن يكون هنا غدًا.»

قلت: «سأُنزله عندما يصل». كتبَتْ عنوانًا على الصندوق وبينما كانت تدير ظهرها لي، لاحظت لأول مرة ملابسها. كانت ترتدي فستانًا أسودَ طويلًا يصل إلى قدمَيها. قلت: «فستانك لطيف. هل هو جديد؟»

أومأت أُمي برأسها، لكنها لم تكشف كيف حصلت عليه. يبدو أنها تطلُب ملابسها عبر الإنترنت، لا يزورها أحد سوى أطفالها وأحيانًا أبي عندما يحتاجان إلى مناقشة مسألة الأبوة والأمومة. إنه لأمر مؤسِف أيضًا، لأنها رائعة بالنسبة لعمرها. لا يهم أنها لا تترك القبو؛ لا تزال تعتني بنفسها جيدًا. تضع المكياج كل صباح وتغسل شعرها وتُصفِّفه دائمًا. ربما لا تزال تحلِق ساقَيها كل يوم، وهذا غير منطقي لأنني إذا قررتُ عدم مغادرة المنزل مرة أخرى، فإن أول شيء سأفعله هو التوقُّف عن الحلاقة.

ربما هي في علاقة عبر الإنترنت. عادةً لا أُدافع عن ذلك، لكني أؤيد أي شيءٍ قد يمنحها حافزًا لمغادرة القبو في المستقبل.

أخذتُ الصندوق منها واتجهت نحو الدرج. اعتدتُ أن أقضي وقتًا أطول معها، ولكن بات من الصعب القيام بذلك مؤخرًا. لقد بدأتُ بالاستياء منها. كنت أشعر بالأسف عليها وافترضتُ أن رُهابها الاجتماعي ليس شيئًا يُمكنها السيطرة عليه. لكن كلما كبرت وكلما فقدت حياتها أكثر باختيارها البقاء في الطابق السفلي، زاد غضبي منها. أحيانًا أشعر بالغضب الشديد عندما أكون هنا، وأبدأ في الارتعاش وأُضطر إلى المغادرة قبل أن أنفجر عليها.

وهذا هو ما ستئول إليه الأمور إذا لم أخرج من هذا القبو الآن.

«أراكِ لاحقًا يا أُمي» قلتُ وأنا أصعد الدرج.

نادتني: «ميريت!»

لكني تركتُ باب الطابق السفلي يُغلَق خلفي.

كانت فيكتوريا في المطبخ، تُقطِّع صدر دجاجة لموبي. بينما جلس الجميع على الطاولة يأكلون. أمسكتُ بطبقٍ لنفسي، بينما كان أبي يدخل من الباب الأمامي. إنها السادسة والنصف الآن، ستبدأ مباراة كرة القدم التي ينتظرها في السابعة، لذا فقد سبقني في إعداد طبق العشاء. عندما وصلتُ بطعامي أخيرًا إلى الطاولة، لم يتبقَّ سوى مقعدٍ واحد فارغ. بجوار من لا يجب ذكر اسمه. بينما جلست أونور على الجانب الآخر أمامه، مالت نحوه وضحكت على شيء قاله للتو. أنا متأكدة من أنه ذكيٌّ، مهما كان.

سقطتُ على مقعدي ودفعتُه إلى الأمام. جلس موبي على جانبي الآخر، مما أراحني. سألته: «هل كان يومُك جيدًا؟»

دفع قطعة من الذرة في فمه وهو يُومئ برأسه. قال: «واجه تايلر مشكلة في الفصل لأنه قال كلمة (لقيط).»

ضحك معظمنا، لكن فيكتوريا شهقت: «موبي، هذه كلمة سيئة!»

قال أبي: «من الناحية الفنية، فإنها ليست كذلك».

حدقت فيكتوريا في أبي: «إنها سيئة عندما تكون في الرابعة من عمرك وتقولها في المدرسة.»

سأل موبي: «ما معنى لقيط؟»

أجبتُه: «الطفل المولود لأبوَين لم يتزوَّجا بعد، مثلك تقريبًا».

قد تظن أنني صفعتُ الطفل بالطريقة التي تفاعلت بها فيكتوريا مع تعليقي. قامت على الفور بدفع كرسيها إلى الخلف ووقفت صارخة: «اذهبي إلى غرفتك!»

ضحكتُ لأنني في البداية اعتقدتُ أنها تمزح. ولكن بعد ذلك توقَّفَت عن الابتسام لأن غضبها بدا حقيقيًّا. لا بد أنك تمزحين معي. نظرتُ إلى أبي وهو يحدق في فيكتوريا، وشوكته متوقفة أمام فمه. ثم نظرت إلى فيكتوريا. قلت: «سأل ما معنى كلمة لقيط. هل تُريدينني أن أكذب عليه؟»

ثبَّتَت فيكتوريا عينيها على عينيَّ واحمر أنفُها وكأنه سيشتعل. لم أرها غاضبة بهذا الشكل من قبل. لكني فعلًا لم أقصد قول ذلك من باب القسوة. قلتُ لفيكتوريا: «اللقيط هو طفل مولود خارج إطار الزواج، أليس هذا ما كان عليه تقريبًا؟»

أشارت فيكتوريا نحو الردهة صائحة: «لا تتحدَّثي بهذه الطريقة أمام طفلي يا ميريت. اذهبي إلى غرفتك.» تطلعتُ إلى أبي للحصول على الدعم قائلة: «بارنابي؟»

تراجعتُ للخلف وطويتُ ذراعيَّ على صدري. لم أتراجع، قلت: «هل تريدين مني أن أكذب على طفلك؟» نظرتُ إلى موبي الذي اتَّسعت عيناه وقلت: «بما أن الجنس كان برنامجًا تلفزيونيًّا سيئًا في الثمانينيات، فإن كلمة لقيط هي إعلان تجاري»، ثم نظرتُ إلى فيكتوريا: «هل هذا أفضل؟»

صاح يوتاه: «ميريت». قالها وكأنني الشخص الذي تجاوز حدوده على هذه الطاولة. وجهتُ انتباهي إليه وقلت: «هل ستقف إلى جانب فيكتوريا الآن حقًّا؟»

قالت أونور بإحباط: «هل يُمكننا من فضلكم أن نتناول وجبة واحدة كعائلة دون اندلاع شجار؟»

صاحت فيكتوريا التي لا تزال واقفةً تنتظر من أبي أن يُعاقبني: «بارنابي؟»

لفَّ أبي يدَه حول معصم فيكتوريا محاولًا إقناعها بالجلوس: «سأتعامل معها لاحقًا. دعينا نأكل فقط، من فضلك؟»

جذبت فيكتوريا يدَها من يد أبي وأمسكت بطبقها مُتجهة نحو المطبخ، ثم رمت طعامها في سلة المهملات. فناديتُها: «احتفظي بالبقايا.»

ـ «عفوًا؟»

أشرتُ إلى سلة المهملات. «البقايا. يستطيع وولفجانج أن يأكلها.»

قال أبي: «وولفجانج؟ لماذا تذكرين هذا الكلب اللقيط؟»

تمتمت أونور: «وها نحن نعود مرةً أخرى إلى هذه الكلمة».

سأل يوتاه: «هل هذا هو سبب وجود كيسٍ من طعام الكلاب عند الباب الخلفي؟»

انتقلت عينا أبي إلى كيس طعام الكلاب. فوقف صائحًا: «هل هذا الكلب هنا؟»

تناولتُ قطعة من البطاطس المهروسة لأنه ليس لديَّ أي فكرة عما إذا كنت على وشك أن يتم إرسالي إلى غرفتي أو لا، لكنني جائعة. قلت بفمٍ مُمتلئ: «ظهر في منتصف الليل، الليلةَ الماضية.»، ابتلعت طعامي وأشرتُ من فوق كتفي: «إنه في الفناء الخلفي.»

صرخ أبي: «هل سمحتِ له بالدخول إلى الفناء الخلفي؟!»

رفعت فيكتوريا يدَيها في الهواء: «أوه، هذا رائع. هل غضبتَ منها لأنها سمحت بوجود كلبٍ في الفناء ولكن ليس لأنها وصفت ابنك باللقيط؟»

حملتُ شوكتي وأوضحت: «قلت إنه لقيط تقريبًا».

همس يوتاه: «لماذا تفعلين هذا دائمًا؟» بدا هادئًا للغاية وهو يقولها، مما يعني أنه لا يوجه سؤاله إلى فيكتوريا على الجانب الآخر من المطبخ. بالتأكيد يسألني أنا.

ـ «هل تعتقد أن هذا خطئي؟»

قالت أونور: «عادةً ما يكون كذلك، لا يُمكننا تناول وجبة واحدة دون أن تفعلي شيئًا يغضبها.»

ضحكتُ بهيستيريا: «وهذا خطئي؟» ثم رفعتُ صوتي بما يكفي لتسمع فيكتوريا محادثتنا: «ربما عليها أن تغضب لأنها شخصٌ لا يُحتمَل. فقط اسألي أخاها الصغير الذي هجرته».

نظرتُ إلى فيكتوريا حتى أتمكن من رؤية وجهها. من المؤكد أن الجملة الأخيرة كانت صادمة.

«ماذا قلت للتو؟» نظرتْ إليَّ وكأنها لم تسمعني أو لا تريد أن تسمعني. فتحتُ فمي لأكرر ما قلته، لكن أبي قاطعني: «ميريت» بدا مهزومًا أكثر منه غاضبًا. أكمل: «اذهبي إلى غرفتك.»

أدارت فيكتوريا رأسها ببطءٍ نحو أبي: «هل أخبرتَها عن لاك؟»

هز رأسه نافيًا: «لا، إنهم لا يعرفون لاك. هي فقط تريد استفزازك»

الآن، سأموت لمعرفة ما لا تُريدنا أن نعرفه. تناولت قضمتَين إضافيتَين من البطاطس في حال اضطررتُ إلى تنفيذ عقوبتي وقلت: «أنا لا أحاول استفزازها.» أبتلعتُ ما بفمي ومسحتُه ثم استعددتُ لشرح نفسي. لا يعني ذلك أنه يجب أن يُطلب منِّي القيام بذلك.

ـ «ظهر وولفجانج هنا الليلة الماضية. كانت السماء تمطر وشعرتُ بسوء حالته، لذا سمحت له بالدخول إلى الفناء الخلفي. ثم اكتشفتُ أن القس برايان مات ونسيتُ أن أُخبر أحدًا منكم عن الكلب. ذهبتُ إلى شركة Tractor Supply للحصول على طعام للكلاب اليوم وطلب مني هذا الرجل الغريب الذي يرتدي تنورة توصيلَه إلى منزل أخته، والذي هذا المنزل. اسمه لاك، وهو الأخ الأصغر لفيكتوريا، وهو نائم في مكتب أبي، مكتب أبي حيث يبدو أن ساجان يعيش في غرفة الضيوف الآن. وسواء شئنا أم أبَينا، فإن تعريف اللقيط هو الطفل المولود خارج إطار الزواج. وفي حالة نسيان أي منكم، حملت فيكتوريا بينما كان أبي لا يزال مُتزوجًا من أُمي، لذلك يُعتبَر موبي لقيطًا عمليًّا.

عندما انتهيتُ من الشرح، كان الجميع يُحدقون بي بهدوء. فتجاهلتُهم مُولِيةً اهتمامي الكامل لطعامي.

سأل ساجان: «يرتدي تنورة؟» بقدْر ما تمنيتُ ألا يتحدث معي، فإنني قدرتُ محاولته لتخفيف التوتر بالفكاهة. سأل: «ما لونها؟»

أجبرتُ نفسي على النظر إليه عبر الطاولة. فرأيت ابتسامةً صغيرة تتلاعب على شفتَيه.

ـ «خضراء منقوشة.»

أومأ برأسه تقديرًا: «لا أستطيع الانتظار لمقابلته.»

صاحت فيكتوريا: «أخي هنا؟» أصبح صوتُها أكثر هدوءًا الآن، أكملت: «لاك هنا؟ في هذا المنزل؟»

كدت أرد، لكن شعرتُ أنه ليس من الضروري أن أفعل ذلك، لأنني رأيتُ لاك يقف في نهاية الردهة. قال لها: « من الناحية الفنية، هذا ليس منزلًا، إنه يبدو أشبَهَ بكنيسة يُساء فهمها.»

بدأتُ أفهم ما عناه لاك بشأن كون المُحادثات عبارة عن مباراة بينج بونج، لأننا جميعًا بدأنا ننظر ذهابًا وإيابًا بين لاك وفيكتوريا، في انتظار لمِّ الشمل العاطفي.

وضعت فيكتوريا يدَها على فمها. فاقترب منها أبي ووضع يدَيه على كتفَيها، محاولًا صرف انتباهها عن أخيها الصغير. «حبيبتي» قال بهدوء. «دعينا نذهب للتحدُّث معه في غرفة النوم.»

هزت فيكتوريا رأسها ودفعت أبي متجاوزة إيَّاه نحو لاك: «لا يُمكنك أن تظهر فجأة يا لاك. عليك أن تُغادر.»

لم يتحرك لاك، بدا متفاجئًا بعض الشيء من ردِّ فعلها. قال: «ألن تُعانقيني أولًا؟»

اقتربت فيكتوريا منه خطوة قائلة: «ارحل، وفي المرة القادمة التي تريد فيها الحضور دون الاعتذار أولًا، حاوِل الاتصال. سيوفر هذا عليك مال السفر!»

«فيكتوريا»، قال والدي هامسًا وهو يسحبها في الاتجاه المعاكس: «اذهبي إلى غرفة النوم. سأكون هناك خلال ثانية.»

حاولت فيكتوريا إخفاء نهنهتها وهي تبتعِد عن لاك باتجاه غرفة نومها. بينما واجه أبي لاك الذي ابتسم وسار نحوَه بيدٍ ممدودة قائلًا: «أنت بالتأكيد صهري».

صافحَه أبي على مضض قائلًا: «بارنابي».

قال لاك: «اعتقدتُ بصراحة أنها قد تجاوزت الأمر، لكنها مُحقة. ربما كان عليَّ أن أتَّصل أولًا.»

سألته أونور: «تجاوزت ماذا؟» وجَّه لاك نظرَه إلى أونور وابتسم لها ابتسامةً مألوفة، ولكن بعد ذلك اختفت ابتسامتُه عندما لاحظني.

نظر إلى أونور، ثم إليَّ. ثم أشار بيننا: «مَن منكما أوصلَني اليوم؟»

رفعتُ يدي. قال: «شكرًا لك على حُسن الضيافة يا ميريت.» ثم مشي نحو الطاولة وقدَّم نفسه إلى يوتاه وأونور ثم ساجان. عندما وصل إلى موبي، ركع أمامه قائلًا: «أنت بالتأكيد ابن أختي.»

ـ «أنا ابن أختك؟ لكن ميريت قالت إنني لقيط.»

صححتُ له: «لقيط تقريبًا»

صاح أبي مقاطعًا: «لاك، هل يُمكننا معالجة الوضع أولًا قبل أن تشعر وكأنك في بيتك؟»

وقف لاك ووضع يدَيه على وركَيه: «طبعا أكيد. لكن... لقد استيقظتُ للتوِّ من قيلولة استمرت لمدة أربع ساعات. أنا بالفعل أشعر أنني في بيتي.»

ضحك، لكن أحدًا لم يضحك معه. لكن لا بد أن أكون صريحة، لاك مُبهج، إذا كان يُمكنني قول ذلك.

تبع لاك أبي إلى القطاع الثالث. حزنتُ لأنهم سيُجرون محادثتهم خارج القطاع الأول. كنت مُستمتعة بالموقف.

قالت لي أونور: «يبدو أن يومك كان مثمرًا، على الأقل لم تُضيعي حياتك بالنوم طوال اليوم.»

أستطيع أن أتحمَّل الكثير، لكن موقف أونور المُتعجرف بشأن قراري بالتوقف عن الذهاب إلى المدرسة هو نقطة الغليان بالنسبة لي. ألقيتُ شوكتي على طبقي. وقلت: «أخبريني يا أونور. ما الذي فاتني هذا الأسبوع والذي سيُجهزني بأعجوبة للحياة بعد المدرسة الثانوية؟»

ـ «ربما فرصة للتخرج؟»

أدرتُ عيني. «يمكنني الحصول على دبلومة معادلة قبل عيد الميلاد.»

ـ «نعم، لأن هذا بديل معقول للمنحة الدراسية».

ـ «هل تريدين التحدُّث معي عن المعقول؟ هل يعرف صديقك الجديد مدى عقلانيتك عندما يتعلق الأمر بعلاقاتك السابقة؟»

انقبض فك أونور. لقد ضربتُ العصب. هذا جيد. ربما سوف تتراجع.

قال يوتاه: «هذا ليس عدلًا يا ميريت».

تمتمت: «أيًّا كان»، مزقتُ قطعةً من خبزي ووضعتها في فمي: «بالطبع سوف تدافع عنها. إنها المُفضلة لديك.»

أمال يوتاه كرسيه نحوي: «ليس لدي أخت مُفضلة. أنا أدافع عنها لأنك دائمًا ما تكونين هجومية جدًّا.»

ـ «عندك حق، صحيح. أنا نسيت. نحن نُحب إخفاء الأمور والتظاهُر بأن أونور لا تحتاج إلى علاج نفسي».

زمجرَت أونور عبر الطاولة: «وتتساءلين لماذا ليس لديك أصدقاء؟»

ـ «في الواقع، أنا لا أتساءل عن ذلك على الإطلاق.»

قطعت الأصوات المرتفعة القادمة من القطاع الثالث نقاشنا الأخوي اللطيف. من الصعب جدًّا فهم ما يقولونه فيها، لكن من الواضح أن لاك وفيكتوريا لا يتبادلان العناق ويبكيان أحدُهما في حضن الآخر كما كان لاك يأمُل.

قال ساجان: «هل لاحظ أي شخصٍ آخر مدى غرابة لهجته؟»

قلت: «شكرًا لك! إنه غريب جدًّا! يبدو الأمر كما لو أن عقله لا يستطيع أن يُقرر ما إذا كان قد نشأ في أستراليا أو لندن.»

قال يوتاه: «لقد بدا لي أيرلنديًّا».

هزَّ ساجان رأسه: «لا، هذه فقط تنورته التي تخدعك.»

ضحكتُ ثم نظرت إلى موبي، الذي لا يزال جالسًا بجانبي. كان ينظر إلى الأسفل، لذلك لم أستطع رؤية وجهه. ناديتُه: «موبي؟»

لكنه لم ينظر للأعلى، كان يُنهنِه.

ـ «موبي. لماذا تبكي؟»

شهق موبي أكثر ثم قال: «الجميع يتشاجرون».

قرف. لا شيء يمكن أن يجعلني أشعر بالسوء أكثر من شعور موبي بالانزعاج. قلت: «لا بأس. في بعض الأحيان يتشاجر الكبار. هذا لا يعني شيئًا.»

مسح عينَيه في كم قميصه. ثم سألني: «لكن لماذا يفعلون ذلك؟»

أتمنَّى لو كان لدي إجابة له. قلت مُتنهدة: «لا أعرف، هيا، هيا لنغتسِل وسأضعك في سريرك.»

لقد كان موبي دائمًا طفلًا مُهذبًا. ينام وحده في غرفة نومه الخاصة في القطاع الثاني منذ أن كان في الثانية من عمره. موعد نومِه دائمًا هو السابعة، لكنني سمعت فيكتوريا تُخبره قبل بضعة أيام أنها ستُغيره إلى الثامنة في غضون أسابيع قليلة.

البقية منَّا ليس لديهم وقت مُحدد للنوم. يُحب والدي أن نكون في المنزل في ليالي المدرسة بحلول الساعة العاشرة، ولكن بمجرد وصولنا إلى غُرَفنا، لا يتفقَّدنا أبدًا. نادرًا ما أذهب إلى السرير قبل منتصف الليل.

أخذتُ موبي إلى الحمام وساعدته على تنظيف أسنانه وغسل يديه. تقع غرفة نومه مباشرة عبر القاعة أمام غرفة لاك، والتي، طبقًا لصوت الصراخ المُستمر في الغرفة الأخرى، قد تصبح مكتب أبي مرةً أخرى في غضون ساعة. تضع فيكتوريا موبي في السرير معظم الليالي، لكن في بعض الأحيان يطلب منِّي أو من أونور أو يوتاه القيام بذلك. أنا أستمتع بضمِّه في الليل، لكني أفعل ذلك فقط عندما يطلب منِّي موبي على وجه التحديد. لا أُحب أن أُقدم أي خدمات غير ضرورية لفيكتوريا.

صُمِّمت غرفة موبي بثيمة الحوت، والتي آمُل أن تتغير قبل أن يبدأ في استقبال أصدقائه. إنه أمر سيئ بما فيه الكفاية أنه تم تسميتُه على اسم حوتٍ قاتل، لكن ذهاب فيكتوريا إلى أبعد من ذلك وإيصال الموضوع إلى غرفة نومِه بدا وكأنها تستجدي أن يتعرَّض موبي للتنمُّر.

لكن موبي يُحب الحيتان. كما أنه يحب فكرة تسميته على اسم الحوت. موبي ديك هو كتاب فيكتوريا المفضل. وأنا لا أثق في الأشخاص الذين يزعمون أن رواية كلاسيكية هي روايتهم المُفضلة. أعتقد أنهم يكذبون لمجرد أن يَبدوا مُثقَّفين، أو أنهم ببساطة لم يقرءوا كتابًا آخر يتجاوز مُتطلبات مادة اللغة الإنجليزية في المدرسة الثانوية.

كتابي المُفضل هو God-Shaped Hole. ليست رواية كلاسيكية. لكنها أفضل من الروايات الكلاسيكية. رواية عن مأساة العصر الحديث. لم أقرأ «موبي ديك» من قبل، لكن يُمكنني أن أراهن على أنها لا تجعلك تشعر وكأنك أخفُّ مما كنت عليه قبل القراءة.

وضعت موبي في سريره، وسحبت البطانية المرسوم عليها حوتٌ إلى ذقنه. سألني: «هل ستقرئين لي قصة؟»

لا يُزعجني ذلك على الإطلاق، لذا أومأتُ برأسي وسحبتُ كتابًا من رف كتبه. اخترتُ أنحف واحد، ولكن موبي احتج: «لا، اقرئي «منظور الملك».»

لم أسمع عن هذا الكتاب من قبل. ألقيت نظرة سريعة على رف الكتب، لكني لم أجد واحدًا يحمِل هذا العنوان. قلت: «إنه ليس هنا. ماذا عن كتاب ليلة سعيدة يا قمر؟»

قال: «هذا للأطفال الرُّضَّع». التقط كومةً من الأوراق من على الطاولة بجانب سريره ودفعها نحوي: «اقرئي هذا. لقد كتبَه ساجان.»

تناولت منه الأوراق. لقد تم تدبيسها معًا في الزاوية اليُسرى العليا. وفي وسط الصفحة الأولى قرأت:

وجهة نظر الملك

بقلم ساجان قطان

جلستُ على حافة السرير ومررتُ أصابعي فوق أعلى الصفحة: «كتب لك ساجان قصة؟»

أومأ موبي: «إنها قصة حقيقية. كما أنها منغَّمة!»

ـ «متى أعطاك هذا؟»

هز موبي كتفَيه: «تقريبًا قبل سبع سنوات.»

ضحكت. موبي هو أذكى طفل عرفتُه في الرابعة من عمره، لكنه لا يستطيع أبدًا فهم مفهوم الوقت. انتقلتُ إلى جوار موبي وأسندتُ رأسي على ظهر السرير. عادةً لا أجلس براحتي بجواره عندما أقرأ له قصة، لكنني مُتحمسة لقراءة هذه القصة أكثر من موبي الليلة. شعرتُ وكأنني أطلع على أحد أسرار صديق أونور وهذا يجعلني متحمسة أكثر مما ينبغي. رفعت رُكبتي إلى أعلى وأرحتُ الصفحات على فخذي. قلت بصوتٍ عالٍ: «منظور الملك». ألقيتُ نظرة سريعة على موبي وسألته: «هل تعرف حتى ماذا يعني المنظور؟»

أومأ برأسه وتدحرج على جانبه حتى أصبح مواجهًا لي: «قال ساجان إن الأمر يُشبه وضع مقلتَي عينَي شخصٍ آخر داخل رأسك.»

قلت: «معنى قريب جدًّا، أعجبني.»

كنتُ معجبة فعلًا لكن ليس بالمعنى، بل بساجان الذي خصَّص وقتًا ليكتب لأخي قصة، ولت وضيح معناها بهذا ا لشكل الظريف . جلس مو بي و بدأ ف ي تقل يب الصفحا ت لي: «اقرئيها!»

وجدتُ على الصفحة التالية صورةً لطائر، يبدو كطائر الكاردينال.

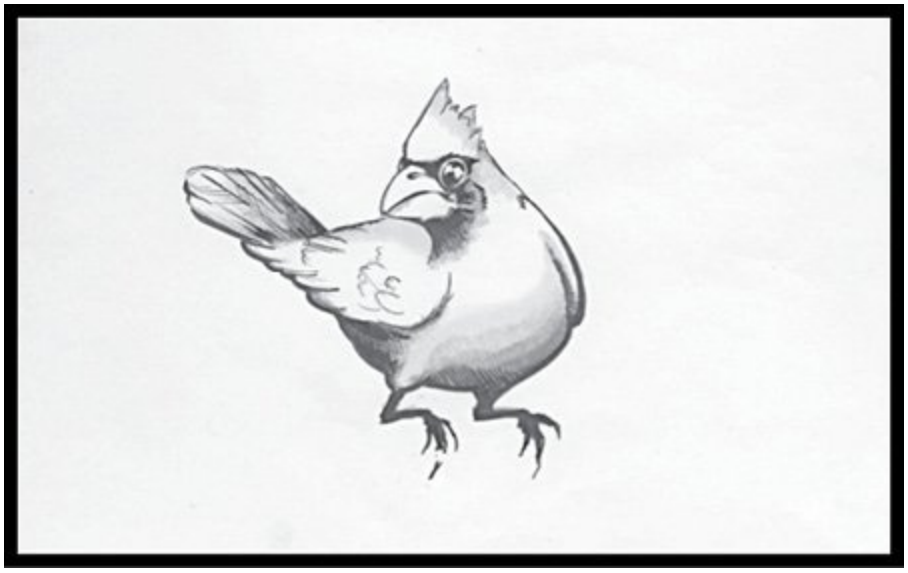

سألت موبي: «هل القصة عن طائر؟»

ـ «فقط اقرئيها!»

قلبتُ الصفحة مرة أخرى وقلت: «حسنًا، يبدو أنك لا تُحب حرق الأحداث!»

منظور الملك

هذه قصة عن ملك.

وهذه القصة حقيقية جدًّا.

يقول البعض إنها مجرد خرافة،

ويقول البعض الآخر إنها مجرد خدعة.

يُطلقون على الرجل اسم الملك فيليب،

لكن هذا لم يكن اسمَه حقًّا.

كان اسمه فيليبيليتوس،

لكن من الصعب قول ذلك.

كان للملك فيليب ميل
لأشياء باهظة الثمن حقًّا.
كان يُحِب أي شيءٍ لامع،
وأي شيءٍ يُجلجل.
كان لديه أجمل قلعة
من بين جميع الأراضي،
لكن هذا لم يمنعه
من الرغبة في واحدةٍ أكبر؛
لذلك اشترى بلدة تُسمى المنظور،
وجعل الناس يبنون له قلعة
في أعلى جبلهم الأكثر ارتفاعًا.
لم يهتم بتعبِهم وإرهاقهم.
وعندما انتهَوا من العمل في النهاية،
قرر الذهاب لتفقدها،
ولكن عندما وصل إلى بلدة المنظور،
كانت بالضبط كما تركها.
لم يتمكن من العثور على القلعة،
لم تكن على الجبل،
لم تكن على الشاطئ،
لم تكن في البر الرئيسي.
غضب الملك جدًّا،
وسعى إلى انتقامه العادل
من كل من خدعه.
أنزل جيشه على المدينة،
وعندما مات الناس جميعًا

ظهر طائر الكاردينال الأحمر.
قال: «أيها الملك فيليب، ماذا فعلت؟
لقد قتلت الناس الطيبين، كما أخشى.»
حاول الملك فيليب أن يشرح
أن المدينة تستحقُّ الموت،
لأن قلعته لم تُبنَ قط،
لن يراها أبدًا بأمِّ عينَيه.
قال الطائر: «لكن أيها الملك، لقد افترضتَ فقط.
أنت لم تُحاول حتى
أن تنظُر من منظورٍ مختلف.
لا تنظر فقط بعينَيك.»
ثم قاده الطائر إلى مكانٍ
حيث ينبغي أن تكون القلعة،
حرك جانبَي صخرةٍ
فسقط الملك فيليب على ركبتَيه
لأنَّ داخل الجبل كانت القلعة؛
أروع ما تم بناؤه على الإطلاق.
لم يُصدق الملك فيليب عينَيه،
وسرعان ما أصبح محطمًا بالذنب؛
لقد قتل الكثير من الناس،
الأشخاص الذين كان ينبغي عليه حمايتهم
ببساطة، لأنه لم يستطع الرؤية،
لم ير القلعة من وجهة نظرِهم،
«اخفوا أجسادهم!» صاح الملك فيليب.
«اخفوا كل جثة!

ضعوهم داخل الجبل.
ثم أغلقوا تلك الأبواب إلى الأبد!»
أخفى جيش الملك الجُثَث،
وهرب الملك فيليب من الأرض،
وعاد إلى قلعته القديمة.
لم يتحدَّث عن المنظور مرةً أخرى.
يقول البعض إن هذه القصة غير حقيقية.
يقول البعض إن المدينة لم تُوجَد قط،
لكن انظُر إلى أي خريطةٍ وسترى؛
لم تعد هناك مدينة تُسمَّى المنظور..

عدتُ إلى الصفحة الأولى من القصيدة، وأنا أشعر بالصدمة ممَّا قرأته للتو. هذه قصيدة للأطفال؟ إنها كئيبة تمامًا، إن لم تكن أكثر كآبةً من الفن الذي يُبدعه. إلى جانب حقيقة أن موبي يعتقد الآن أنها قصة حقيقية!

«أنت تعلم أن هذا خيال، أليس كذلك؟» نظرتُ إلى موبي لكني رأيت عينَيه مغمضتَين. لم ألحظ حتى أنه نام أثناء القراءة. أعدتُ القصة إلى رفِّ كتبه، أطفأت الضوء قبل أن أُغادر الغرفة وأتوجَّه مباشرة إلى القطاع الأول. وجدتُ ساجان في المطبخ يساعد أونور في غسل الأطباق.

ـ «ماذا بك؟»

نظر كلاهما إليَّ، لكنني حدقتُ به.

سألني: «هل هذا سؤال مفتوح؟»

ـ «لقد ذبحتَ بلدة بأكملها من الأبرياء!»

أومأ برأسه وعلامات الفهم تتبدَّى على وجهه: «أوه، لقد قرأتِ لموبي.»

ـ «هذا مزعج! إنها قصته المفضلة الآن.»

سألتني أونور: «عن ماذا تتحدَّثين؟»

أشرتُ بيدي في اتجاه صديقها المهووس: «لقد كتب قصةً مُقفَّاة لموبي، لكنها أسوأ قصة أطفال قرأتُها على الإطلاق.»

قال مدافعًا عن نفسه: «الأمر ليس بهذا السوء، إنها تحمِل رسالة جيدة.»

قلت بذهول: «فعلًا؟ لأن الرسالة التي وصلتني هي أن الحاكم الذي لم يُعجبِه عمل الفلاحين الذين استأجرهم لبناء قلعته، ذبحَهُم جميعًا، ثم أخفى جُثثهم في الجبل، ومضى بحياته السعيدة».

تبدَّت علامات الانزعاج على وجه أونور، رؤية وجهها بهذا التعبير جعلتني أُقرر ألا أُبدِيه أبدًا لأنها بدت قبيحةً جدًّا.

قال ساجان: «لقد فاتتك الرسالة تمامًا إذن، إنها قصيدة عن المنظور.. وجهات النظر»

سأل يوتاه وهو يدلف إلى المطبخ: «عن ماذا نتحدَّث؟»

ـ «القصة التي كتبتُها لموبي.»

ضحك يوتاه وهو يتناول زجاجة صودا من الثلاجة. قال قبل أن يأخذ رشفة: «لقد أحببتُ هذه القصة». مسح فمه وقال: «لا أستطيع الاستماع إلى هذا طوال الليل»، في إشارة إلى الجدل الذي لا يزال يأتي من القطاع الثالث، أكمل: «هل تريدون الذهاب للسباحة؟»

قالت أونور: «طبعًا، سنفعل أيَّ شيءٍ للهرب من هذا البيت.»

نظروا جميعًا إليَّ. لم يدعُني أحد لفظيًّا، ولكن بالطريقة التي نظروا بها جميعًا إليَّ، افترضتُ أن هذه هي طريقتهم في سؤالي عما إذا كنتُ أرغب في الحضور.

«أنا لا»، قلت، رافضة دعوتهم غير اللفظية. لم أذهب قطُّ للسباحة مع أونور ويوتاه في الفندق من قبل. حتى باتا لا يَدعُوانني من الأصل، ولكن بما أنني أقف أمامهما مباشرة الآن، فمن المُحتمَل أنهما شعرا بالضغط. عندما رفضت، تبدَّت علامات الارتياح على وجه أونور.

قالت وهي تُلقي منشفة الأطباق على المنضدة: «كما تريدين».

كان ساجان لا يزال ينظر إليَّ، ولكن مع لمسةٍ من الفضول في تعبيره: «هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين أن تأتي؟»

حقيقة أنه بدا وكأنه يهتم بمجيئي جعلتني أرغب في تغيير رأيي. مع أونور ويوتاه، يبدو واضحًا أنهما يُفضلان قضاء الوقت بدوني. لا يجدان وجودي مكافأة إضافية. بالنسبة لهما،

وجودي مُزعج. لكن الطريقة التي حدَّق بها ساجان فيَّ، بدت وكأنه قد يُقدر وجودي بالفعل.

إنه يربكني. يجعلني أرغب في الذهاب للسباحة مع إخوتي للمرة الأولى منذ أن بدءا السباحة في اليوم الذي حصل فيه يوتاه على رخصته.

فُتح باب غرفة النوم في الربع الثالث وظهر لاك. دخل المطبخ ويداه في جيبَيه. وقف أبي وفيكتوريا قريبَين خلفه. تنحنح أبي وهو يخاطبنا جميعًا: «سيبقى لاك معنا لفترةٍ من الوقت. أنا وفيكتوريا سنكون مُمتنِّينَ لكم لو جعلتموه يشعر بالترحيب.»

بدا كلامه غريبًا، لأنه على الرغم من أن لاك قد فاز بهذه الجولة، إلا أن سلوكه قال عكس ذلك.

قال يوتاه: «مرحبًا بك، هل تريد الذهاب معنا إلى السباحة؟»

ـ «هل تملكون حمام سباحة؟»

هز يوتاه رأسه: «لا، ولكن يوجَد فندق في المدينة به حمّام سباحة داخلي مزود بتدفئة. نستطيع الدخول بفضل علاقات أونور»

قال لاك: «جميل. اسمح لي بالذهاب لارتداء ملابس السباحة.» همَّ بالخروج من المطبخ، لكنه استدار نحوي: «أنت قادمة أيضًا، أليس كذلك؟» قالها وكأنه يُناشدني ألا أتركه عالقًا مع بقيّة إخوتي. فأنا الوحيدة التي تفاعلتُ معه بشكلٍ جيد. قلت: «نعم، سوف آتي.»

كان ساجان على وشك الاقتراب من الزاوية عندما سمِعَني أقبَل دعوة لاك. نظر إليّ من فوق كتفه لحظة متوقفًا عن السير، لكنه بعد ذلك واصل المشي.

سألت فيكتوريا: «أين موبي؟»

ـ «لقد وضعتُه في السرير بالفعل.»

وأنهيتُ المحادثة متجهةً نحو غرفتي.

في وقتٍ سابق من اليوم، ندمت على لقائي بلاك في المتجر، ولكن الآن يبدو أنني لديَّ صديق أخيرًا في هذا المنزل. لم أذهب قطُّ للسباحة مع يوتاه وأونور لأنهما لم يرغبا بوجودي، لكنني أخشى أنه إذا لم أذهب الليلة، فإن لاك سيرتبط بثلاثتِهم أكثر وسأعود بلا أصدقاء مرة أخرى.

أمسكتُ برداء السباحة من قطعةٍ واحدة وقميصٍ واسع وعُدت إلى الردهة. في نفس اللحظة، خرج ساجان من غرفته فتوقَّف عندما رآني. فتح فمه، ولكن قبل أن يقول ما يودُّ قوله، فتحت أونور بابها. فأغلق فمَه.

الآن سأتساءل ـ لبقيَّة المساء ـ عمَّا كان على وشك أن يقوله.

لحِقْنا بيوتاه ولاك إلى الخارج. لكني توقفتُ عند الحمَّام لجلب بعض المناشف. قبل أن أصل إلى الباب الأمامي، نظرتُ إلى تمثال يسوع المسيح. وتساءلت: هل يستجيب الله للدعاء قبل أن يُطلَب منه؟ هل هذا هو سبب وجود لاك هنا؟ هل هو الإلهاء الذي صليتُ من أجله سابقًا؟

ـ «هل أنت مسئولة عن ملابسه المُدنَّسة؟»

أخرجني صوت أبي من أفكاري. كان يقف على بُعد بضعة أقدام، يُحدق في التمثال.

ـ «لا،» قلتُ كاذبةً، «لا بد أن هذه معجزة.»

ركضتُ خارجة وأغلقت الباب الأمامي بينما أسمع صوت أبي المكتوم من الجانب الآخر. «إذا خسِر رعاة البقر، ستُعاقَبين!»

فرصة خسارة رعاة البقر جيدة. أما فرصة أن يُنفذ أبي تهديده ليست كذلك.

# الفصل السادس

فورد ويندستار هي واحدة من أكثر السيارات استعمالًا في مرأبنا. تتَّسع لسبعة أشخاص، لكن بمعدل زيادة المُقيمين في منزلنا هذا الشهر، سنحتاج إلى سيارة أكبر قريبًا. كنتُ آخر من وصل إلى الشاحنة لكن صديق أونور جلس في الخلف وترك أحد المقاعد الفردية الوسطى خالية لي. بينما جلس لاك على المقعد الآخر. وجلسَت أونور في مقعد الركّاب الأمامي بينما قاد يوتاه السيارة.

نعيش في قلب اللامَكان، في بلدةٍ صغيرة جدًّا غير مؤهلة ليتواجد بها فندق به حمّام سباحة. على بُعد اثني عشر ميلًا من أقرب متجر، ومسافة أكبر للفندق الذي نتَّجه إليه، على الأقل خمسة عشر ميلًا بالسيارة. لكن في منطقة قروية مثل هذه، لن نستغرق أكثر من ثلاثة عشر دقيقة للوصول إلى هناك.

«إذن...» قال يوتاه. «أنت شقيق فيكتوريا؟»

أجابه لاك: «أخٌ غير شقيق.»

ضحكتُ ضحكة مكتومة لأنه بدا وكأن رغبته في إنكار علاقته بفيكتوريا على قدْر رغبتنا.

ـ «من أين أتيتَ؟»

ـ «كل مكان. أنا وفيكتوريا لنا نفس الأب، وأُمَّين مُختلفتَين. عاشت مع أُمها وعشتُ مع أبينا وأُمي. تنقّلنا كثيرًا حتى تطلَّق والداي.»

قالت أونور: «آسفة لسماع ذلك.»

ـ «لا بأس. هذا يحدُث للجميع.» كان صادقًا في ذلك. فلم يُتبع أحد هذا التعليق بسؤال.

«لم تُخبريني أن لديكِ توءما متطابقًا يا ميريت» قال لاك مُوجهًا انتباهه تجاهي.

ـ « لأنك لم تتوقّف عن الحديث طوال الوقت عندما كنا في السيارة.» أجبتُ، مشيحةً بنظري عنه تجاه النافذة. ثم أكملت : « لم يكن هناك وقت كافٍ لسرد قصة حياتي كاملة.»

ـ «ليس صحيحًا، لأن قصة حياتك كانت بالضبط ما حاولتُ إخراجه منك.» قال ضاحكًا.

ـ «لكنك لم تصِل إلى شيء، أليس كذلك؟»

ـ «وصلت بشكلٍ كافٍ لمعرفة كل شيءٍ عن الرجل الذي تشعرين بالانجذاب إليه.»

تحرك رأسي ناحيتَه، ورفعتُ حاجبيَّ مُحذرة، لأُعلمه أنه تجاوز الحد كثيرًا بهذا التعليق.

«انتظر..» قالت أونور، واستدارت في مقعدها تجاهي. « أنت مُنجذبة لشخصٍ ما؟»

أشحتُ بعينيَّ ونظرت خارج النافذة ثانيةً قائلة: «لا.»

«من هو؟» قالت أونور، موجهةً سؤالها إلى لاك.

خدشتُ بنطالي الجينز في عصبية، آمِلةً ألا يفتح فمه. لا أعرفه على الإطلاق. قد يسعى لإحراجي على سبيل الدُّعابة.

قال لاك: «لا أستطيع تذكُّر اسمه، اسألي ميريت.»

استدارت أونور في جلستها وقالت بنبرة اتهام: «ميريت لا تُخبرني مثل تلك الأشياء.»

نظرتُ تجاه لاك كان يُحدق بي. قال: «لديكما ديناميكية غريبة بالنسبة لتوءم متطابق.»

قلت مُعترضة: «لا لسنا كذلك، توجد وصمة كاذبة مُرتبطة بالتوائم.»

«بالضبط..» قالت أونور موافقة. «ليس لدى كلِّ التوائم أشياء مشتركة تتجاوز مظهرهم.»

ـ «أعتقد أن لديكما أشياء مشتركة أكثر مما تعتقدان.»

قالها ساجان من المقعد الخلفي. نظرت أونور من فوق كتفِها ورمقتْه بنظراتٍ غاضبة. أردتُ الالتفات والنظر إليه بغضب كذلك لكني في الواقع أشعر بأشياء عندما أنظر إليه، على عكس أونور. لا أدرى إن كانت أونور مُنجذبةً إليه حتى. إنها لا تنظر إليه كما كنتُ سأنظر إليه لو كان صديقي. ولو كان صديقي كنتُ سأجلس بجواره على المقعد الخلفي، لن أجلس وحدي على المقعد الأمامي حيث تجلس أونور.

شعرتُ بالأسف تجاهه. إنه يستثمر الكثير في هذه العلاقة أكثر مما تفعل هي. يمكنني معرفة ذلك ببساطة من الطريقة التي قبَّلَني بها عندما اعتقد أنه يُقبلها. لقد انتقل إلى هنا والتزم وهي تنتظر فقط حتى تجد رجلًا أوهنَ صحة.

استدار لاك وواجهَ صديق أونور: «ما مدى اندماجك في هذه العائلة؟»

«هو مندمج معي..» قالت أونور من المقعد الأمامي، مُجيبةً سؤال لاك الذي كان في الواقع موجهًا إلى ساجان. لو كان صديقي كنتُ سأتركه يُجيب على أسئلته.

سأل لاك: «كيف التقيتُما أنت وأونور؟»

ظللتُ أحدق من النافذة، لكنِّي كنت أستمع عن قرب. لم أسأل أيًّا منهما هذا السؤال مباشرة، لذا لم أسمع سوى نُتَف وأجزاء عن طريق التصنّت.

قال ساجان: «أُصِبتُ بالحساسية بسبب شيءٍ أكلته. ذهبت إلى المستشفي وهناك التقيتُ بأونور.»

نظر لاك للأمام سائلًا أونور: «كنتِ في المستشفي أيضًا؟»

هزّت أونور رأسها فقط لكنها لم توضح لِمَ كانت هناك. كنتُ على وشك إخبار لاك أن أونور كانت تودِّع صديقًا آخر عندما وضعت أنظارها على ساجان بلا علم، مفترضة بشكلٍ خاطئٍ أنه على أعتاب الموت.

«أونور كانت تزور صديقًا.» قال ساجان مُجيبًا بدلًا من أونور.

لماذا يُجيبان على الأسئلة التي تُوجَّه لهما بالعكس؟

لدقائق قليلة لم يتحدّث أحد، رغم ذلك لديّ ملايين الأسئلة إلى لاك وملايين أكثر لساجان. لكننا كنا قد وصلنا إلى الممر الطويل للفندق، أخيرًا ألقى يوتاه عن كاهله سؤالًا.

ـ «لِمَ تكرهك أختك كثيرًا؟»

ـ «نصف الشقيقة،» أوضح لاك. «ما زالت غاضبةً مني بسبب شيءٍ فعلته منذ أكثر من خمس سنوات.»

«ماذا فعلت؟» سألت أونور وفكَّت حزام الأمان.

ـ «لقد قتلتُ أبانا.»

توقفت يدي فوق حزام الأمان. نظرتُ للأعلى ولاك يفك حزام الأمان ويفتح باب الشاحنة. خرج لكن بقيَّتنا أصابه الشلل من إجابته. بمجرد خروجه من الشاحنة سوَّى تنورته ثم نظر بالداخل إلينا جميعًا.

ـ «أوه، هيا. أنا أمزح.»

زفرت أونور: «هذا ليس مضحكًا،» قالتها وفتحت بابها بقوة.

عندما دخلنا مشت أونور إلى مكتب الاستقبال وضربت الجرس. بعدها بثوانٍ قليلة ظهرت من المكتب الخلفي أنجيلا كابيتشي إحدى صديقات أونور من المدرسة.

لم أُحب أنجيلا قط. كانت تسبقنا بسنةٍ دراسية، لكنها وأونور كانتا صديقتين منذ طفولتنا. لم يكن مسموحًا لمعظم أصدقائنا بزيارة منزلنا بسبب الشائعات (التي لها أساس حقيقي، وتلك الزائفة) عن عائلتنا. لذا كانت الصداقات التي نكوّنها أنا وأونور مع الآخرين مجرد صداقاتٍ عابرة. أُفضل البقاء مع نفسي أكثر مما تفعل أونور. لست بمثل جودتها في إخفاء نفوري، لطالَما كرهتُ أنجيلا. كانت من نوع الفتيات التي تستمد قيمتها من مدى اهتمام الرجال بها. ومن الطريقة التي تنظر بها إلى لاك الآن، لا بد أنها بحاجةٍ إلى قليل من التقدير. رمقَتْه بابتسامةٍ مخاتلة وسألته: «هاي، ألم أرك من قبل؟»

أومأ لاك برأسه ورد لها ابتسامتها المُغازلة قائلًا: «مهاجر وصل حديثًا.»

رفعت أنجيلا حاجبًا، وبدا أنها غير متأكدة من كيفية الرد على تعليقه. نظرت ثانية إلى أونور وقالت: «ستنتهي مُناوبتي في الحادية عشرة. إن كنتم ما تزالون هنا، سأنضم إليكم.»

قالت أونور: «يجب أن نكون في المنزل في العاشرة.» حملت بطاقة فتح مدخل حمّام السباحة وأكملت: «شكرًا على هذه.»

أومأتْ أنجيلا مصوبةً نظراتها ثانية إلى لاك وقالت بصوتٍ مُرحب: «في أي وقت.» ظلت عيناها ملتصقتَين بلاك ونحن نشقّ طريقنا نحو الحمامات للتغيير.

مشيتُ أنا وأونور إلى حمام الفتيات وعلى الفور خلعَت قميصها لترتدي ملابس السباحة من دون الدخول إلى إحدى الكبائن. أنا أكثر تواضعًا منها، وفكرة دخول شخصٍ ما إلى الحمَّام بينما أنازع لارتداء ثوب السباحة الخاص بي كافية لإجباري على الدخول إلى الكابينة للتغيير. كنتُ قد خلعت بنطالي الجينز والتيشيرت عندما قالت أونور الذي لا مفر منه.

ـ «إذن لمن كان يُشير لاك؟»

توقفتُ للحظة، بعدها سحبت ثوب السباحة: «عما تتحدَّثين؟»

«في الشاحنة» قالت موضحةً ما أعرفه بالفعل. «قال إنكِ معجبة بشخصٍ ما. هل أعرفه؟»

أغلقتُ عينيَّ محاولة تخيُّل الجحيم المندلع لو اعترفتُ لها أن الرجل الذي أكن الإعجاب له هو صديقها. ستكون النهاية للقليل المُتبقي من علاقتنا كأختَين. فتحتُ باب الكابينة ساحبة التيشيرت من فوق رأسي وقلت: «كان يكذب، لا يوجَد أحد. بالكاد أترك المنزل. كيف سألتقي بأحدِهم؟»

بدت أونور مخذولةً من إجابتي. كما أنها بدت... مذهولة. سألتها: «هل هذا ثوب سباحة جديد؟» كانت ترتدي مايوه أحمر بنقوشٍ سوداء من قطعتَين يُلائمها جيدًا كما يليق بالبيكيني، لكن اللون والتفصيلة كانتا رائعتَين. نظرتْ لأسفل قميصي الواسع الذي يُغطي جسدي غير المتناسق، ارتدي مايوه أسود بسيطًا من قطعةٍ واحدة، تجهَّمَت.

«لقد اشتريتُه منذ شهور.» قالت رافعةً يدَيها للأعلى لتدفع شقَّي صدرِها معًا. «أنت فقط لا تأتين للسباحة معنا أبدًا لذا لم ترَيْه قط»

تمتمت: «تعرفين أنني لا أُحب السباحة،»

طوت أونور سروالها الجينز ووضعته على طاولة الحوض. تلاقت أعيُننا في المرآة وسألتني: «هل هذا هو السبب؟»

على الرغم من أنه يبدو عكس ذلك، كان سؤالها بلاغيًّا. تعرف أونور أن سبب عدم مجيئي للسباحة معهما لا علاقة له بشعوري تجاه المياه. أنا لا آتي بسبب علاقتي المُمزَّقة معها ومع يوتاه. العلاقة المتوترة لمدة خمس سنوات حتى الآن.

خرجتْ من الحمَّام وانتظرتْ لحظة حتى اتبعتُها. آخِر شيء أحتاج أن أشاهده هو رد فعل صديقها عندما ينظر إليها في ثوب السباحة ذاك.

لاحظتُ أنني أحيانًا أُشير له في رأسي كـ «صديقها» بدلًا من ساجان. تساءلتُ هل سأتوقف أبدًا عن الإشارة إليه كصديقها وليس باسمه. أنا فقط أُحب اسم ساجان. إنه ذكي ومُثير ولا أريده أن يُلائمه، لكنه يُلائمه جدًّا. بذلك أريد أن أشير له بلقبه. صديق أونور، إنه أقلُّ جاذبية. مجرد أُمنيات..

خلعتُ قميصي ونظرت في المرآة. حدقتُ في رداء السباحة من قطعةٍ واحدة الذي أرتديه وتساءلتُ لمَ يبدو كل شيءٍ أجملَ على أونور، حتى ونحن مُتطابقتان. تبدو أجمل في الفساتين، وأجمل في بناطيل الجينز، وأطولَ في الأحذية العالية، وأكثر جاذبيةً في أثواب السباحة. لدينا نفس الجسد، نفس الوجه، نفس الشعر، نفس كل شيء من الخارج، لكن يطغى على مظهرها نُضج وتطوُّر أكثر مما استطعتُ الوصول إليه في أى وقتٍ مضى.

ربما لأنها أكثر خبرةً مني. لقد سبقتني بثلاث سنوات في فقدانها لعُذرِيَّتها. قد يكون هذا سبب ثقتها المُحيرة. الشخص الوحيد الذي عبثتُ معه كان درو والدروب ولم يصل حتى

للمرحلة الثالثة في العلاقة. ولم تنته تلك الكارثة باكتسابي مزيدًا من الثقة. بل انتهت بي أكثر خجلًا.

على الأقل حصلتُ على كأسٍ من ورائها..

أعلَم أنني سخيفة. ففقدان العُذرية لا يجعل منك امرأةً أكثر من العذراء. هذا يعني فقط أن غشاء البكارة قد انفض. يا لَه من شيءٍ تافه.

سحبتُ التيشيرت من فوق رأسي. لن أبدأ السباحة أمام صديق أونور بينما هي تبدو كما تبدو.

كان أربعتُهم في الماء عندما مشيتُ إلى غرفة المسبح. أبقيتُ رأسي منخفضًا. لم أرغب في التواصل البصري مع أحدٍ بينما أمضى في طريقي. لم أكن واثقةً أنني أريد السباحة بعد، لذا جلستُ على الحافة عند النهاية الضحلة وتركتُ ساقيَّ تتدلَّيان في المياه. شاهدت أربعتهم يسبَحون لمدة نصف ساعة، متجاهلةً مناشدات لاك لأنضم إليهم. عندما رفضتُ للمرة الثالثة، سبح تجاهي في النهاية. ابتسم وأسند ظهره على حافة حمام السباحة ليُشاهد يوتاه وساجان يتسابقان من أحد أطراف الحمام إلى الطرف الآخر. جلسَتْ أونور عند طرف المياه العميقة في انتظار أن تُعلن الفائز.

«أنتما مُتطابقتان، أليس كذلك؟» قال لاك وهو يدور في المياه حتى يُصبح في مواجهتي.

ـ «من الخارج.»

مد يده وسحب حافة التيشيرت. «لهذا تُخفين ثوب السباحة الخاص بك بهذا التيشيرت؟»

ـ «أشعر بالراحة أكثر وأنا مُغطاة.»

ـ «لماذا؟»

أشحتُ ببصري: «أنت لا تتوقف عن الأسئلة أبدًا.»

لوَّح تجاه أونور: «لو استطاع الناس رؤيتها، فيمكنهم رؤيتك. أنتما نفس الشيء.»

ـ «نحن شخصيتان مُختلفتان. هي ترتدي البيكيني. أنا لا.»

ـ «هل هو شيء ديني؟»

ـ «لا.»

لقد عرفته فقط لنصف يومٍ وها هو بالفعل يزداد قربًا من يوتاه وأونور بمقياسٍ مزعج. مال تجاهي وخفَضَ صوته هامسًا: «هل هذا بسبب ساجان؟ هل هو سبب شعورك بعدم الراحة؟»

ـ «لم أقل قطُّ إنني غير مرتاحة. فقط قلتُ إنني أكثر راحة في التيشيرت.»

أمال رأسه: «ميريت. هناك فارق هائل في مستويات الثقة بالنفس بينك وبين أختك. وأنا أحاول معرفة جذور ذلك.»

ـ «لا يُوجد فرق. نحن فقط... هي أكثر انفتاحًا.»

سحب نفسه من الماء، وارتمى على الحافة بجواري. خرج يوتاه كذلك، لكن لأن هاتفه رن. استقبل المكالمة ومشى خارج غرفة المسبح.

بقي أونور وساجان عند الجانب العميق، كان يساعد أونور على الطفو. يداه تحت الماء، راحتاه تسندان ظهرها. يضحك وهو يتحدث معها أثناء الحركات. حرقت الغيرة حلقي وأنا أُحاول ابتلاعها.

قال لاك: «أنتِ تجعلين الأمر واضحًا للغاية.»

ـ «ماذا؟»

أشار برأسه تجاههما: «الطريقة التي تنظُرين بها إليه. يجب أن تتوقَّفي.»

شعرتُ بالإحراج لأنه لاحظ ذلك. لكني لم أعترف له بأنه على حق. بدلًا من ذلك غيرتُ المحادثة لتكون عنه: «لماذا تكرهك فيكتوريا؟»

للمرة الأولى، خيَّم الحزن على تعبيراته. أو ربما الندم. ركل بساقه اليمنى فقذف الماء لعدة أقدام.

ـ «لم يتدخَّل أبونا في حياة أيٍّ منَّا، وعانت أُمِّي للتحكم بي. اعتقدتُ أن فيكتوريا يمكنها المساعدة، لذا ذهبتُ لأعيش معها عندما كنتُ في الخامسة عشرة. لم أتمَّ هناك أسبوعًا حتى سرقتُ مجوهراتها ورهنتُها.»

انتظرتُ أن يشرح باقي القصة، لكنه لم يُضِف شيئًا. فقلت: «هذا كل شيء؟ أخذت بعض المجوهرات عندما كنتَ أصغر فطردتْك ورفضت الحديث معك لمدة خمس سنوات؟»

مال إلى اليمين ثم إلى اليسار حتى سحب الكلمة قائلًا: «حسسسسنًا، كان الأمر أكثر من قطعة مجوهرات صغيرة. من الواضح أن ما أخذتُه مرَّ على أجيالٍ من عائلة أُمها وعنى لها

الكثير. عندما واجهَتْني بالأمر، كنتُ متبلدًا. كنت طفلًا فاسدًا أدمن تدخين الحشيش. خُضنا عراكًا كبيرًا ورحلت. ولم أعُد قط.»

ـ «لم تتحدَّث معها منذ حدث ذلك؟»

ـ «لا، لم نكن بهذا القُرب على أي حال.»

ـ «لماذا سامحتك الليلة؟»

ـ «أخبرتُها أن أمي ماتت وليس لديَّ مكان آخر أذهب إليه.» صمت لحظة وأضاف: «كما أنني تمكنتُ من تتبع أحد خواتمها. أعطيتُه لها واعتذرت. كان الأمر صادقًا لأني بالفعل أشعر بالسوء لما فعلت. أعتقد أن كل ما أرادت طوال هذا الوقت كان الاعتذار.»

من المُضحك أن تحتاج فيكتوريا الاعتذار من الناس، لكنها لم تعتذِر لأيٍّ منَّا ولو مرة واحدة على تمزيق عائلتنا. سألتُه: «والآن ماذا؟»

ـ «أعتقد الآن سأتعرَّف على أولاد وبنات أختي.»

ـ «لا تُطلِق علينا ذلك. الأمر غريب جدًّا.»

ـ «غريب لماذا؟»

هززتُ كتفيَّ: «لا أعرف. أعتقد أنه لا يُمكنني أبدًا النظر إليك كعمِّي.»

ـ «هل أنتِ منجذبة إليَّ؟»

سخرتُ منه، وربما ارتبكت قليلًا. لاك جيد المظهر، وسأُصبح كاذبةً لو قلتُ إن عقلي لم يفكر في هذا الاتجاه سابقًا اليوم، قبل أن أكتشف أنه شقيق فيكتوريا من الأب. لكن بعد عِلمي الآن، لا يوجَد أدنى قدْر من الجاذبية هناك. لا أستطيع حتى احتمال الفكرة بما يكفي للمزاح معه. قلت: «لا تتملَّق نفسك.»

ضحك: «القول أسهل من الفعل.»

نظرت إلى أونور وصديقَها مجددًا. كلاهما يطفوان على ظهرَيهما في المياه، مُتشابكَي الأيدي. مما جعلني أتساءل هل هناك اختلاف بيني وبين أونور في الأمور البسيطة كتشابُك الأيدي. هل سأُمسك يد ساجان بنفس الطريقة؟ هل أنا وأونور نُقبِّل بنفس الطريقة؟ هل سيمكنه حتى التفرقة بين اثنتَينا؟ هل يعتقد أن قُبلتنا عند النافورة مختلفة عن المرَّات الأخرى التي قبَّلها فيها؟ هل يشعر أبدًا بالحيرة؟

سألت لاك: «هل يُمكنك أن تُفرق بيننا؟»

هز رأسه: «ليس حقًّا. لكنكما مُختلفتَين للغاية. في الغالب لن أستغرق وقتًا طويلًا للتفرقة بينكما.»

ـ «كيف نحن مختلفتان؟ لقد عرفتَنا لساعاتٍ قليلة فقط.»

ـ «يمكنني فقط القول. لديكما طاقات مختلفة. لا أعرف، من الصعب شرح ذلك. أنت تبدين فقط... أكثر جديةً منها.»

ـ «أنت تعني أنها تبدو أكثر مرحًا منِّي.»

نظر إليَّ بحدة: «ليس هذا ما قلتُه على الإطلاق يا ميريت.»

ـ «أعرف، لكن تلك هي الخلاصة. أنا التوءم الهادئ والغاضب. هي المنفتِحة والمرحة.»

ـ «لا أعرف أيًّا منكما بشكلٍ كافٍ لأصِلَ إلى هذا القرار بعد.»

ـ «حسنًا، لن تستغرق الكثير لتصِلَ إلى هذا. وعندها ستكون أونور هي مُفضلتك وستخرج معها ومع ساجان ويوتاه وأربعتكم ستُصبحون أصدقاء مُقربين.»

نكزني بكتفِه: «توقَّفي عن ذلك. هذا ليس ظريفًا.»

ضحكت: «حسنًا، من المُفترَض ألا تنجذِب لابنة أختك.»

ـ «حافظي على سلوك جلْد الذات ذاك، ولن يكون لديكِ شيءٌ لتقلقي بشأنه.» نظر إلى أونور وقال: «أسماؤكما غريبة. ما سبب ذلك؟»

ـ «تقول ذلك رغم أن اسمك لاك؟ فيمَ كانت تفكر أُمك؟» بمجرد أن خرجت تلك الجملة من فمي حتى ندمت. ربما ما زال حزينًا على موتِها وها أنا أستحضِرها. تمتمت: «آسفة، كان ذلك فظًّا.»

ـ «لا تقلقي. كانت شخصيةً رهيبة. لم أرَها لسنوات.»

ـ «اعتقدتُ أنك كنت تعيش معها. ولهذا جئتَ إلى هنا، لأنها ماتت.»

رفع حاجبًا: «لا، أخبرتُك أن هذا ما قُلته لفيكتوريا. لكني لم أسكن معها منذ طردتني فيكتوريا. قفزتُ في حافلة إلي كندا لأعيش مع أحد أصدقائي. بعد شهورٍ قليلة وبطاقة هوية مُزيفة، حصلت على وظيفة على سفينةٍ سياحية، وظللتُ هكذا لخمس سنوات.»

ـ «كنتَ تعمل على سفنٍ سياحية؟»

أومأ: «لقد زرتُ ستًّا وثلاثين دولة حتى الآن.»

ـ «هذا يُفسر لكنتك الهجينة.»

ـ «ربما. أُحب إعادة تشكيل نفسي كل رحلة. العمل والروتين مُملَّان، لذا أتظاهر أنني شخص آخر مع كل إبحار. لديَّ أكثر من أربع عشرة لهجة مُتقنة. استمررتُ هكذا كثيرًا، أشعر بالارتباك الآن عندما أُحاول التحدث بشكلٍ طبيعي.»

حدقتُ فيه للحظة، أشاهده وهو ينظر للمياه: «أنت... مُثير.»

عدل ظهره وخبط بيدَيه على ركبتَيه: «تلك إحدى الطرق لقول ذلك.» قفز من المسبح ثم نظر إليَّ: «سأعود ثانيةً بعد قليل.» التقط منشفة، وخرج من غرفة السباحة من دون أي توضيحاتٍ إضافية. راقبتُه حتى أغلق الباب خلفه. عندما التفت حولي، كان ساجان وحدَه في حمَّام السباحة وكان يسبح تجاهي. حاولت أن أجد شيئًا آخر لأنظر إليه، لكنى لم أنجح سوى في إظهار حرَجي أكثر، أجبرتُ نفسي على التواصل البصري معه محاولة تجاهل طرقات نبضي الفوضوية المفاجئة. سألني: «لم لا تسبحين؟»

ـ «كنتُ أتحدث مع لاك.»

شعرتُ أني مكشوفة لعدم نزولي الماء. قفزت فى المسبح وسمحت لنفسي بالغوص للأعماق قبل أن أخرج ثانيةً لأواجهه. وعندما اخترقت السطح أخيرًا. دفعت شعري للخلف وفتحت عينيَّ. كانت أونور تُغادر غرفة السباحة. التفتُّ نحوه سائلة: «إلى أين تذهب أونور؟»

ـ «إلى الحمام.»

تحرك نحو الجزء الضحل من المسبح وجلس. كان عُمق المياه أقدامًا قليلة، لذا بقِيَت كتفاه فوق الماء. جلستُ بجواره حتى لا أضطر للنظر إليه. بالكاد ارتفع ذقني فوق الماء. كانت الغرفة مُقفرة. تناقض الصمت الصارخ مع ما كانت عليه الغرفة من لحظاتٍ فقط. تسبَّب الهدوء في زيادة خفقان قلبي، لذا أجبرتُ نفسي على كسر الصمت. سألته: « ما قصتك؟»

دار في الماء ليُواجهني. تقاطرت المياه على شفتَيه، لكنها انزلقت عندما ابتسم. سألني: «هل يُمكنك أن تكوني أكثر تحديدًا؟»

ازدردتُ ريقي بصعوبة: «لِمَ انتقلتَ للعيش معنا؟»

ـ «هل يُضايقك سكني معكم؟»

هززتُ كتفي: «عمر أونور سبعة عشر عامًا فقط. ما زال مبكرًا أن ينتقل صديقها الحميم ليعيش معها.»

ـ «لكني لستُ صديقها الحميم.»

قال ذلك وكأنه لا يُمانع حقيقة أنها تُبقي خياراتها مفتوحة. فسألته: «أنت لستَ ميتًا بما يكفي لها لترغب في جعل علاقتكما رسمية؟»

لم يضحك. علمتُ أنه لن يفعل. كان نقدًا غير عادل. تحرك ثانيةً تجاه الحافة وكنت شاكرة. المحادثات معه تكون أسهل عندما لا يقع تحت نظري. ما زلتُ لا أستطيع تحمُّل الهدوء ووجدتُ نفسي أتمنَّى عودة يوتا ه وأونور. حاولت البحث عن موضوع يُنسيني أنه وأونور يتغازلان بشكلٍ يومي. سألته: «لِمَ تم تسميتك ساجان؟ هل والداك من مُحبي رواد الفضاء؟»

نظر إلي بعينَين متسعتَين قليلًا: «أنا مُنبهر بأنك تعرفين من يكون كارل ساجان. ولا، لم أُسمَّ على اسم رائد الفضاء، بالرغم من أني لن أمانع ذلك كثيرًا. ساجان كان اسم عائلة أُمي قبل زواجها.»

رفعتُ يدي أمامي ودفعت الماء عني في أمواج: «لا أعرف الكثير عن كارل ساجان، لكن اعتاد أبي ترك كتابٍ له على طاولة القهوة. كوزموس. كنت أتصفَّحه أحيانًا وأنا طفلة.»

ـ «أنا قرأتُ كل كتبه. أعتقد أنه مُذهل. لكني ربما أكون متحيزًا بسبب الاسم.»

اختفى تحت الماء وخرج ثانية، مُسوِّيًا شعره للخلف. سألني: «ما اسمك الأوسط يا ميريت؟»

ـ «ليس لدي واحد، خطَّط والداي للحصول على فتاةٍ وتسميتها أونور ميريت فوس، لكننا كنا اثنتَين، لذا أطلقا على كلٍّ منَّا اسمًا أول ولم يُزعجا أنفسهما بالتفكير في أسماء وسطى.»

حدق ساجان فيَّ برأس مائل وبتعبير وجهٍ مُمتلئ بالفضول. سألته: «ماذا هناك؟»

ابتسم قليلًا وقال: «لديك بقعة بُنية في عينك اليمنى. أونور ليس لديها واحدة.»

تفاجأتُ أنه لاحظ ذلك. قليل من الناس لاحظ ذلك. في الواقع، لستُ متأكدة إن كان أحدٌ لاحظ هذا الاختلاف من قبل. إنه دقيق الملاحظة. مما جعلني أتساءل عن تلك الرسمة التي وجدتُها في مفكرته وما الذي دفعه لرسمي أنا وأونور تطعن إحدانا الأخرى من الخلف. غمستُ نفسي في الماء ثانية لأتخلص من القشعريرة، عندما خرجتُ لففتُ ذراعيَّ حولي ونظرت إليه. لم أستطع التفكير في شيءٍ لقوله، رغم ذلك. أو ربما كان لديَّ الكثير لقوله لكني لم أعرف من أين أبدأ.

ابتسم ساجان لي بامتنانٍ للحظة، بعدها رفع يده وأزاح خصلات شعري المُبتلة الملتصقة بخدي: «تلك هي أكثر مرة تحدَّثنا فيها منذ التقَينا.» قالها بعفوية. لم يُبقِ أصابعه على وجهي كثيرًا، لكن إحساسي بها ظلَّ باقيًا. ونظرته. والقشعريرة التي تسللت إلى ذراعي بعد أن لمس خدي.

أومأت، مُحرجةً قليلًا من تعليقه: «نعم. أنا لستُ متحدثة جيدة.»

ـ «لقد لاحظتُ ذلك.»

شعرتُ بشيئَين مرة واحدة. شعرت بثقل إعجابي به، كان ثقيلًا للغاية، وكأن مرساة تريد سحبي أسفل الماء. لكني شعرت أيضًا بحاجتي للدفاع عن أُختي. لو أن لي صديقًا ولمس خد أونور بنفس الطريقة التي لمس ساجان بها خدي. لوجدتُ ذلك غير لائق.

لا يستطيع الشخص منع نفسه من الإعجاب بشخصٍ آخر. ولكن يمكن للشخص أن يتحكم في تصرفاته تجاه شخصٍ آخر. تسوية الشعر على خدي بينما ينظر إليَّ بالطريقة التي نظر بها، كان بالتأكيد تصرُّفًا توجَّبَ عليه التحكم فيه. علمت ذلك، لأني منذ اللحظة التي اكتشفت فيها أنه صديق أونور، فعلتُ كل ما في طاقتي لأُقاوم إعجابي به احترامًا لأختي. لكن لم يبدُ عليه أنه يقاوم ذلك بقوة لأنه نظر إليَّ وكأنه يريد سحبي تحت الماء ودفع أنفاسِه في رئتي.

نظرتُ إلى الخلف فوق كتفي على الباب، في انتظار عودة أحدهم، أي منهم. سأقبل حتى بيوتاه في تلك اللحظة. شعرتُ بالاختناق لاضطراري للبقاء مع ساجان وحدي في المسبح.

نظرتُ للأمام ثانيةً وأجبرت نفسي على سؤال المزيد من الأسئلة. ربما أكتشف عنه شيئًا مريعًا يجعلني أتوقَّف عن الشعور حياله بتلك الطريقة: «لم تُجِب بعد، لِمَ انتقلت لتعيش

معنا.»

وضع ابتسامةً مشدودةً على شفتَيه: «إنها قصة كئيبة نوعًا ما.»

ـ «حسنًا. أنا الآن أكثر فضولًا.»

ضيَّق عينَيه وكأنه يقيس مدى جدارتي بالثقة، لكنه بعدها منحني إجابةً مُقتضبة: «موقف عائلتي أقل تعقيدًا الآن.» لم يُوضح أكثر من ذلك فسألتُه: «تعني أنهم أسوأ من عائلتي؟»

ـ «عائلتكِ ليست سيئةً للغاية.»

بالطبع هو يعتقد ذلك. ليس هو الشخص الذي أُجبِر على الحياة معهم. هو هنا باختياره.

ـ «نعم، حسنًا، هذا بالنسبة لك، لأنه من وجهة نظري، هي ليست عائلةً يمكن التفاخُر بالانتماء إليها.»

لم تمنحني تعبيرا ته أي لمحة عن أفكاره. حدّق فيَّ فقط بهدوء بينما يُحيطنا الماء. تلامست ركبتانا بشكلٍ خاطف لتتسبَّب في سريان الرعشة بداخلي. لاحظت نفس الرجفة تتسلَّق ذراعه عندما سقط نظرُه على فمي. مثلما ارتعش في اليوم الذي أخطأني فيه على أني أونور وخلق الوحشَ داخلي بقُبلتِه. أحتاجه أن يتراجع لأميال قليلة أو أن يندفع تجاهي. كما يندفع إلى هاتفه. لحظة وليذهب بعدَها.

قفز خارج الحوض عندما رنَّ هاتفه. لم أر أحدًا يتوتر بهذا الشكل كلما رن هاتفه. أردتُ معرفة لِمَ يُصبح هكذا، لكني تمنيت أيضًا ألا أعرف أبدًا لأن هذا سيعني أن علينا أن نخوض محادثةً أخرى.

أجاب ساجان على هاتفه بينما يخرج من غرفة السباحة. بقيتُ وحدي الآن. كان الأمر مُخيفًا، لذا خرجتُ من الماء والتقطت آخر منشفة. وأمسكتُ المفتاح أيضًا وأشيائي وتوجهتُ إلى الحمَّام لتغيير ملابسي.

وضعَت أونور على وجهها زينةً حديثة ثم بدأت في تمشيط شعرها على الحوض. كانت قد غيَّرت بالفعل ثوب السباحة. سألتني: «هل الجميع مُستعد للذهاب؟»

ـ «أكثر من مُستعدين.» قلت وأغلقتُ باب الكابينة خلفي.

قالت في طريقها إلى الباب: «سأنتظر في الشاحنة.»

أنهيتُ تغيير ملابسي، لكني لم أهتم بتمشيط شعري أو وضع زينةٍ كما فعلت أونور. أنا فقط لا أهتم كثيرًا كما تفعل هي.

عندما وصلتُ ثانيةً إلى مكتب الاستقبال لأعيد المفتاح، كان ساجان في الردهة، ما زال يتحدث في الهاتف. ناولَتْه أونور ملابسه الجافة فابتسم لها ومشى بعدَها إلى الحمام.

خرجت أونور ويوتاه من الفندق لأظلَّ وحدي مرة أخرى. لم أتمكن من العثور على موظفة الاستقبال في أي مكان.

«أنجيلا.» قلتُ وأنا أنقر بالبطاقة على الطاولة. لم أكن متأكدة هل أترك البطاقة على الطاولة وأذهب، أم يجب أن أنتظر عودتَها.

«قادمة..» قالت وهي مُبتهجة قليلًا. انفتح باب المكتب وتسللَتْ للخارج، مبتسمةً ابتسامة عريضة. وهي تُمشط شعرها بأصابعها.

ـ «أردتُ فقط إعادة هذا.»

مررتُ المفتاح لها عبر الطاولة. وبينما أنا على وشك السير تجاه المخرج، توقفتُ حين اندفع لاك من المكتب الذي خرجَتْ منه أنجيلا. وهو ما يزال مُرتديًا الشورت الذي نزل به المسبح. نظرتُ إلى أنجيلا لكنها أشاحت بعينَيها بعيدًا، ودسَّت مؤخرة قميص العمل في تنورتها. نظرتُ ثانية إلى لاك.

سألني بعفوية كما لو أنني لم أُقاطع أيًّا ما كان يحدُث في ذلك المكتب: «هل الجميع مُستعد للذهاب؟»

أومأت، لكني لم أتحدَّث. فقط مشيتُ بعيدًا في هدوء لأنني فقدت النطق. هل حقًّا حدث ذلك؟

كان لاك في منتصف الحديث معي منذ خمس عشرة دقيقة عندما نهض وسار بعيدًا. كيف انتهى في خمس عشرة دقيقة بمُمارسة الجنس مع فتاةٍ لا يعرفها في مكتب استقبال الفندق؟

كنتُ غاضبة ولا أعرف حتى لِمَ أهتمُّ بمن يُمارس لاك الجنس معه. أنا حتى لا أعرفه. غضبتُ أكثر لحقيقة أنني لا أعرف أي شيءٍ عن ممارسة الجنس، ولا أفهم العلاقات السريعة مع رجال لم ألتقِهم من قبل. يبدو الجنس كشيءٍ ضخم. يجب التمهيد لحدوثه لشهور، وهو أنهاه في خمس عشرة دقيقة.

عندما وصلتُ إلى الشاحنة كان الباب مفتوحًا. جلست أونور على أحد المقعدَين الأوسطَين، لذا تركت الآخر لساجان وجلست على المقعد الخلفي هذه المرة. لست واثقة أنني أريد الجلوس بجوار أحدٍ عند هذه النقطة.

مشى ساجان إلى الخارج وارتقى إلى الكرسي الأمامي. سألَتْه أونور: «أين لاك؟»

«إنه يرتدي ملابسه.»

أضفت: «لقد تمَّ تعطيله. كان مشغولًا بمضاجعة أنجيلا في المكتب الخلفي.»

دارت أونور في مقعدها وصاحت بعينَين مُتسعتَين: «اصمتي! أنجيلا تواعِد راسل!»

لِمَ أهتمُّ حقًّا..؟

سألها يوتاه: «هل تواعده حقًّا؟ أليس هو شقيق شانون الأكبر؟»

دارت أونور في مقعدها لتُجيبه: «إنهما يتواعدان منذ سنتَين تقريبًا. لا أُصدق أنها يمكن أن تخونه!» بدت كلماتها وكأنها غاضبة من خيانة أنجيلا لصديقها، لكن صوتها وشى بأنها تتوق لإمكانية ذلك. لطالما أحبَّت أونور النميمة. إنها واحدة من الأشياء العديدة المشتركة بينها وبين يوتاه.

عاد لاك أخيرًا إلى الشاحنة وهو لا يزال يرتدي قميصه، ثم جلس على مقعده. أغلق الباب فلم تضيِّع أونور أي وقت، سألته: «هل مارستَ الجنس للتوِّ مع أنجيلا؟»

استدار لاك في مقعده وواجهني: «حقًّا يا ميريت؟»

شعرتُ بالذنب لإخبارهم. بدا الأمر وكأنني أتيتُ للشاحنة مباشرة بالنميمة، لكني فقط أخبرتهم لأنني... لا أعرف. لِمَ أخبرتُهم؟

التفَّ لاك في مقعده ثانية: «لا أريد التحدُّث عن الأمر.»

قالت أونور: «لدَيها صديق بالفعل.»

ـ «جميل جدًّا» قال لاك بغَير اهتمام.

ـ «ستجعل الأمور أسوأ بالنسبة لنا.»

ـ «ما المُفترض أن يعني ذلك؟»

ـ «لعائلة فوس سُمعة مريعة هنا بالفعل، بفضل أبينا وفيكتوريا. الآن أضفناك إلى هذا الخليط وأنت رجلٌ داعر.»

ضحك لاك: «ألا يمارس الناس الجنس في هذه المدينة؟»

قلت: «يفعلون، ولكن عادة ما تكون هناك أكثر من دقيقة واحدة من عملية الفحص.»

ـ «نعم، حسنًا، الجنس لا يعني الكثير بالنسبة لي كما يعني لكم يا رفاق.»

سألته أونور: «ماذا لو أنه عنى شيئًا بالنسبة لأنجيلا؟»

أشاح لاك برأسه ونظر إلى أونور: «صدقِّيني. لم يعنِ لها شيئًا.»

قلتُ بضحكةٍ مكتومة: «يقول هذا الكثير عن أدائك.»

استدار لاك واحتضن المقعد ونظر إليَّ قائلًا وهو يتحدَّاني بنظراته: «بالحديث عن الجنس، هل سبق ومارستِ الجنس مع أحدٍ تشعُرين بالانجذاب نحوه؟ ما اسمه ثانية؟»

هززت رأسي، متوسِّلةً إليه في صمتٍ أن يسكت، لا يُمكنني التأكد هل أغضبتُه ببدء هذه المحادثة بأكملها لدرجة أن يُقحِم ساجان في هذا الوضع المحرِج فقط ليردَّها إليَّ؟

«تبدين مُحرَجة..» قال مُضيِّقًا عينَيه. «هل أنتِ عذراء يا ميريت؟»

للأسف، غالبًا كنتُ العذراء الوحيدة داخل المجموعة كلها. لكنني لن أُناقش هذا مع أحد من داخل تلك الشاحنة.

سأل لاك ثانية: «هل أنتِ عذراء؟»

«توقف..» قال ساجان من المقعد الأمامي. كان صوتُه آمرًا بشكلٍ صادم.

رفع لاك حاجبًا واستدار ببطءٍ في مقعده ثانية. نظر ساجان في مرآة الرؤية الخلفية حتى وجدَني. لم يكن لديَّ أي فكرة عن الأفكار التي تدور في رأسه، لكن لم يبدُ أنها في صالحي. استمر في النظر إليَّ لثوانٍ قليلة وبعدَها نظر بعيدًا. أغلقتُ عينيَّ وأسندتُ جبهتي على ظهر مقعد لاك.

لِمَ يتوجَّب عليَّ القدوم الليلة؟ هذا هو السبب في أنني لا أتسكَّع مع أيٍّ منهم. لا ينتهي الأمر أبدًا نهايةً جيدة.

# الفصل السابع

هناك فقط أربع وعشرون ساعة اليوم، مثل كل يومٍ آخر، لكن اليوم بدت الساعات وكأنها تضاعفت..

عُدنا إلى البيت بعد العاشرة بقليل. أخذ ساجان حمَّامًا أولًا ثم أخذت أونور واحدًا. لدى يوتاه حمَّام في غرفته، لذا تبادل هو ولاك الأدوار في استخدامه. حين أتى الوقت وحصلتُ على حمام متاح، لم يعُد هناك أي ماء ساخن. لم أستطع حتى غسل شعري، لكنني لم أهتمَّ بصراحة. سآخُذ دشًّا عندما يُغادر الجميع غدًا.

أخرجتُ الرسمة التي رسمها ساجان هذا الصباح من خزانة ملابسي وعلقتها على الحائط بجوار سريري. شعرت بحاجة إلى النظر إليها طوال الوقت. أنظر إليها الآن وأنا جالسة على الأرضية المجاورة للحائط الذي يفصل غرفتي عن غرفة أونور. بدأت هي وساجان للتوِّ في الجدال وأريد أن أسمع كل كلمةٍ يتبادلانها. رغم ذلك، حصلتُ فقط على نُتَف وقِطَع لأن ساجان هادئ جدًّا في ردوده، أونور هي التي ترفع صوتها.

صاحت: «لقد علمتُ ذلك عندما التقَينا!»

رد في هدوءٍ بشيء غير مسموع فقالت: «تتحدَّث مثل أبي.»

قال شيئًا آخر ففقدت السيطرة على غضبها تمامًا وصاحت: «لستُ كذلك! لقد عرفته قبل أن أعرفك، لذا لا تتجرأ على إشعاري بالذنب!»

أوه..

يبدو ذلك سيئًا.

بعدها بثوانٍ قليلة، أُغلق باب غرفة أونور بقوة. وبعدها أُغلق باب غرفة ساجان بقوة. بعدها طرق أحدٌ ما على بابي.

قفزتُ لأنها في الغالب أونور وآخِر شيءٍ أريده هو أن تراني جالسة على الأرض بجوار الحائط، أتصنَّت على محادثتها.

فتحتُ الباب، لكن لم تكن أونور، كان لاك.

ـ «أوه، مرحبًا.»

ـ «هل يُمكنني الدخول؟»

فتحت الباب أكثر ليدخل، مشى للداخل وأغلق الباب بينما بدأتُ في تقييمه. كان يرتدي بنطالًا رياضيًّا أزرق داكنًا وجوارب غير مُتطابقة. لم يرتدِ قميصًا، لكنه ارتدى وشاحًا.

ـ «لِمَ ترتدي وشاحًا؟»

ـ «الجو بارد في غرفتي.»

ـ «لِمَ لمْ ترتدِ قميصًا؟»

ـ «كل قمصاني في الغسيل.»

لم يُبدِ أي حرج، كأنَّ ارتداء وشاح من غير قميص أمر طبيعي للغاية. مشى إلى سريري وارتمى فوقه، أسند رأسه بيدِه وسألني: «هل أنتِ غاضبة مني؟»

«غاضبة منك؟» جلستُ على السرير واسندتُ رأسي للخلف قائلة: «لا. لماذا؟»

استلقى على ظهره ورأى الرسمةَ التي علقتُها. مدَّ يدَه ولمسها قائلًا: «أشعر أن لا أحد يستلطِفني.»

ضحكت: «حسنًا، وأنا كذلك.»

استمر في تتبُّع رسمة ساجان بإصبعه: «هل رسم ساجان هذه الرسمة لكِ؟»

ـ «نعم.»

لم أعرف لماذا، لكن كانت هناك نبرة تشي بالذنب في إجابتي. ربما لأنه لا يجِب على ساجان أن يرسُم صورًا لأخت صديقته. أعرف أن الأمر برىء من جانبه، لكنَّ ردَّ فعلي على مبادرته كان كلَّ شيءٍ إلا البراءة. جعلني ذلك أُعجَب به أكثر مما فعلتُ قبل أن يُعطيَني الرسمة.

قال لاك: «يمكنني معرفة لماذا أعجبتِ به» وانقلب على جانبه ثانية مكملًا: «هل يغازلك؟»

ـ «لا» قلت على الفور. وأكملت: «هو يُحب أونور. أشك من الأساس أنه يُلاحظني.»

ـ «هل أنتِ عمياء؟ ألم تكوني في السيارة عندما دافع عنكِ؟»

ـ «لم يُدافع عني. أراد فقط أن يتوقَّف الجميع عن الحديث في الجنس.»

هز لاك رأسه: «لقد تحول للدفاع عنك عندما سألتُك إن كنتِ عذراء، أعتقد أن مشاعركما متبادلة.»

ليس لدى لاك أي فكرة عما يتحدَّث عنه. لقد كان هنا لأقل من يوم، قلت: «لم يدافع عني.»

ـ «حسنًا، هل لديكِ قميص يُمكنني استعارته؟»

ـ «ابحث في خزانتي.»

زحف لاك من على السرير ومشى إلى خزانة ملابسي. فتَّش في ملابسي قليلًا: «أستطيع أن أفهم لِمَ لا تزالين عذراء. هل لديك أي شيءٍ آخر غير تلك التيشيرتات المُملَّة؟»

تجاهلتُ إهانته: «غالبًا لا. أُحِب التيشيرتات.»

سحب أحد مفضَّلاتي من فوق الشماعة وارتداه. كان قميصًا أرجوانيًّا مكتوبًا عليه: «اسألني عن قميصي الأرجواني» ظلَّ مرتديًا الوشاح وجلس بجواري على السرير، لكنه استرخى على مسند الظهر بجواري.

أوضحت: «لم أقلْ قطُّ إنني عذراء.»

أسند ذقنه على كتفِه وحدَّق فيَّ بابتسامة ماكرة: «لا يجب عليك ذلك. تشعرين بعدم الارتياح في كل مرة أقول الكلمة.»

أشحتُ بعيني: «وهل أنت خبير؟ كم عدد الأشخاص الذين مارستَ معهم الجنس؟»

ـ «اثنان وأربعون.»

ـ «أنا جادة يا لاك.»

ـ «وأنا أيضًا.»

ـ «مارست الجنس اثنتين وأربعين مرة؟»

هز رأسه: «لا، لقد سألتِ عن عدد الأشخاص الذين مارستُ معهم الجنس. إجابة ذلك اثنان وأربعون. لكني مارستُ الجنس ثلاثمائة واثنتَين وثلاثين مرة.»

ضحكت: «ما هذا الهراء.»

ـ «يُمكنني إثبات ذلك.»

ـ «من فضلك افعل.»

قفز من السرير وغادر الغرفة. استغللتُ فترة غيابه وحاولتُ تخيُّل كيف من الممكن أن يُمارس أحد الجنس مع كل هذا العدد من الأشخاص، ناهيك عن معرفة عدد المرات التي مارس فيها الجنس في حياته.

إنه يزداد غرابة..

عاد لاك وأغلق الباب، وجلس في نفس الموضع ثانية. أمسك مفكرة صغيرة مهترئة. وقال: «أنا أُسجِّل كل مرة.» فتح الصفحة الأولى وكانت هناك قائمة بالحروف الأولى في الجانب الأيسر من الصفحة، المواقع في المنتصف والتواريخ في الجانب الأيمن. انتزعت منه المفكرة.

قلبت داخلها وقرأت بعض السطور..

بي. كيه ـ كروكوارترز ـ 7 نوفمبر 2013.

إيه. في ـ ليدو دك ـ 13 نوفمبر 2013.

إيه. في ـ ليدو دك ـ 14 نوفمبر 2013.

بي. إن ـ فندق في كابو ـ 1 ديسمبر 2013.

أكملتُ تصفح المفكرة، خلال سنوات 2014، 2015، 2016. صحت: «يا إلهي، لاك، أنت مريض.»

أخذ المفكرة منِّي وقال: «لستُ كذلك.»

هززتُ رأسي غير مُصدقة: «لِمَ تحتفظ بسجلَّات لذلك؟»

هز كتفَيه: «لا أعرف. أُحب الجنس. اعتقدت أني ربما أسجل رقمًا قياسيًّا يومًا ما، أو ربما أرغب في تأليف كتابٍ عن مغامراتي. التسجيل يُساعدني على تذكُّر كل شيء.»

أمسكت المفكرة وقلبتُ مباشرة على آخر صفحة. نظرتُ على الإدخال الأخير وبالطبع أضاف اسم أنجيلا وتاريخ اليوم، رغم ذلك كتب حرف أ فقط.

قال: «لم أتذكَّر اسمها الأخير»

مددتُ يدي إلى منضدتي والتقطتُ قلمًا ناولته إيَّاه قائلة: «إنه كابيتشي.»

ابتسم وأضاف الحرف ك للسطر: «شكرًا.» وضع القلم والمفكرة على السرير وأمال رأسه للوراء.

ـ «هل أحببتَ أحدًا منهم؟»

هز رأسه: «ليس حبًّا متبادلًا.»

تنهدت: «أعرف ذلك الإحساس.»

ظللنا صامتَين للحظة، لكنه قال: «شكرًا على القميص يا ميريت. سأذهب للنوم. يجب أن أبحث عن وظيفةٍ غدًا.»

كنتُ مستمتعةً بصحبته، بشكلٍ غريب. قلت: «انتظر.»

توقف لاك وانتظر منِّي أن أُكمل الحديث، لكنه رأي من تعبير وجهي أنني مُترددة قليلًا لسؤاله عما أريده. جلس ثانية مُستندًا على ظهر السرير: «ماذا هناك؟»

لفظتُها قبل أن أغير رأيي: «كيف كانت مرتُك الأولى؟»

ضحك: «مُريعة بالنسبة لها. ليست مريعة للغاية بالنسبة لي.»

ـ «هل علِمَتْ أنها مرَّتُك الأولى؟»

ـ «لا، لم تكن حتى تتحدَّث الإنجليزية. كانت تُسمَّى إنجا. كنتُ الفتى الجديد في الطاقم لذا كنتُ سلعة مرغوبة بين السيدات. الأمر كله استمر لمدة ثلاثين ثانية.»

ـ «أوه. هذا مُحرج.»

هز كتفَيه: «كانت مرتي الأولى، المرة الأولى للجميع تكون الأسوأ. تحسنتُ في النهاية. وتمكنتُ من تعويضها بعدَها بسنتَين وهكذا استعدتُ سمعتي.»

ـ «لِمَ تعتقد أن المرات الأولى تكون دائمًا الأسوأ؟»

نظر للأعلى مفكرًا: «لا أعرف، فقط يكون هناك الكثير من التوقُّعات. يضع المجتمع الكثير من الضغوط على فقدان العُذرية، لكن في رأيي، من الأفضل أن تُنهي الأمر سريعًا. نامي مع أحدٍ لا يعني لك الكثير حتى يُصبح الأمر أقلَّ إحراجًا مما هو عليه بالفعل. وبعدَها عندما تلتقِين أخيرًا بشخصٍ يُعجبك يمكنك أن تكوني معه دون الشعور بحرج.»

فكرت فيما قال وللمفاجأة بدا كلامه منطقيًّا. أكره التفكير في كيف ستكون مرَّتي الأولى ومع مَن ستكون وكم سيكون عمري. أكره القلق من أنها لن تحدُث أبدًا وأنني سأكبر دون تجربة الجنس أو الحُب أو العلاقات. أنا لستُ مثل أونور. لا أقع في الحُب بسهولة. لا أعرف حتى المُغازلة بسهولة. وبالتأكيد لستُ مثل لاك في أي شيء. للآن لم أستوعِب ما حدث مع

أنجيلا سابقًا. لم أفهم كيف يمكن أن يلتقي أحد بشخصٍ وخلال دقائق يتشاركان في تجربةٍ حميمية.

ربما لهذا لا يُمكنني الفهم لأني أُساوي الحميمية بالجنس.

سألني: «أي أسئلة أخرى؟»

هززت رأسي: «لا، أعتقد أن ذلك كافٍ لإبقائي مُستيقظة طوال الليل.»

ضحك لاك وتوقف. قبل أن يمشي للخارج، توقَّف أمام رفٍّ كئوسي. الْتقط كأس المركز الأول للمبارزة. تساءل: «المبارزة؟» نظر إليَّ في شك. ثم أمسك آخَر وقرأ الكلمات المكتوبة على بعض الصفائح على الكئوس الأخرى، بعدها نظر إليَّ من فوق كتفِه بحاجب مقوَّس: «هل ربحتِ حقًّا أيًّا منهم؟»

ابتسمتُ وقلت: «عرِّف معنى الفوز.»

هز لاك رأسه: «لقد قابلت الكثير من الأشخاص في حياتي يا ميريت، لكنك قد تكونين الأكثر غرابةً بينهم جميعًا.»

ـ «هذا يجري في العائلة.»

أغلق الباب بالضبط حين اهتز هاتفي تحت الوسادة. بالحديث عن الغرابة. كانت رسالةً من أُمي.

*إن كنت لا تزالين مُستيقظة اجلُبي لي شفرة حلاقة؟ أنا في الحمام وشفرتي مكسورة.*

أشحتُ بعينيَّ بصورةٍ درامية ووقع مني الهاتف على سريري. لِمَ تحتاج حتى لإزالة الشعر؟ لن يلاحظ أحد أبدًا إن كانت ساقاها مُشعرتَين. إنها لا تتعامل مع أي أحد!

أتيتُ بشفرة حلاقة للاستعمال مرة واحدة من الحمام وجريتُ إلى القطاع الرابع، كانت في الحمّام، لذا مشيتُ إلى حمّامها الصغير وناولتها الشفرة من فوق ستائر الدش.

قالت: «شكرًا عزيزتي، بينما أنتِ هنا بالأسفل، هل تُمانِعين أخذ تلك الأطباق من الثلاجة ثانيةً للأعلى؟»

«بالطبع.» أغلقتُ باب الحمّام ووجدتُ أطباقًا تُمثل عدة أيام فوق ثلاجتها الصغيرة. كانت نظيفة، برغم عدم وجود حوض مطبخ لديها. لا بد أنها غسلتْها في حوض الحمام.

أعتقد أنها تتمنَّى امتلاك مطبخها الخاص. لا أفهم لِمَ تعيش هنا إلى الآن. يمكنها الانتقال إلى المنزل الذي يُجدِّده يوتاه. يمكنها أن تحبس نفسها في غرفتها ولا تُغادر أبدًا، كما تفعل في القبو. لقد كان خاليًا منذ رحل آخر المستأجرين من ستة أشهر. الوضع ليس صحيًّا لأي أحد. خاصة هي.

وبينما أسير باتجاه السلالم والأطباق في يدي، وقع نظري على كومةٍ من الأدوية على الطاولة بجوار أريكتها. إنها تأخذ العديد من الأدوية المختلفة منذ بدأت أن أعي. أدوية للسرطان ومُسكنات للألم لظهرِها وحبوب للقلق. نظرت ثانية إلى الحمام لأتأكد أن الباب مُغلق. وضعتُ الأطباق على الأريكة والتقطتُ إحدى العُلَب. كان الدواء الذي تأخذه للألم.

اهتزَّت يداي وأنا أنزع الغطاء. دائمًا ما يحدث ذلك عندما أكون بالأسفل هنا وآخُذ بعضًا من أدويتها. دائمًا ما أخاف أن تكشفني، أو أن تلاحظ أن بعضها مفقود. لكن مع كل المراهقين الذين يقطنون دولار فوس الآن، سيكون من المُستحيل تحديد مَن فعل هذا.

أفرغت بعض الحبوب في يدي وبعدَها دسستُها في جيبي. وضعت العلبة ثانية حيث وجدتها وأخذت الأطباق إلى المطبخ. هرعتُ إلى غرفتي وسحبتُ الحبوب من جيبي وعددتهم. ثمانية. لم أسرق مثل هذا العدد من قبل. أُحب أن أقسمها حتى تصبح فرص اكتشاف اختفائها أقل. العلبة كانت مُمتلئة لأكثر من نصفها لذا ربما لن تتمكن من اكتشاف فقدان ثمانية فجأة.

مشيتُ إلى الخزانة وسحبتُ علبة الحبوب من داخل حذائي الأسود. كنتُ أُخبئُها داخل هذا الحذاء العالي الرقبة منذ بدأتُ سرقتها. تكره أونور تلك الأحذية، لذا لم أقلق من أنها قد تطلب استعارتها وتكتشف مَخبئي. فتحت علبة التالينول الفارغة وأضفتُ الثمانية إلى كومة العشرين التي سرقتها من قبل.

لم أتناول أيَّ واحدة بالفعل. بكل صراحة، لا أعرف حتى لِمَ أَسرقُها. ليست لديَّ أي رغبة في الإدمان على الأدوية مثلها. أعتقد أنني أسرقها على سبيل النكاية. كالكأس التي سرقتُها من غرفة درو والدروب.

أنا لا أسرق الأشياء عادة. في المرات القليلة التي فعلت، يكون ببساطة بسبب غضبي. لقد سرقتُ زوجًا من أزياء تمريض الفالنتين من فيكتوريا مرة. لم يكن عندي أية نية لارتدائهما،

لكن معرفة أنها لن تتمكن من ارتدائهما جعل السرقة مُستحقَّة. قمتُ بالتبرّع بها وتظاهرت أنه ليس لدي أية فكرة عما تتحدث عنه عندما سألتنا جميعًا إن كنا رأينا أزياء تمريض وردية بنقشة القلوب.

غير الكأس من درو والدروب وأزياء التمريض والحبوب، لم أسرق أي شيءٍ من أي أحد آخر. ليس لأنني تنقصني الرغبة. لا أتمكن من التوقّف عن التساؤل ماذا سيحدث لو أنني سرقت صديق أونور.

وضعتُ الحذاء ثانية في خزانتي وأغلقت الباب. وفي طريقي لسريري ثانية، شعرت بملمس شيءٍ تحت قدمي غير السجادة. نظرت للأسفل ولاحظت وجود ورقةٍ على أرضية غرفة نومي. الْتقطتُها وقلبتُها.

افترضت أن الفتاة في الرسمة هي أنا، لأن ساجان مرَّر الورقة تحت باب غرفتي أنا بدلًا من غرفة أونور. في الرسمة، أجلس في قاع حوض سباحة. مع حبلٍ مربوط حول خصري من

طرف والطرف الآخر مربوط في كتلةٍ طافية من الخرسانة. قلبت الورقة وقرأت التعليق على الصورة.

«النزول بحثًا عن الهواء.»

جلستُ على سريري وأكملت التحديق بالرسمة. النزول بحثًا عن الهواء؟ ماذا يعني ذلك حتى؟ لِمَ رسم هذا؟

وقبل أن أتمكن من كبح نفسي، مشيتُ عبر الصالة وطرقتُ بابه.

تعالى صوته من الداخل: «إنه مفتوح.»

فتحت الباب فرأيتُه جالسًا على سريره ودفتر رسوماته بين يدَيه. عندما نظر للأعلى ورآني، سحب دفتر الرسم على صدره.

«ماذا يعني هذا؟» سألته رافعةً الرسمة للأعلى.

حدق فيَّ للحظة وبعدها ركز انتباهه على الرسمة بين يدَيه: «أحيانًا تأتيني الأفكار فأرسمها فقط.»

ـ «رسمتَ لي رسمةً وأنا أغرق! هل من المُفترض أن يُريحني ذلك؟»

ـ «إنها ليست رسمة لكِ وأنتِ تغرقين.»

ـ «إذن ماذا تكون؟»

تنهّد وأزاح الدفتر من فوق حجره. وقذف غطاءه جانبًا ووقف. لم يكن يرتدي قميصًا وكان ذلك الشيء الوحيد الذي استطعتُ التركيز فيه، بالرغم من حقيقة أنه يسير باتجاهي. كان لديَّ الكثير من الأفكار، لكن كلما اقترب، كلما ازدادت الأفكار فوضوية. عندما وصل إليّ، أخذ الرسمة من بين يديّ لكنه لم يسقط عينَيه عن عينيّ.

ـ «أُحب أنك تُحبين رسوماتي يا ميريت. رسمتُ تلك الرسمة واعتقدتُ أنكِ قد تُحبينها. إنها لا تعني شيئًا.»

وضع الرسمة فوق خزانته وعاد إلى نفس مَوضعه على السرير. سحب دفتر الرسم ووضعه على حجره وعاد إلى ما كان يفعل قبل أن أُقاطعه.

تجرعتُ إحراجي. لِمَ جعل الأمر يبدو وكأنني أُبالغ في ردة فعلي؟

استدرتُ إلى الباب، لكن بعدها استدرتُ ومشيتُ إلى خزانته والتقطتُ الرسمة. عندما خرجت من غرفته، أغلقتُ الباب بعنف قليلًا. وساهم ذلك فقط في إحراجي أكثر.

علقت الرسمة بجوار الأخري التي رسمَها لي هذا الصباح. لا أُحب أنه رسم صورتَين لي اليوم. أفضل أن يتم تجاهُلي من قِبَله أكثر من أن أكون محور تركيزه الفنِّي.

# الفصل الثامن

هذا الصباح لم أتظاهر حتى بالاستعداد للمدرسة. سمعتُ الجميع مندفعين في فوضي فوس الصباحية المعتادة، لكنني بقيتُ في سريري طوال الوقت. أنا متفاجئة أن أونور ويوتاه لم يُخبرا أبي عن انقطاعي عن المدرسة آخِر أسبوعين. ألحَّا عليّ بخصوص الأمر لأيام، لكن بمجرد إدراكهما أنني لا أستمع إليهما، توقّفا عن طرحه. لم يطرق أحد الباب ليسأل أين أنا. حتى أبي.

تساءلتُ هل سيلاحظ أحد لو أنني هربتُ من المنزل؟

في الغالب سيلاحظون. فقط لن يستاءوا من ذلك.

مددتُ يدي تحت الوسادة لأتفقد الساعة ولاحظت رسالة نصية من أبي، مرسلة منذ ساعة.

*خسر الكاوبويز ليلة أمس وأنا ألومك على ذلك. من فضلك انزعي الملابس عن تمثال المسيح وأحرقيها بمجرد وصولك إلى المنزل من المدرسة اليوم.*

أعرف أنه يحاول أن يكون مُضحكًا، لكن افتراضه بأنني في المدرسة طغى على بقية رسالته. يبدو الأمر وكأن ليس لي والدَان. لدينا أمٌّ تعيش في قبونا وأب يعيش في عالمه الخاص. لا أحد لدَيه أدنى فكرة عما يحدث مع أي شخصٍ هنا.

تفقدت الوقت، انتصف النهار بالفعل. ارتديتُ ملابسي وفتشتُ في المطبخ عن شيءٍ لآكله. لا أحد هنا ولاحظتُ أن باب غرفة لاك مفتوح، لذا لا بد أنه بالخارج يبحث عن وظيفةٍ كما ذكر ليلة أمس.

أكلت ساندويتشًا وذهبت إلى الجراج لأجلب السُّلم. الإجازة القادمة هي عيد الشكر، لكنني لستُ في المزاج المناسب لإلباس التمثال. أخذت السُّلَّم إلى حجرة المعيشة وبدأت في إزالة الشريط اللاصق الذي يثبت الكأس في معصمه.

انفتح باب القبو بشكلٍ مفاجئ، تمنيتُ لو أن أُمي على وشك الخروج، لكنها لم تكن أمي. كان أبي..

أغلق الباب بهدوء وبعدها مشى إلى طاولة المطبخ حيث وضع زجاجة ماء. عدل قميصه والتقط سُترته من على ظهر أحد الكراسي وتوجَّه إلى الباب ليفتحه، وعندما كان على وشك

إغلاقه رآني أخيرًا.

كان الأمر وكأن كِلَينا رأينا شبحًا.

أشاح ببصرِه إلى باب القبو وبعدها نظر إلي..

لِمَ كان في القبو؟

لِمَ كان يعدل من قميصه؟

لِمَ بدا مُذنبًا للغاية؟

لم أستطع التحرك. أحمل كأس كرة القدم في يدٍ وقبعة الجبنة في اليد الأخرى. أبي ما زال يُحدق فيَّ، متجمدًا في مكانه. في النهاية نظر أسفل قدمَيه. جذب الباب ليُغلقه لكنه فتحه ثانية ونظر إلي: «ميريت.» كان صوته خجولًا ونادمًا. لم أقُل كلمة.

لم يُتبع اسمي بأي كلمةٍ أخرى. بدلًا من ذلك، تردد، ثم أغلق الباب وتركني وحيدة مع تمثال المسيح.

استغرقتُ لحظة لأجمع شتات أفكاري بما يكفي لأنزل السُّلم. مشيتُ إلى الأريكة وجلست بينما أُحدق في باب القبو.

هل مارس الجنس للتوِّ مع أُمي؟

هل سمحت له بذلك؟

لم أستطع استيعاب ما حدث للتو. لم أستطع..

على الفور اندفعتُ عبر القطاع الأول وفتحتُ الباب إلى القطاع الرابع. نزلت السلالم إلى القبو ووجدتُ أُمي تغلق سحَّاب فستانها. نظرت إلى سريرها غير المُرتب ونظرت ثانيةً إليها. إلى شعرها الفوضوي ووجنتَيها المتوردتَين.

«هل مارستِ الجنس معه للتو؟»

عندما خرجَتِ الكلمات من فمي، نظرت لي أُمي بصدمةٍ كما صُدِم والدي منذ دقائق قليلة.

«عذرًا؟»

أشرتُ إلى السلالم. «لقد شاهدتُه للتو يخرج من هنا. لم يستطع حتى أن ينظر في عيني.»

جلست أمي على السرير مصعوقة: «ميريت. هناك أشياء لا تزالين صغيرة على فهمها.»

ضحكت: «ليس للسنِّ أي علاقة بالأمر، أُمي. هل حقًّا تمارسين الجنس معه، وأنت تعرفين أنه يُشارك فيكتوريا الفراش كلَّ ليلة؟ ألهذا ترفُضين الانتقال؟ لأنك تعتقِدين أنه سيتركها لأجلك؟»

نهضتْ ومشَت بجواري، متجهة إلى الحمّام. نظرتْ إلى المرآة ومسحَت بأصابعها أسفل عينَيها للتخلُّص من خطوط الماسكرا.

ـ «ألهذا لا تزالين تتزيَّنين كل يوم؟ لأنك تُحاولين سرقته ثانية؟»

استدارت وأخذت خطوةً للأمام تجاهي: «أنا أُمك ولن تُقللي من احترامي هكذا.»

أضحكني ذلك. صحت: «هل تُطلقِين على نفسك أمًّا؟» لم يُمكنني حتى النظر إليها. استدرتُ وشققتُ طريقي إلى السلالم. عندما وصلتُ إلى نصف طريقي للأعلى، استدرتُ ونزلتُ درجتَين. كانت عند أول السلالم تنظر إليَّ. قلت: «لم تعودي أمًّا لي منذ وصلتُ للثانية عشرة. لم تعودي أمًّا لأيٍّ مِنَّا! والآن أعرف لِمَ. لأن أبي هو الشخص الوحيد الذي تهتمِّين به.»

قفزتُ ما تبقى من الدرج لأعلى. نادت اسمي لكني لم أعُد للقبو. ومباشرة قبل أن أصفُق الباب، صرختُ للأسفل: «الشيء الوحيد الذي يفصلك عن الجنون هو إحاطة نفسك ببعض القطط!»

عدتُ إلى غرفتي وأغلقتُ الباب. ارتميتُ على سريري وتفقدت رسائلي ثانية. كان هناك اثنتان. واحدة من أبي والأخرى من أونور.

*أبي: أنا آسف للغاية أنك رأيتِ ذلك. من فضلك دعِنا نتحدَّث قبل أن تقفزي إلى أي استنتاجات.*

مسح..

*أونور: هل تعتقدين أن بإمكانك التغطية عليَّ ليلة الغد؟*

أوه، عظيم. داعِرة أخرى في طور التشكُّل. لم تسقط التفاحة بعيدًا عن الشجرة، ومن شابَهَ أباه فما ظلم.

*أنا: أغطي عليك من أي جهة؟ من أبي أم ساجان؟*

*أونور: كلاهما. سأُراسلك عن خُططي لاحقًا. يجب أن أضع هاتفي جانبًا.*

وضعت الهاتف تحت وسادتي ثانية. شعرت بالفضول تجاه ما تُخفيه أونور عن ساجان، لكن من صوت الجدال ليلة أمس، لا بد أن للأمر علاقة برجل. كنتُ واثقة أن أحد أصدقاء الإنترنت على وشك الموت، لذا تريد أن تكون هناك لأجلِه بطرقٍ لن يوافق عليها ساجان.

أقسم بالله، هذه العائلة هي الأسوأ. لا عجب أن كثيرًا من الناس يكرهوننا.

انقلبتُ على جانبي لأواجه الحائط. تأملتُ رسمة ساجان وتتبعتُ الخطوط بداخلها. كانت أصابعي على المسار الثالث عندما طرق أحدُهم على بابي.

قبل أن أتمكن من الصياح بأن الباب مفتوح، تأرجح الباب مفتوحًا ودخل لاك برأسٍ جديد من الشعر الأسود الفاحم. كان مُبتسمًا، مما أزعجني أكثر. قال: «خمِّني ماذا؟»

ـ «لا أريد أن أُخمن.»

تهاوى على السرير بجواري: «لقد حصلتُ على وظيفة.»

أشحتُ ببصري وحدقتُ في الحائط: «جيد. أين؟»

«أتعرفين مكانَ ما التقَينا؟»

ـ «حصلت على وظيفة في تراكتور سبلاي؟»

ـ «لا، لكن في نفس الشارع. المقهى. سأعمل نادلًا.»

ابتسمت، على الرغم من أنني لا أشعر بالرغبة في ذلك. لكن في الواقع هذه وظيفة تلائمه للغاية. قلت: «عندما تقول مقهى، هل تُشير إلى ستاربكس؟»

ـ «نعم، ستاربكس.»

ضحكت، شعرتُ بالفضول، كيف من الممكن ألا يتذكَّر اسم ستاربكس. لكنه لاك، لذا كان الأمر منطقيًّا. سألته: «ألهذا شعرُك أسود؟ بسبب مقابلة العمل اليوم؟»

ـ «لا، في الواقع كنتُ أرغب في صبغه بالأخضر لكنني تركت الصبغة لفترةٍ طويلة جدًّا على شعري. بالحديث عن الأسود، لِمَ غرفتك مُظلمة بهذا الشكل؟ هذا المصباح إهانة إلى توماس إديسون.» ثم أمسك بخيط مصباحي وسحبه فانطفأ، أعاد تشغيلَه مرة أخرى.

ـ «ليست لديَّ أي نوافذ.»

ـ «يُمكنني رؤية ذلك. لكن لماذا؟»

انقلبتُ على ظهري. «قسّم أبي كل الغرف إلى غرفتَين عندما انتقلنا إلى هنا. أخذت أونور النصف الذي به نافذة عندما تم الانتهاء من بناء الجدران.»

ضغط لاك على أنفه: «هذا ليس عادلًا.»

ـ «لَمْ أُرِد نافذة.»

ـ «حسنًا، أعتقد أن الأمر نجح بهذا الشكل»، تسحَّب حتى استلقى بجواري وسأل: «لم لا تزالين في الفراش؟»

تساءلتُ هل يجب أن أُخبره عما حدث بين أُمي وأبي. لكني قررتُ ألا أفعل. أريد التحدّث مع أبي أولًا. أملتُ أني مخطئة. أملتُ أنه يُقدِّر زواجه من فيكتوريا أكثر من تقديره لزواجه من أُمِّي. على الأقل حينها يمكنني تصديق أنه تعلَّم شيئًا من تمزيق عائلتنا. لأنه الآن، لا يبدو أنه تعلم الدرس على الإطلاق. الجنس أهم عنده من زوجتَيه. من الحفاظ على عائلته معًا.

سألت لاك: «هل الجنس حقًّا كما يدَّعون؟ لِمَ يخاطر الناس بالكثير لأجله؟»

ـ «أنتِ تسألين الشخص الخطأ. لا أعتقد أنني أُقدِّر الأمر كما يُقدره معظم الناس.»

ـ «أدعو الله ألا أكون كذلك أيضًا.»

لا أريده أن يحكم كل قرارٍ أتَّخذه في حياتي. هكذا يبدو الأمر مع أبي. مع فيكتوريا. مع أُمي. أريد الجنس أن يكون بلا معنًى حتى لا يتحكَّم فيَّ. في الواقع، سيكون من الرائع أن أتمكن من تجاوزه.

انقلبتُ على جانبي وأسندتُ رأسي على يدي: «لاك؟»

نظر إليَّ بتوجُّس: «ماذا؟»

بلعت ريقي بعصبية: «هل تعتقد أنه ربما... يمكننا...»

ضحك لاك، لكني لم أبتسِم حتى. كنتُ جادة للغاية، رغم أنني لا يبدو عليَّ القدرة على المبادرة. عندما رأى أنني لا أبتسِم. استند على مرفقه قائلًا: «لا. أنا عمك.»

ـ «صهري.»

ـ «ليس بأفضل.»

ـ «ليس بيننا صِلة دم.»

ـ «إنك حتى لا تعرفينني.»

ـ «أنا أعرفك أفضل مما تعرِف أنجيلا التي مارستَ معها الجنس.»

ضيَّق عينَيه قائلًا: «أنت عذراء يا ميريت. لن أُمارس الجنس معك.» سقط على ظهره وكأن المحادثة انتهت.

لم أستسلِم: «أنت نفسك قلتَ إن الناس تضع الكثير من الضغط على فقدان عذريتهم. أنا أريد أن أتجاوز الأمر. الجنس لا يعني لك أي شيءٍ على أية حال.»

صمت للحظة. وبعدها قال: «لِمَ؟ لِمَ أنا؟ لِمَ الآن؟»

هززتُ كتفي: «لم يعرض عليَّ أحد، ولم تُتَح لي فرصة حتى الآن.»

نظر إليَّ، واستطعتُ أن أري في عينَيه أنه يفكر في الأمر. لم أستطع معرفة هل يفعل ذلك لمساعدتي أم لأنه رجل ومعظم الرجال سيقبلون هذا العرض دون سؤال.

سأل: «أنت لا تُحبينني، أليس كذلك؟»

ـ «بأي طريقة؟»

ـ «هل أنتِ منجذبة إليَّ؟»

فكرت في الكذب لو كان سيُساعده على اتخاذ القرار، لكني بدلًا من ذلك التزمتُ بالصدق. لا أريده أن يعتقد أنني أُحبه بينما لا أفعل. حتى لو سيُساعد ذلك على إقناعه. قلت: «لا. ليس حقًّا. أعني، أعتقد أنك وسيم، لكن سأكذب لو قلتُ إني منجذبة إليك.»

حدق فيَّ للحظة ثم قال: «ميريت، من الأفضل أن تكوني متأكدة من هذا. لأن الجنس هو فقط جنس بالنسبة لي، لن يعني أي شيءٍ لَعِينٍ آخر.»

ـ «لا أريده أن يعني أيَّ شيءٍ بالنسبة لك. ذلك هو المقصد.»

ـ «لذا إنه فقط وسيلة لغاية؟»

أومأت: «نعم، إنهاء عُذريتي.»

راقبَني عن كثب، في انتظار أن أُغير رأيي. لكن عندما رأي أنني لن أفعل، هز كتفيه: «حسنًا، اسمحي لي أن أجلُب واقيًا ذكريًّا.» قفز من السرير فارتميتُ على ظهري.

قال «واقي ذكري» بلكنة أمريكية. لقد بدأ يبدو أميركيًّا أكثر فأكثر الآن. لم أُصدق أن هذا هو الموضع الذي وصل إليه قطار أفكاري بعدما طلبتُ من رجل أن يمارس معي الجنس. رجل لستُ منجذبةً إليه حتى.

هل يحدث ذلك بالفعل؟

هل أريد أن يحدُث ذلك؟

نعم، أريد أن أنتهي من الأمر. أن أُمزق الضمَّادة. لا أريده أن يعني شيئًا على الإطلاق. أريده أن يكون هامشيًّا بتأثيرٍ ضئيل على حياتي. أريد أن أكون بالضبط عكس والديَّ.

عندما عاد لاك، أغلق الباب وأمَّنه بالقفل: «هل تُمانعِين لو أطفأتُ المصباح؟»

ـ «في الواقع سأفضل ذلك.»

أطفأ المصباح وصعد إلى السرير. زحفنا معًا أسفل الغطاء وبدأنا في خلع ملابسنا: «هل أنتِ واثقة من هذا، ميريت؟»

«نعم» قلت وأنا أُنازع في خلع بنطالي الجينز. تسارعَتْ دقَّات قلبي وقاتل ضميري لاختراق الجدار الذي صنعته. لكنني لم أتوقَّف حتى خلعتُ ملابسي كلها. بمجرد أن أصبحنا عارِيَين تحت الغطاء، اقترب لاك منِّي مُحذرًا: «ربما لن تشعري بالرضا الذي تتوقَّعينه»

لا أدري لِمَ، لكن تعليقه ذلك أضحكني.

«أنا جاد» ارتطمت يدُه بفخذي: «ربما حتى تتألَّمين.»

ـ «لا بأس. توقعاتي ليست عاليةً في الوقت الحالي.»

اقترب أكثر ثم توقف ويدُه لا تزال على فخذي: «هل تُريدين منِّي تقبيلك؟»

فكرت في سؤاله للحظة. لستُ واثقة حتى إن كنتُ أرغب في تقبيله. هل هذا غريب؟

بالطبع غريب. الأمر كلُّه غريب. قلت: «سأترك ذلك لك.»

أومأ لاك، بينما تسحَّبت يده للأعلى إلى خصري. فقط عندما امتدَّت يداه إلى نهديَّ شعرت بثقل الذي على وشك أن يحدُث. حاولت ألا أسمح بأن يثقل عليَّ للغاية.

إنه فقط جنس..

يُمكنني فعل ذلك..

تقريبًا كل بالِغٍ في العالم فعل ذلك..

يُمكنني فعل ذلك..

بلطفٍ قلبني على ظهري ومدَّ يدَه للحصول على الواقي الذكري. وبينما يقوم بوضعه، مرت ثلاثون ثانية جيدة كان يُمكنني استغلالها لتغيير رأيي. لكنني لم أفعل. تدحرج لاك بعدها

فوقي، مُحمِّلًا ثقل وزنِه على يدَيه على جانبي رأسي. مشط شعري للخلف وكانت لفتةً جميلة بشكلٍ غريب وبعدها مد يدَه بيننا وباعد بين ساقي.

أغلقتُ عينيَّ. ضغط بجبهته على الوسادة بجانب رأسي: «أنت واثقة؟»

همست: «نعم.»

أبقيتُ عينيَّ مغلقتَين وحاولت ألا أركز على حقيقة أنني اتخذتُ ذلك القرار العفوي. لكني لم أستطع التفكير في أي عواقب سلبيةٍ ستنتج عنه. لن يكون عليَّ القلق بشأن فقداني لعُذريتي وسيُضيف لاك سطرًا جديدًا في مفكرته.

ـ «آخر فرصة لتغيير رأيك يا ميريت.»

ـ «كم يستغرق الأمر غالبًا؟»

ضحك لاك في أذني: «لهذه الدرجة تستثقِلين الأمر؟»

هززت رأسي:»لا، أنا فقط...» توقفتُ عن الكلام. فقط جعلت الأمر أكثر حرجًا.

بمجرد أن اعتقدت أنني لن أكون عذراء بعد الآن، أضاء هاتفي. قال لاك: «أحد ما يهاتفك»، نظرتُ إلى يساري وتحسَّستُ هاتفي. حاولتُ إغلاقه، لكن الشاشة ظلت مُضيئة. ظل لاك يُحدق في وجهي ثم قطَّب جبينَه ونهض من فوقي مُنقلبًا على ظهره.

ـ «لا يُمكنني فعلها.»

ـ «حقًّا؟ كنَّا على بُعد ثانيتَين!»

أومأ: «أنا آسف. إنه فقط... عندما أضاء هاتفك... صنعتِ ذلك الوجه الذي ذكرني بموبي.»

انقبض قلبي.

«إنه بشكلٍ ما يُشبهك أنت وأونور. وهذا أمر غريب بالنسبة لي.»

سحبتُ الغطاء فوق نهديَّ قائلة: «هذا مقرف.»

لم يعترض: «هل أنت بخير؟»

أومأت: «نعم.» لم يكن صوتي جيدًا للغاية رغم ذلك.

أضاء المصباح وجلس. نظرتُ إلى الاتجاه الآخر بينما يُزيل الواقي الذكري ويرتدي بنطاله، قال: «لستِ غاضبة مني، أليس كذلك؟»

افترضتُ أنه من الآمَن النظر باتجاهه الآن. أمسك قميصه وبدا نادمًا ومثيرًا للشفقة وهو يُحدق فيَّ. قلتُ محاولة المزاح لتخفيف الموقف: «لا، أنا واثقة أنني سأجد شخصًا لفعلها معه في النهاية».

ابتسم مُعتذرًا ومطمئنًا في نفس الوقت: «أيًّا يكن مَن ستُمارِسين الجنس معه، سيكون أفضل من هذا الوضع. أعدك.»

ضحكت: «نعم، أنا متأكدة أنه لا شيء أسوأ مما حدث الآن.»

قبَّلني لاك قائلًا: «عادة ما أكون مُثيرًا للإعجاب وأُتِمُّ المهمة بشكلٍ ممتاز. هذا استثناء نادر.»

أعجبني أنه لا يزال مرحًا. لقد مررنا للتوِّ بواحدٍ من أكثر المواقف حرجًا التي من المُمكن أن يمرَّ بها أي شخصَين، لكن لم يتغيَّر شيء بيننا بسببه.

فُتح الباب بتوقيتٍ مثالي، كان ساجان مارًّا من أمام الغرفة، لكنه توقَّف بمجرد أن فتح لاك الباب.

كانت فقط نظرةً لثانيتَين، لكنني شعرتُ في هذا التواصل البصري مع ساجان أكثر مما شعرتُ به خلال خمس عشرة دقيقة مع لاك. ثبَّت ساجان عينَيه على عينيَّ، ثم انتقلت عيناه إلى لاك، نظر إليَّ ثانية، فخرج لاك بسرعة من غرفتي وأغلق الباب، لكنه لم يكن سريعًا كفاية لإنقاذي من الجزء الأكثر فظاعةً على الإطلاق من هذا اليوم بأكمله.

سحبتُ الغطاء على رأسي وتمنيتُ زوال آخر عشر ثوانٍ. لم أُرِد أن يعرف أحد عما حدث للتوِّ بيني وبين لاك، لكن ساجان هو آخر شخصٍ على الإطلاق كنت أرغب في أن يكتشف ذلك.

شعرتُ بدموع الخجل تبدأ في التساقُط من عينيَّ بينما أتقلب على السرير.

كنت غارقة في الندم.

همست: «أحتاج إلى بعض الهواء.»

لقد مرت عدة ساعات منذ أوشكت على فقدان عُذريتي. ما زلت كما أنا ولديَّ شعور أني كنتُ سأشعر بنفس الإحساس إذ لم يعُد غشاء بكارتي سليمًا. لن أشعر بأنني أكثر إثارة، لن

أشعر بأنني أكثر انفتاحًا. لن أُصبح واثقة في نفسي بشكلٍ إعجازي. لو تغيَّر شيء، سيكون شعوري بالإحباط. لِمَ يُخاطر الناس بالكثير لأجل الجنس؟

حتى الآن، كل ما سبَّبه لي هو الإذلال. أنا مُحرجة للغاية من مواجهة ساجان، لم أُغادر غرفتي حتى منذ مرَّ بجوارها. يمكنني أن آمُل ألا يفترض الأسوأ، لكن لاك خرج من غرفتي بدون قميص. رآني ساجان في سريري، والغطاء يُغطيني بما يكفي لجعل الأمر واضحًا أنني عارية.

أنا لستُ مُحرجة من كونه ضبطَني وأنا أُمارس الجنس مع أحد. فلا يجب أن يعني الأمر شيئًا لساجان لو أنني أواعِد أي شخص، لأن ساجان ليس صديقي، إنه يواعد أختي.

أنا مُحرجة لأنه لاك. بيننا صِلة قرابة. إنه أمر مُزعج. والآن ربما يفكر ساجان في الأسوأ بشأني.

أتى لاك إلى غرفتي أثناء العشاء ليسأل إن كنتُ أرغب أن يجلب لي شيئًا لآكُله. أعتقد أنني لم أخرج لشعوري بالخِزي الشديد بسببه، لكن لم يكن للأمر علاقة بلاك. بكل صراحة، لم أندم حتى على حدوث الأمر تقريبًا. فقط ندمتُ أن ساجان علِم بشأنه.

بقدْر ما شعرتُ بالحرج، رغم ذلك أشك أن مشاعري اقتربت مما يشعر به أبي بالتأكيد. هو يعرف أنني أعرف بشأنه هو وأُمي. بالتأكيد هو قلق من أنني سأخبر فيكتوريا أو أي أحدٍ في العائلة عن ذلك. إنه يشعر بالخزي لدرجة أنه لم يأتِ حتى إلى غرفتي للتحدّث معي حول هذا الأمر.

كل ما وصلني منه اليوم رسالة سخيفة. «*أنا آسف أنك رأيتِ ذلك، من فضلك دعيني أتحدث معك عنه قبل أن تقفزي لأي استنتاجات.*» بعبارة أخرى. سيُحاول أن يجعلني أُقسِم على الاحتفاظ بالسر قبل أن يكتشف أي أحدٍ آخر ما يحدث حقًّا.

الكثير من الأسرار في هذا المنزل. ومع ذلك، فإن السر الوحيد الذي كان يجب أن أذيعه منذ سنواتٍ هو السر الذي احتفظتُ به بهدوء داخلي.

بالحديث عن الهدوء. لم أسمع أي شخصٍ يتحرك في أرجاء المنزل منذ فترة. مما يعني أنه من المُحتمل أن الجميع في أسرَّتِهم الآن. لم أتضوَّر جوعًا فحسب، بل سأراهن على حقيقة

أن أحدًا لم يُطعم وولفجانج اليوم. ذهبتُ إلى المطبخ وأخرجت عشاءً مجمدًا. بعد أن وضعتُه في الميكروويف، التقطت وعاء من تحت الحوض لأملأه بطعام الكلاب.

كنتُ أغسله عندما واتت أبي الجرأة أخيرًا ليواجهني. سمعتُ باب غرفته يفتح بمجرد أن أغلقت الميكروويف. سمعته يمشي إلى المطبخ عندما انحنيتُ لأجلب الوعاء. شعرتُ به مترددًا عند الطاولة بينما أغسل الوعاء.

والآن وقف في الطريق بيني وبين الباب الخلفي.

«يجب أن أطعم وولفجانج.» قلتُ بطريقة توضح أنني لا أريد فعل أي شيءٍ غير إطعام الكلب. خاصة خَوض محادثة معه عن خيانته.

«ميريت» قال، ونظر إليَّ برجاء. «يجب أن نتحدث.»

مشيت نحو كيس طعام الكلاب قائلة: «هل علينا؟» ثم غرفتُ بعض الطعام في الوعاء. واستدرتُ لأواجهه: «هل تريد حقًّا أن تتحدَّث معي عن الأمر يا أبي؟ هل ستشرح لي أخيرًا لم بدأتَ خيانة أُمي عندما كانت في أمسِّ الحاجة إليك؟ هل ستشرح لي لم فضلتَ فيكتوريا على بقية هذه العائلة؟ هل ستشرح لي لِمَ كنتَ بالقبو تُمارس الجنس مع أُمِّي اليوم بينما اعتقد الجميع أنك في العمل؟»

خطا خطوةً سريعة تجاهي وهمس: «شش. من فضلك.» بدا مذعورًا، وكأن فيكتوريا قد تسمع هذه المحادثة. أضحكني ذلك. إن لم تُعجبه فكرة أنه يمكن ضبطه، لِمَ يفعل أشياء لا يريد أن يعرفها الناس؟»

أومأت: «أوه. فهمت. لا تريد أن تُناقش لِمَ أنت زوج مُثير للشفقة. فقط تريدني أن أعد بألَّا أُخبر أحدًا.»

ـ «ميريت، هذا ليس عادلًا.»

عادل؟ سيُحدثني عن العدل؟ لو كنتُ أكنُّ له القليل من الاحترام في السنوات القليلة الماضية، فقد تلاشى تمامًا اليوم.

ـ «صدِّقني يا أبي. لن أُخبر أحدًا. آخر شيء تحتاجه هذا العائلة هو سبب آخر لكراهيتك.»

توقف مؤقِّت الميكروويف فنظر أبي للاتجاه الآخر. استغلتُ كسر التواصل البصري ومشيت خارجةً من الباب الخلفي. الحمد لله لم يتبعني. مشيتُ عبر الباحة الخلفية إلى منزل

وولفجانج. كان مُستلقيًا هناك ينظر إليّ. لم يتحمّس حتى للأكل. هل تعاني الكلاب من الاكتئاب؟ تساءلتُ إن كانت أقراص زاناكس البشرية ستعمل معه. لو أن هذا صحيح، لأعطيتُه بعضًا من أقراص أُمي.

جلستُ بجوار منزل الكلب فزحف وولفجانج للأمام قليلًا وأسند رأسه على حجري. لعق يدي وبصراحة كان ذلك ألطفَ شيءٍ فعله أحد لي طوال اليوم. على الأقل هو يُقدرني.

قلت: «أنتَ لستَ سيئًا للغاية صحيح؟» داعبتُه بين أذنَيه فبدأ ذيلُه في الاهتزاز. حسنًا، ليس الاهتزاز تمامًا. كان ينتفض وكأنه يتشنَّج، كما لو أنه مرَّ وقتٌ طويل منذ أن كان سعيدًا فنسي كيف يعمل ذيلُه.

«دعني أُحضر لك بعض الماء.» أمسكتُ وعاءه الفارغ ومشيت إلى الطرف الأبعد من المنزل وفتحت صنبور المياه. نظرت إلى اليسار، إلى نافذة غرفة ساجان، كان هناك ضوء، مما يعني احتمال أنه يرسُم. تساءلتُ ماذا يرسُم. ربما رسمة سوداوية لي وأنا أفقد عُذريتي.

فاض الوعاء بالماء فانسكب على حذائي. «تبًّا.» تراجعتُ للخلف وصببتُ بعضًا من الماء، بعدها أسقطت الخرطوم.

ـ «ميريت؟»

نظرتُ خلفي، لكني لم أرَ أحدًا.

ـ «هنا.»

كان صوت ساجان آتيًا من النافذة. ستائره مسحوبة للخلف وذراعاه مَطويتان على حافة النافذة. الشيء الوحيد الذي فصل بيننا كان سلك النافذة وبضعة أقدام.

ـ «ماذا تفعلين؟»

مددتُ يدي لأُغلق المياه: «أُطعم وولفجانج.» مددتُ يدي إلى الصنبور، لكن وجود ساجان وتَّرني. لم ألحظ السلك المعدني الذي يُثبت غطاء الصنبور إلا حين انزلق فوقه مِعصمي فجرحتُ نفسي. «أوتش» صرختُ قافزة للخلف. قلبتُ يدي فتدفَّق الدم من الجُرح عبر معصمي.

«أنت بخير؟» مال أقربَ إلى سلك النافذة.

ـ «نعم، جرحتُ نفسي. أنا بخير رغم ذلك. إنه جُرح سطحي.»

ـ «سأجلب لك ضمَّادة.» أُغلقَت ستائره وسمعتُه يمشي عبر غرفته.

اللعنة. إنه قادم إلى هنا.

أغلقتُ عينيَّ وتنهَّدتُ آمِلةً أن أقدر على التظاهر بعدم شعوري بالخزي كلية. أملتُ ألا يتحدث عما رآه اليوم. بالتأكيد لن يفعل، الأمر ليس من شأنه.

مسحتُ معصمي في التيشيرت ومشيتُ بوعاء الماء إلى وولفجانج. عدتُ إلى موضعي على الأرض حين انفتح الباب الخلفي. عمَّ الظلام بالخارج، لكنَّ القمر كان بدرًا، مما يعني أنني سأُضطر إلى التواصُل معه بالعينَين.

رفع وولفجانج رأسه وبدأ يزمجرِ عند اقتراب ساجان. ربَّتُّ على رأسه. «لا بأس يا فتى.» طمأنت الحركة وولفجانج. فوضع رأسه على حجري ثانيةً وتنهَّد. عندما وصل ساجان إلينا، انحنى مُقرفصًا وناولني الضمَّادة. أخذتها منه وفتحتُها. على الأقل لم يُحاول وضع الضمادة بنفسه. كان يري لأي مدًى كنتُ أهتز.

«إذن هذا هو وولفجانج السيئ السُّمعة، هه؟» مدَّ يدَه ليربِّتَ عليه وسمح وولفجانج له. بغضِّ النظر عن حقيقة أن رأس وولفجانج على حِجري والآن يد ساجان تلمس شيئًا ما على حجري، أين ذهب كل الأكسجين في العالم؟

«إنه كلب جميل.» غيَّر ساجان وضعيتَه من جلسة القرفصاء إلى الجلوس على الأرض. كان قريبًا جدًّا، لمسَتْ ركبتُه ركبتي. التلامُس صعَّب عليَّ التنفس أكثر لذا بذلت ما في وسعي ليكون ذلك غير ملحوظٍ. كانت يدُ ساجان ما تزال على رأس وولفجانج وهو يقول: «هل هو دائمًا بهذا الهدوء؟»

رفعتُ كتفي وأنا أُثبِّت الضمادة على معصمي: «لم يكن كذلك، أعتقد أنه مكتئب.»

ـ «كم عمره؟»

فكرت في السنة التي بدأت فيها الحرب بين أبي والقس برايان. ربما كنتُ في الثامنة أو التاسعة. «تقريبًا عشر سنوات، أعتقد.»

جعلَتْه إجابتي يتنهَّد قائلًا: «ربما لم يعُد لدَيه الكثير من الوقت.»

ـ «ماذا تقصد؟ الكلاب تعيش أكثر بكثيرٍ من عشر سنوات، أليس كذلك؟»

ـ «بعض الفصائل تفعل. لكن كلاب اللابرادور متوسط عمرها حوالي اثني عشر عامًا.»

ـ «إنه لا يحتضر، هو فقط في حالة حداد.»

مسح ساجان بيدِه على معدة وولفجانج. «ضعي يدَك هنا» قال. وأمسك يدي مُمررًا إيَّاها على نفس المسار الذي قطعته يدُه. «بطنه منتفخ، ربما ذلك علامة على الاحتضار. ومع مزاجه الخامل... «

علَق شيءٌ ما بِحَلقي. أصدرتُ صوتًا، مثل شهقةٍ وسُعال ممزوجَين بعدم التصديق. غطيتُ فمي بسرعة، لكن اللَّسعة في حلقي تسبَّبت في طفر دموعٍ من عينيَّ. لِمَ أنا حزينة؟ لقد قضيتُ كلَّ حياتي أكره هذا الكلب. لم أهتم بأنه يحتضِر؟

قال ساجان: «سأتصل بطبيبٍ بيطري غدًا. لن يضرَّ لو تمَّ فحصه.»

ـ «هل تعتقد أنه يتألَّم؟»

سألتهُ بصوتٍ أقرب إلى الهمس. شعرت بدمعة تهرب من عينَيَّ فمسحتُها خفيةً. أو على الأقل كانت نِيتي أن تكون خفية، لكن ساجان رآها لأنه كان يُحدق بانتباهٍ شديد.

ارتسمت على شفتَيه ابتسامة ثم قال: «انظروا إلى هذا، تمتلك ميريت قلبًا.»

أشحتُ بعينيَّ بعد تعليقه ومددتُ يدي لمداعبة وولفجانج: «ألا تعتقد أن لديَّ قلبًا؟»

ـ «لِأكن عادلًا، تبدين نوعًا ما.. وقِحة»

لم أتوقَّع صراحته. جعلني هذا أضحك: «هل تلك هي طريقتُك لنعتي بالساقطة؟»

هز رأسه: «لن أقول عليك ذلك أبدًا.»

بالتأكيد لن يقول عليَّ ساقطة أبدًا. لكن لا يعني هذا أنه لا يفكر فيها. ساجان لا يقول أشياء لئيمةً في العلن. ربما ينبع ذلك من طريقة تربيته. أو ربما هو نوعًا ما قديس. أو ملاك نزل للأرض ليختبِر أخلاقي.

تدحرج وولفجانج واقترب منِّي. رفعتُ عينيَّ إلى ساجان، لكن عندما رأيته ينظر في اتجاهي، نظرت إلى وولفجانج فورًا. مرة أخرى فعلتُ كل ما أمكنني لأجد فيه شيئًا لا يعجبني.

ـ «ممَّ تتحسَّس؟»

أمال ساجان رأسه: «لا شيء» قال، وبدا مُرتبكًا: «لماذا؟ يا له من سؤال عشوائي.»

ـ «الليلة الماضية في الشاحنة قلتَ إنك أُصبت بالحساسية من شيءٍ ما أكلتَه. ولذلك التقيتَ بأونور في المستشفى.»

أومأ قليلًا، ثم ابتسم: «أوه، ذلك.» صمت لحظةً وأكمل: «كنت أكذب من أجل أونور.» بالطبع كان يكذب. ذلك ما يفعله الأولاد الجيدون من أجل فتياتهم.

ـ «أيهما كانت كذبة؟ أنك أُصِبتَ بالحساسية أو أنك لا تتحسَّس من أي شيء؟»

جذب ساجان بعض العُشب وأغلق عليه أصابعه: «قابلتُ أختك عن طريق صديقٍ لي. كنتُ أزوره في المستشفى.» رمي العُشب مُكملًا: «كذلك كانت هي.»

انتظرتُ أن يستطرد، لكنه مرة أخرى ترك قصته مبتورةً بلا معلومات. لكني اعتبرت أنه يكذب بشأن وجوده في المستشفى بدافع الذنب. لم يُرِد أن يعرف أحد أنه التقى أونور في المستشفى عن طريق صديقه المُحتضِر، ومِن ثم، ومن الطريقة التي يبدو بها الأمر، أعتقد أنهما يُواعدان نفس الفتاة. كم هذا مُنحرِف؟

أعتقد أن ذلك يُفسر جدالهما في غرفة أونور تلك الليلة. ولذلك تريد أونور أن تخفي عن ساجان زيارتها لصديقه.

لا أعرف لِمَ، لكن أرضاني هذا التفسير. معرفة أنها تُواعدهما، وأنه يواعدها ويُغازلني في نفس الوقت. جعلني ذلك أشعر أنني الشخص الأفضل بين ثلاثتنا، رغم أنني شعرتُ من قبل أنني الأسوأ.

سألني: «ماذا حدث بينك وبين أونور؟ يبدو أن هناك القليل من العداء بينكما.»

ضحكتُ: «قليل؟»

«هل كان الحال هكذا دائمًا؟»

فقدتُ ابتسامتي وهززتُ رأسي ناظرة إلى وولفجانج: «لا. اعتدنا أن نكون مُقربتَين جدًّا.» أفكر في كل الأوقات التي رفضنا فيها النوم إلا إن كنَّا معًا في نفس الغرفة. كل الأوقات التي أبدلنا ملابسنا في محاولة لخداع أبينا. كل الأوقات التي تحدَّثنا فيها عن أننا محظوظتان لأننا توءم. سألته: «هل لدَيك أية إخوة أو أخوات؟» نظرتُ إليه في نفس الوقت الذي تجهَّم فيه قليلًا، لكن تجهُّمه تبدَّد وهو يقول: «نعم، أخت صغيرة.»

ـ «كم عمرها؟»

«سبع سنوات» كان تعبيرُه رصينًا، مما جعلني أتساءل إن كان يفتقِدها ولا يُحب الحديث عنها.

ـ «هل تتمكن من رؤيتها كثيرًا؟»

لا بد أن هذه هي نقطة الخلاف مع عائلته لأنه فقط تنهَّد واتكأ على يدَيه: «في الواقع لم أقابلها قط.»

أوه. لا بد أن هناك قصةً خلف ذلك، يُمكنني استشفاف الحزن في صوته. مال وبدأ يُداعب وولفجانج وكأن الموضوع أُغلق. مِن الواضح أنه لا يريد خوض محادثات عميقة عن عائلته. أحبطني ذلك لأني أردتُه أن يشعر بأنه قادر على الحديث معي لكن من الواضح أنه لا يشعر بهذه الطريقة. تساءلتُ إن كانت أونور تخوض مثل تلك المحادثات معه.

تذكَّر أونور أثقل كاهلي. فوضعتُ يدي على فمي وأبقيتُها هكذا بينما أسندتُ ذراعيَّ على ركبتيَّ. سألته: «هل تمنيتَ أبدًا لو أن لك عائلة أخرى؟ عائلة تتواصَل معها؟»

ـ «ليس لديك أي فكرة»

ـ «بالفعل أتمنَّى أن تكون بيني وبين أونور ويوتاه مثل تلك العلاقة. لسنا مُقرَّبين على الإطلاق. وللأسف عندما نذهب إلى الكلية، أشك أننا سنتحدث أصلًا. السبب الوحيد للتفاعُل بيننا أننا نعيش معًا.»

ـ «لم يفُت الأوان بعدُ لتغيير ذلك كما تعرفين.»

حاولتُ أن أرسُم ابتسامة، لكنني لم أملك قوة كافية في جسدي للتظاهر أنه على حق. عائلتي لن تتغير أبدًا. قلت: «لا أعرف يا ساجان. هناك الكثير من المشاكل في عائلتنا. أُفكر أحيانًا أنه قد يُحالفك الحظ ويكون لديك عائلة لتتواصل معها. لكن أحيانًا...» حاولتُ كتم دمعةٍ مُحرجة وغير متوقعة: «أحيانًا تظلُّ عالقًا في عائلة أفرادها لا يفعلون شيئًا سوى ارتكاب الأخطاء التي لا يعتذرون عنها أبدًا ولا يدفعون ثمنها.»

عندما تأكَّدتُ أنني كتمتُ الدمعة بنجاح، نظرتُ إلى ساجان. كان ينظر إليَّ بتعاطف. بداخله شيءٌ ما يُشعرني بالطمأنينة. ربما هي الطريقة التي يستمع بها دون إصدار أحكام. أومأ قليلًا، كأنه يفهم ما أحاول قوله. لكن بعدَها هزَّ كتفَيه: «ليس كل خطأ يستحق أن تكون له عاقبة. أحيانًا كل ما يستحقُّه الخطأ هو المغفرة.»

على الفور أشحتُ بنظري بعيدًا لأن ذلك التعليق بدا كلكمةٍ في أحشائي. تمنيتُ لو أمكنني تطبيق ذلك التفكير مع عائلتي لكنني لستُ واثقة من قُدرتي على كل ذلك القدر من المغفرة.

رفع ساجا ن ساقَه اليُمنى وأرا ح ذقنه على ركبته ، أحا ط ساقَيه بذراعَيه . حد ق في الفناء الخلفي مُركزًا على لاشيء. قال: «ميريت؟»

اعتصرتُ عينيَّ لأُغلقهما. لم أُردْ حتى النظر إليه لأنني من صوته تمكنتُ من معرفة أنه يريد سؤالي عن شيءٍ لا أريد إجابته. «ماذا؟» همست. بدا كما لو أنَّ قلبي متورِّم عندما نظرتُ أخيرًا إليه. أو ربما «مُنتفخ» هو مصطلح أدقُّ للتعبير عن هذا.

ـ «ماذا حدث اليوم؟ في غرفتك؟»

على الفور قطعتُ تواصلي البصري معه. من فضلك لا تجعله يُشير إلى ما رآه من الردهة.

ـ «هل كنتِ أنت ولاك...»

هذا بالضبط ما يُشير إليه.

ـ «هل مارستِ الجنس معه؟»

صدمتُ أنه كان مباشرًا وسألني بوضوح. فتحتُ فمي ثم أطبقته حرجًا من الرد. شعرتُ بقليلٍ من الغضب أيضًا. لِمَ يكون هذا من شأنِه؟ إنه يُمارس الجنس مع صديقة صديقِه المحتضر. لا ينبغي أن يهتمَّ مع مَن أمارس الجنس.

أشحتُ بعينيَّ ودفعتُ نفسي عن الأرض: «يا له من سؤالٍ غير لائق. خصوصًا عندما يخرج منك.»

بدا عليه الخجل قليلًا لأنه سأل، لكنه لم يعتذِر. فقط راقبَني بصمتٍ وأنا أسير إلى المنزل. ذهبت إلى غرفتي مباشرة وأغلقتُ الباب. فقط حين أوصدتُ الباب تذكرتُ أن طعامي في الميكروويف. «عظيم» تمتمت. لن أخرج ثانيةً من هذه الغرفة. أكره أن أكون جائعة. يُصيبني ذلك بالغضب ، وعندما أغضب بالفعل ، يجعلني ذلك غاضبة للغاية . أنا غاضبة وأتضوَّر جوعًا وبما أنني التقطتُ الهاتف، توجَّب أن أقرأ كل تلك الرسائل من أونور. ارتميتُ على السرير وسحبتُ الرسائل للأعلى.

*أونور: حسنًا. ليلة الغد سأزور صديقي كولبي. يجب عليَّ القيادة إلى دالاس، لذا لن أكون بالمنزل قبل منتصف الليل.*

*أونور: لقد وعدتُ ساجان هذا الصباح أنني لن أذهب، لذا لا يُمكنني أن أدعه يكتشف ذلك.*

*أونور: أو أبي. سيغضب لو عرف.*

أغضبني بالفعل كيف تعتقد أن كل جملةٍ يجب أن تكون في رسالةٍ منفصلة. لِمَ لا يمكنها أن تكتب فقرةً واحدة طويلة فقط؟

*أونور: ساجان سيعمل حتى العاشرة مساءً غدًا. سأراسله قرب التاسعة وأخبره أنني متعبة وسأذهب إلى سريري. لذا لن تكون هناك مشكلة.*

*أونور: لكن ربما يلاحظ أبي أنني غائبة مساء الغد، لذا أخبريه فقط بأنني لستُ بخير وأنني ذهبت إلى السرير مبكرًا. وإن حاول الاطمئنان عليَّ أخبريه أنك قمت بذلك بالفعل وأنني بخير.*

*أونور: سأغلق باب غرفتي حتى لا يتمكن أحد من الدخول ومعرفة أنني لست بالداخل.*

*أونور: هل تتلقَّين تلك الرسائل؟*

*أونور: ميريت؟*

*أونور: من فضلك هل يمكنك الموافقة للتغطية عليَّ هذه المرة؟ سأدين لك بجميل.*

ضحكتُ على ذلك. ما الذي فعلتُه في أي وقتٍ مضى وضمِن لي ردَّ الجميل بالمقابل؟

*ميريت: تمام.*

*أونور: شكرًا لك!*

*ميريت: سؤال سريع رغم ذلك. لِمَ تفعلين هذا بساجان؟*

*أونور: هل يمكنك من فضلك التوقُّف عن إصدار الأحكام ولو لمرة في حياتك؟*

*ميريت: حسنًا. سأؤجل الحكم على حماقاتك حتى بعد الغد.*

*أونور: شكرًا لك.*

وضعتُ هاتفي جانبًا. أطفأتُ مصباحي فأصبحت غرفتي سوداء قاتمة. بلا نوافذ وبلا أي ضوءٍ من خارج الغرفة، لم يُمكنني رؤية شيءٍ واحد. كان أول مظهر من مظاهر السلام أحصل عليه طوال اليوم.

تساءلتُ هل هذا ما يكون عليه الموت. فقط... لا شيء.

# الفصل التاسع

قال أبي «يجب أن تذهبي لترَي ما إذا كانت أونور بحاجةٍ إلى أي شيء لتأكُله قبل أن تذهب إلى السرير».

أونور، أختي المريضة، المُتحصنة في غرفة نومها طوال الليل. يا لها من مسكينة. قلت: «أطعمتُها في وقتٍ سابق» كنت أكذب طبعًا. سحبتُ السدادة من الحوض ليفرغ من الماء. لقد كانت ليلة أونور لتغسل الصحون، لكنها ليست هنا لتغسلها. وهذا جميل آخَر تدين لي به.

سألني أبي: «هل تناولَتْ أي دواء؟»

أومأت: «نعم، أعطيتُها إيَّاه في وقتٍ سابق. مباشرة بعد أن تقيَّأت على أرضية الحمَّام.» إذا كنتُ سأكذب من أجلها، فسأجعل الأمر يستحقُّ وقتي. أكملت: «لا تقلق، لقد أمضيتُ نصف ساعة في التنظيف بعدها. كان هناك قيء في كل مكان. حتى أنني غسلتُ جميع المناشف.»

أبي هو من يشتري المناشف لذا قال سعيدًا: «هذا لُطف منك.»

ـ «هذا ما يفعله الإخوة.»

ربما يجب أن أتوقَّف. كلامي يبدو مليئًا بالهراء.

قالت فيكتوريا: «آمُل ألا يكون الأمر مُعديًا». «آخِر شيءٍ أحتاجُه الآن هو فيروس. سيتم فحصنا في المستشفى من قبل الولاية الأسبوع المقبل.»

أسعدَني سماع أنها قلقة جدًّا على أختي المريضة.

قال أبي: «ليلة سعيدة يا ميريت». لكنه نظر إليَّ بعدَم يقين. لا يزال يشعر بالقلق من أنني سأكشف سره الرهيب.

ابتسمتُ له قائلة: «تُصبح على خير يا أبي. أُحبك.»

لم يبتسِم. إنه يعلم أنني مجرد عاهرة. أو وقحة، كما أشار إليَّ ساجان بالأمس.

أطفأتُ جميع الأضواء في المطبخ وتوجَّهتُ إلى الحمّام. قبل أن أدخل مباشرة، تلقيتُ رسالة نصية.

*أونور: هل هناك من يشكك؟*

*ميريت: لا . ذهب الجميع إلى السرير.*

*أونور: أوه. حسنًا. لقد أرسلت للتو رسالةً نصية إلى ساجان لإخباره بأنني سأنام. شكرًا لك. أنا مدينة لك.*

*ميريت: أنت مدينة لي بشيئين. الليلة كانت ليلتك لغسل الأطباق. لا داعي للشكر.*

*أونور: سأغسل الأطباق طوال الشهر القادم.*

*ميريت: سأحتفظ بلقطة شاشة لهذا النص.*

أمضيتُ فترة الاستحمام بأكملها في إعادة محادثة الليلة الماضية مع ساجان في رأسي مرارًا وتكرارًا. ما زلتُ لا أُصدق أنه تجرَّأ وسألني عن لاك. أو ربما أخلط بين الجرأة والشجاعة. وفي كلتا الحالتَين، لقد تجاوز حدوده. إنه يواعد أختي. وليس أنا . عليه أن يقلق بشأن مَن تنام هي معه.

عندما خرجتُ من الحمَّام، ضربتني مشاعر الليلة الماضية مرةً أخرى. أعتقد أنني غاضبة جدًّا لأنني أحببتُ غيرة ساجان عليَّ. بدا غيورًا بعض الشيء عندما سألني عن لاك. لا أريد أن أشعر بهذه الطريقة. لا أريد أن يدقَّ رجل إسفينًا أكبر بيني وبين أونور، على الرغم من أن أونور تفعل ما لا يعلمه إلا الله الآن.

لقد حان الوقت تقريبًا لوصول ساجان، وإذا لم أختبئ في غرفتي بحلول ذلك الوقت، فسوف أضطر إلى الكذب عليه. سيسألني عن أونور، كيف تشعر، هل أكلَت أم لا. قد يرغب أيضًا في الاطمئنان عليها، لكن يجب أن أُخبره أنها بخير.

هذا ليس عادلًا بالنسبة له. أعلم أنه ليس بريئًا تمامًا، لكنه على الأقل صادق مع أونور. بينما هي تلهو في الخارج مع صديقه المُقرب كولبي المُحتضر.

إنها مثل أبي تمامًا. أعتقد أنها أيضًا مثل أُمِّنا تمامًا.

توجهتُ إلى غرفة الغسيل لأُخرج منامتي من المُجفِّف. سحبت الحمولة بأكملها للخارج، وبينما أغربلها لأخرج ملابسي. وجدتُ منامة أونور أيضًا. أخرجت منامتَينا وقارنتهما.

لهذا السبب هي التوءم الأجمل، على الرغم من أننا مُتطابقتان. لكنها ترتدي قمصان نوم مُثيرة وملابس سباحة مُثيرة وشعرُها أكثر جاذبية. تُصفر شعرها كل ليلة تقريبًا عندما تخرج

من الحمَّام، لذلك يكون متموجًا عندما تفُك الضفيرة في الصباح. أنا لستُ منزعجة. لا يُحدث هذا فرقًا كبيرًا إذا سألتني. أو على الأقل هذا ما أقوله لنفسي. إنه بالفعل يبدو أفضل منِّي، لكنني أُبقيه مرفوعًا معظم الوقت، لذلك لا يُهم حقًّا ما أفعله به في الليل.

حدقتُ في ثوب نومها مرة أخرى. وتساءلتُ كيف سيكون الأمر لو ارتديتُ ملابس مثلها. مناماتي عبارة عن شورت قطني وقميص غير مُتطابقَين. أما ثوب نومها فمصنوع من الحرير الأسود، لا يكشف الجسم لكنه مُثير رغم ذلك. هل ينام الناس بشكلٍ أفضل إذا شعروا بأنهم مُثيرون؟

إنها ليست هنا لتعرف ما إذا كنتُ سأختبر هذه النظرية أم لا.

تأكدتُ من إغلاق باب غرفة الغسيل ثم أسقطتُ منشفتي وارتديتُ ثوب نوم أونور. نظرت إلى انعكاسي في النافذة. ما زلتُ لا أشعر بالجمال الذي تبدو عليه أونور عندما ترتديه.

أزلتُ المنشفة عن رأسي ووضعتُ إصبعي على شعري لأفك تشابُكه بدرجة كافية للتضفير. سحبتُه على كتفي اليُمنى كما تفعل أونور وضفرتُه حتى وصلت إلى أطراف شعري. ليس لديَّ شريط مطاطي، ولكن هناك واحد في الحمّام. نظرًا لعدم وجود أونور في البيت، فلن أشعر بأنني أُقلدها إذا نِمت بشعري بهذه الطريقة الليلية.

أطفأت الضوء في غرفة الغسيل وتوجهتُ نحو الحمام لألتقط ربطة شعر.

ـ «هل تشعرين بتحسُّن؟»

تجمدتُ مكاني. كان ساجان يُغلق الباب الأمامي. جميع الأضواء مطفأة، باستثناء وهج الأجهزة الإلكترونية في المطبخ.

يا للقرف..

إنه يعتقدني أونور

لا أستطيع أن أعترف أنني لستُ هي. كيف سأُفسِّر ارتداء ثوب نومها وتضفير شعري مثلها؟ هذا وضع مُحرج جدًّا. لماذا كل شيءٍ معه مُحرج للغاية؟

قلت: «نعم» مع تعديل صوتي قليلًا ليبدو أشبَهَ بأونور أكثر.. أكثر جاذبية.

بدأتُ بالسير نحو الردهة، لكنني تجمدتُ عندما أدركت حجم المأزق الذي وضعت نفسي فيه للتو. لا أستطيع المشي إلى غرفتي لأن ساجان سيتساءل عن سبب دخول أونور إلى غرفتي.

لا أستطيع الدخول إلى غرفة أونور لأن باب غرفة نومِها مُغلق ومعها المفتاح.

قال ساجان: «لقد طُرِد ديفيد من الاستوديو الليلة».

ليس لديَّ أي فكرة من هو ديفيد. كان ساجان يخلع سترته وأنا أقف في الردهة مصدومة تمامًا. قلت: «هذا جيد لقد حان وقته.»

أمال ساجان رأسه وأطلق ضحكةً مشوشة متسائلًا: «ماذا؟»

أوه. إذًا فإن طرد ديفيد أمر سيئ. أنا لا أعرف حتى أين يعمل ساجان. هذا الوضع سوف ينتهي بشكلٍ سيئ للغاية.

ـ «هذا ليس ما أقصده، قصدتُ فقط أنك توقعتَ حدوث ذلك.»

هل فعل؟ أتمنَّى ذلك.

أومأ قائلًا: «أعلم أنه خطؤه لأنه نادرًا ما يحضر، لكنني ما زلتُ أشعر بالسوء. لديه أربعة أطفال.»

مشى إلى الثلاجة وفتح الباب. أضاء نورها كل شيء، بما فيهم أنا. شعرتُ بالتوتر لأنه سيلاحظ شيئًا سيُميزني عن أونور، لذلك ابتعدتُ عن الضوء وتوجهتُ نحو الأريكة. تبِعَني ساجان إلى غرفة المعيشة. جلست، فجلس بجانبي مباشرة، وأسند قدمَيه على الطاولة. تناول من جواري جهاز التحكُّم عن بُعد. فسحبتُ ساقي إلى أسفل وأحاول أن أبتعِد عنه. ماذا لو حاول تقبيلي؟ كيف سأهرب من هذا؟

أستطيع أن أتظاهر برغبتي في التقيُّؤ. سأركض إلى الحمَّام وأُغلق الباب على نفسي. لكنه سيتبعني. وبمعرفة ساجان، بالتأكيد سينتظر خارج الحمَّام حتى أنتهي.

قلب ساجان القنوات على شاشة التليفزيون فأصبح الضوء أكثر سطوعًا من الثلاجة. انكمشتُ على نفسي أكثر. شعرتُ براحتيَّ تبدآن في التعرق من التوتر. وبعد ذلك، كما لو أن الجلوس بجانبه ليس سيئًا بما فيه الكفاية، لمَسَني. رفع يده إلى جانب رأسي ودسَّها في شعري خلف أُذني وكأنني لا أحتاج إلى الأكسجين للبقاء على قيد الحياة.

ـ «هل أنتِ بخير؟»

أومأتُ برأسي. فمي جافٌّ جدًّا بحيث لا أستطيع التحدث.

«أونور.» يريد منِّي أن أُواجهه. يا إلهي، يُريدني أن أنظر في عينَيه، مثل أونور، ليس مثلي. يجب أن أُخبره، بالفعل. يجب أن أواجهه، استعددتُ لشرح الدقائق الخمس الأخيرة، لكن النظرة على وجهه منعتني من التحدُّث. إنه ينظر إليَّ كما ينظر إلى أونور. أو... إنه ينظر إلى أونور كما ينظر إلى أونور. لكنني لستُ أونور. أنا أنا، والآن يُحدِّق بي بتلك العينَين وكأنني أعني العالَم بالنسبة له.

ـ «هل ما زلتِ غاضبة منِّي؟»

هززتُ رأسي: «لا.» إنها الحقيقة. أنا لستُ غاضبة منه، لكن ليس لديَّ أي فكرة عما إذا كانت أونور غاضبة أم لا.

أومأ برأسه وهو يضغط على يدي: «أنت تعرفين ما أشعر به تجاه هذا الأمر. لكنني لا أريد أن أُخبرك بما يجِب عليك فعله.»

أونور فظيعة. إنها إنسانة فظيعة، تفعل هذا. تكذب عليه. تخونه. أريد أن أُخبره، لكن معرفة أنه يكذب على صديقه يُبرر ما تفعله أونور بطريقةٍ ما. ولسبب ما ولائي في النهاية لها. أظن. لا أعرف، أنا في حيرة من أمري.

أغمضتُ عينيَّ لأنني لم أعرف ماذا أفعل. إنه قريب جدًّا مما يجعلني أتساءل عما إذا كان طعم قبلتِه لا يزال مثل الآيس كريم بالنعناع. سأفعل أي شيءٍ لتذوُّق شفتَيه مرة أخرى.

لن تعرف..

إنها ليست هنا حتى..

إذا حدث شيء، فسيكون خطأها، ليس خطئي. هذا الوضع برمَّته هو خطؤها. إنها بالخارج تُقبل شخصًا آخر الآن. ربما هذا هو ما تستحقُّه.

فعلتُ ما أفعله بشكلٍ أفضل. تصرفتُ بلا تفكير.

ملتُ إلى الأمام وضغطتُ شفتيَّ على شفتَيه. دفعني بكفَّيه في كتفيَّ. تراجع مسافة كافية حتى يتمكن من قول اسمِها. «أونور!»

أنا أكره ذلك..

لا أريده أن يقول اسمَها مرة أخرى. أريد فقط أن يُقبلني.

عدلتُ جسدي لأجلس فوقه وحركت ساقيَّ لألفَّهما حوله. أبقيتُ عينيَّ مغلقتَين وأنا ألفُّ يدي على رقبتِه. لا أريده أن يُلاحظ أنني لا أرتدي عدسات لاصقة. أونور ترتديها طوال الوقت وأنا لا أرتديها أبدًا.

شعرتُ بأصابعه حول خصري وانتظرتُه أن يُقبلني كما فعل في المرة الأولى التي قبَّلَني فيها، لكنه تردَّد.

نفد صبري. ضغطتُ بفمي على فمِه مرة أخرى، لكنني قوبلت بالمقاومة. لم يُشبِه الأمر قبلتنا الأولى. هذه المرة كانت شفتاه صلبتَين وثابتتَين ومُغلقتَين. أبعد يدَيه عن خصري ولفَّ يدَه حول معصمي. ليُبعدني عنه.

ـ «ماذا تفعلين؟»

فتحتُ عينيَّ المرتبكتَين. لقد تراجعتُ بما يكفي لمنحنا مساحة للتفكير، لكن هذا لم يكن كافيًا. مرَّر إبهامه على الضمَّادة الموجودة على الجانب السُّفلي من معصمي. وقعت عيناه على الضمَّادة التي أعطاني إيَّاها. التي استخدمتُها لتغطية الخدش على معصمي الليلة الماضية. معصمي. ليس معصم أونور.

أخذتُ دفعةً سريعة من الهواء عندما رأيتُ الإدراك يبتلِع الارتباك على وجهه. نظر إلى الضمَّادة التي على معصمي ثم نظر إلى وجهي. قال: «ميريت؟»

تجمدت، لم أختلِق حتى الأعذار. وها أنا ذا، أرتدي ملابس أونور، وألتفُّ حوله. لا أعرف حتى كيف أتراجع. لم أُصلِّ من أجل أن تُصيبني سكتة دماغية من قبل، ولكني صليتُ بكل قوتي حتى يأخذني الله هنا والآن.

أبقيتُ عينيَّ ملتصقتَين به، في انتظار أن يدفعني عنه باشمئزاز. لكنه استمر في التحديق بي، وعيناه مثبَّتتان على عينيَّ. أخيرًا أطلق معصمي، لكن بدلًا من الإمساك بكتفي لإبعادي عنه، أمسك بوجهي.

وبعد ذلك قبَّلني. التهمَني..

أنا..

وليس أونور.

أغمضتُ عينيَّ وذُبت فيه. ذُبت في صدره، وذراعَيه، وفمِه. عندما وجد لسانه لساني، تخليتُ عن محاولة الردِّ بالمثل. عقلي لم يعُد يتواصل مع أطرافي. يبدو الأمر كما لو أن أطرافي تخضع لسيطرة قوةٍ أخرى. مررتُ أصابعي في شعره وتحركت يداه إلى خصري، ثم إلى أسفل ظهري. لم يكن الأمر مثل قُبلتنا الأولى.

كان أفضل..

كان حقيقيًّا..

هذا أنا..

ليس أونور..

طعم فمه خليط من النكهات هذه المرة، تُقاتل كل نكهة للتغلُّب على الأخرى. كلها نكهات لذيذة، تختلط في وقتٍ واحد. السُّكَّر والحلو ضد المالح والعذب.

هل هذه استجابة الله لصلاتي؟ هل تُعامله أونور بشكلٍ رهيب؛ فلم يعُد أمامه خيار سوى أن يكون معي؟

طردتُ فكرة وجودها من رأسي في نفس اللحظة التي دفعني فيها ساجان إلى الأريكة. لم يرفع فمَه عن فمي وهو يتسلَّق فوقي، وكأننا نحن الاثنان يرغب كلٌّ منَّا في ملامسة أكبر قدْر ممكن من الآخر.

إنه شعور سريالي للغاية، أريد أن أبتسِم، لكن الأمر في نفس الوقت خطير جدًّا، أريد أن أبكي. مشاعري مُتشظِّية في كلِّ مكان. تمامًا مثل يدَيه. تنزلقان أسفل فخذي، وتتجوَّل حول ساقي، ثم تُمسك الجزء الخلفي من رُكبتي، سحب ساقيَّ للأعلى ولفَّهما حوله. الموقف الذي وُضِعنا فيه للتو يجعلنا نلهث من أجل الهواء. قطع القبلة لكنه حرك فمه نحو رقبتي. قال بين القبلات: «ميريت.»

يُمكنني الاستماع إليه وهو يلفظ اسمي بهذه الطريقة إلى الأبد.

«ميريت» قال مرة أخرى وهو يُقبل فكي. «ما هذا؟»

هززت رأسي، أريده أن يتوقف عن التساؤل. لا تتوقف. فقط أكمِل. أمنحك الضوء الأخضر على طول الطريق.

بدا وكأنه أخطأ بطريقةٍ ما في أنَّ ضوئي الأخضر هو ضوء أصفر، لأنه توقف فجأة. ضغط جبهته على جانب رأسي وأخذ لحظةً بين القبلات لالتقاط أنفاسه. ففعلتُ نفس الشيء.

«ميريت» قال مرة أخرى، وهو يبتعِد لينظر إليَّ. أدار عينَيه على وجهي ثم أنزلهما إلى صدري، ثم أعادهما إلى وجهي. قال: «لماذا ترتدين هذا؟» وضع معظم وزنَه على يدَيه، مما أزال ضغط جسمه عن جسمي.

أردتُ استعادة الضغط. حاولتُ أن أسحبَه إليَّ، لكنه سحب وجهه من يديَّ. وضع كل وزنه على ذراع واحدة وأمسك بيده جديلة شعري. لفَّ يدَه حول الجديلة ومرر أصابعه إلى أسفلها حتى النهاية. انتقلت عيناه من ضفيرتي، إلى وجهي، إلى ثوب النوم، إلى ضفيرتي، إلى وجهي.

أنا لا أُحب هذا..

جلس، وأنزل ساقَيه إلى الأرض ثم ركع على الأريكة أمامي. ساقاي لا تزالان ملفوفتَين على جانبَيه.

ـ «لماذا ترتدين ملابس أونور؟»

دفعتُ يدي إلى الأريكة وجلستُ مُبعِدةً ساقيَّ عنه. واجه كلٌّ منَّا الآخر، لكنه أطول منِّي بكثير، رغم أنه راكع. إلا أنه بدا شاهقًا فوقي. يستجوبني. أغمضتُ عينيَّ.

شعرتُ بيده على ذقني. لمْستُه لطيفة. همس:»انظري إليَّ.»

فعلت ذلك، لأنني سأفعل أي شيءٍ يطلبه طالما أنه يتمُّ بهذه الطريقة الحلوة. مشط شعري للخلف وكرر سؤاله: «لماذا ترتدين مثلها؟»

شعرتُ بالدموع تبدأ بالتشكُّل في عينيَّ. هززتُ رأسي على أمل إيقاف التدفُّق. قلت: «انتابني الفضول..»

ترك وجهي وأنزل يدَيه إلى حجره: «الفضول؟»

تجاهلتُ نبرة سؤاله، أكملت: «أردتُ فقط أن أعرف كيف سيكون شعوري وأنا هي. ولكن بعد ذلك دخلتَ من الباب.»

قلب شفتَيه ومرَّر أصابعه في شعره ثم جلس على الأريكة. ولم يعُد يُواجهني. سأل: «لماذا حاولتِ تقبيلي؟ قبل أن أعرف أنك لستِ هي؟»

زفرتُ فاهتز الهواء من حولي. ارتجف جسمي كله. خفتُ من الاعتراف بالحقيقة. أنا لستُ جيدة في ذلك كما يبدو أن ساجان يُريدني أن أكون. قلت: «لا أعرف. أعتقد أنني أردتُ فقط تقبيلك مرةً أخرى.»

وضعتُ يدي على وجهي وسقطتُ على الأريكة بجواره. كما لو أن غلطةً واحدة لا تكفيني لمدة أسبوع واحد.

أحسستُ بساجان يقف. سمِعتُه وهو يسير عدة خطوات. عندما توقف، فتحتُ عينيَّ ونظرت إليه. يداه على وركَيه وينظر إليَّ. قال: «هل تعتقدين أنني وأونور...» أسند يده على الأريكة مُكملًا: «هل تعتقدين أنني أفعل أشياء مثل هذه معها؟ هل تعتقدِين أننا معًا هكذا؟ »

فغرتُ فَمِي. ثم أغلقتُه. سؤاله يُحيرني قلت: «ألستما كذلك؟»

لم يقُل أي شيءٍ للحظة. حدَّق فقط في وجهي ثم..

ـ «لا.»

هناك الكثير من الحقيقة في هذه الكلمة، ولكن لا بد أن تكون كذبة. بالطبع يفعلان أشياء مثل هذه. بالطبع يُقبلان بعضهما.

«ميريت، أونور صديقتي. إنها تُواعِد أعز أصدقائي، ولن أفعل ذلك به أبدًا». تنهَّد مكملًا: «إنه لأمر معقد.»

ـ «لكن..» هززتُ رأسي، وأنا أكثر حيرةً من أي وقت مضى بشأن كيفية الرد. قلت: «لماذا تجعلان الأمر يبدو بهذه الطريقة؟»

ضحك غير مُصدِّق. أمال وجهه للأعلى وحدَّق في السقف للحظة. قال: «نحن لا نفعل ذلك. هذه هي الطريقة التي اخترتِ أنتِ رؤيتنا بها.»

فكرتُ مرة أخرى في الأسبوعَين الماضيَين. كل الأوقات التي تمت الإشارة إليه فيها على أنه صديقها الحميم كانت عندما أشرتُ أنا إليه بهذا. لم يُطلِق على نفسه اسم صديقها الحميم قط.

لم تقل أونور قط إنه حبيبها. وباستثناء بعض العناق، لم أره يُقبلها ولو مرة واحدة. لقد رأيتهما فقط يُمسك كلٌّ منهما يدَ الآخر عند حمّام السباحة.

لكن هذا لا يفسر سبب تقبيله لي في اليوم الذي تبِعني فيه خارج متجر التحف. لقد ظن أنني أونور حينها وقبَّلني. والشجار الذي دار بينهما تلك الليلة بشأن كولبي...

غطيتُ وجهي بيدي مرة أخرى وأنا أُحاول فصل كلِّ ما أشعر به. كل ما يحدث. قلت: «لكن شجاركما تلك الليلة. بشأن رؤيتها لكولبي..»

قاطعني قائلًا: «كولبي صديقي، وأونور كذلك صديقتي. لا يُعجبني أنها منخرطة في هذه العلاقة غير الصحيَّة. أغضبُ منها عندما لا تستمِع إلي. نحن نتشاجر، هذا ما يفعله الأصدقاء.»

ـ «أوه.»

بدأ ساجان في السير مرةً أخرى. مشي من أحد طرفي الأريكة إلى الطرف الآخر. ثم توقف أمامي. «لماذا قبَّلتَني عندما اعتقدتَ أنني أونور؟»

أنا متأكد من أنني أجبتُ بالفعل على هذا السؤال: «لقد أخبرتك بالفعل..» نظرت إليه، هذه هي المرة الأولى التي بدا فيها غاضبًا. فأغلقتُ فمي مرة أخرى.

أخذ نفسًا بطيئًا ومُنضبطًا ثم قال: «دعِيني أفهم هذا الأمر بشكلٍ صحيح، لقد ظننتِ أنني حبيب أونور لذا تظاهرتِ بأنك هي ثُمَّ حاولتِ تقبيلي؟»

حاولتُ هزَّ رأسي، لكنه لم يتحرك، قلت: «ساجان..»

ـ «أي نوع من الأشخاص يفعل ذلك بشقيقتِه يا ميريت؟» تجهَّم وابتعد عني، وأمسك مؤخرة رقبته بيدَيه. دخل إلى المطبخ ورفع سُترته من على ظهر الكرسي. بدوت مثيرةً للشفقة وأنا أقف وآخُذ بضع خطوات تجاهه.

اتجه نحو الباب وفتحه، لكنه توقف قبل أن يخرج. عندما رفع رأسه لينظر إليَّ، كانت عيناه مليئتَين بخيبة الأمل، قال: «أنت حقًّا نذلة»

أغلق الباب.

تعثرتُ عائدة إلى الأريكة حتى جلستُ عليها مرة أخرى.

أنا نذلة..

لقد تمَّ وصفي بصفاتٍ كثيرة في حياتي، لكن لم ينعتني أحد بالنذالة من قبل. آلمَتني الكلمة أكثر بكثيرٍ من أي شيءٍ قاله لي أي شخصٍ آخر.

أعتقد أنني كنتُ مخطئة. أنا أسوأ شخصٍ من بيننا نحن الثلاثة..

# الفصل العاشر

انتظرتُ سماع صوت محرك سيارة ساجان يدور لكنني لم أسمع شيئًا. غادر ساجان البيت، لكنه لم يغادر بالسيارة، مما يعني أنه إما ذهب في تمشيةٍ أو أنه يقف في الخارج حتى يهدأ. أريد أن أركض خلفه وأتوسَّل إليه أن يُسامحني، لكنني لست متأكدة من أنني أريد مُسامحته الآن. لست متأكدة من أنني أستحقُّها.

ضممتُ ركبتيَّ إلى صدري، وتساءلتُ كيف كنتُ عمياء إلى هذا الحد. لقد افترضت وحدي أنه على علاقة بأونور. إنهما يفعلان الكثير معًا. يتحدَّثان وكأنهما حبيبَين. وفي كل مرة تقريبًا أشرتُ إليه على أنه صديقها الحميم، لم يُصحح لي أحد التوصيف. يبدو الأمر كما لو أنهما أرادا منِّي أن أعتقد ذلك.

أو ربما كانت أونور فقط هي من أرادتني أن أعتقد ذلك.

مسحت دموعي في غطاء ظهر الأريكة. فحدَّق بي يسوع بعتاب. أدرتُ عينيَّ إليه وقلت: «أوه، أرجوك، ألستَ هناك حتى تغفر للمذنبين أمثالي فِعل أشياء فظيعة مثل هذه؟»

سقطتُ على الأريكة وشعرتُ أنني أريد الصراخ. أمسكت وسادةً وغطيت وجهي وصرختُ صرخة مكتومة. أنا مُحبطة، محرجة، غاضبة، مجروحة. إنه تحوُّل فظيع، سقوط إلى أسفل، منذ لحظاتٍ كنتُ أحلق عاليًا عندما قبلني ساجان، يبدو الأمر كما لو أنني انزلقت من دفء المناطق الاستوائية مباشرة إلى المياه الباردة في القارة القطبية الجنوبية.

لا أريد أن أشعر بأي شيءٍ بعد الآن. في اليومَين الماضيين شعرتُ بما يكفي من الاضطراب العاطفي لمدى الحياة. أنا انتهيت. أنا انتهيت.. انتهيت.

ـ «انتهيت، انتهيت، انتهيت»

أكدتُ لنفسي مراتٍ أخرى وأنا أتدحرج من الأريكة. وأمشي إلى المطبخ وأُحضر كوبًا أحمر. فتحتُ الخزانة الموجودة فوق الثلاجة وأخرجتُ زجاجة من المشروب الكحولي. أنا لا أعرف حتى ما هو. لم أشرب الكحول من قبل، ولكن ما هو أفضل وقتٍ لتجربته سوى نفس الأسبوع الذي كدتُ أفقد فيه عُذريتي وأُغضب الشخص الوحيد الذي أشعُر بشيءٍ تجاهه في هذا المنزل؟

لا أعرف كم يستغرق الأمر حتى يسكَر شخصٌ ما، لكني ملأت كأسي إلى منتصفها من أعلى. أو ربما هو منتصفها من القاع. هل أنا متفائلة أم متشائمة؟ ألقيتُ نظرة خاطفة على الكأس.

متشائمة..

شربتُ بقدر ما أستطيع دفعةً واحدة قبل أن أشعر وكأنني أتقيأ كرةً نارية. تلعثمت وسعلت، بل وبصقتُ القليل في الحوض.

«هذا مُقزز!» مسحتُ فمي بمنشفةٍ ورقية. شعرت بحرقةٍ تشقُّ صدري. ولم يتلاشَ حتى شعوري بالإحباط والغضب والحزن.

تمكنتُ بطريقةٍ ما من شُرب ما تبقى في الكأس. ثم أخذت الزجاجة والكوب معي عندما خرجتُ من المطبخ. لا أريد أن أكون هنا عندما يعود ساجان من تمشيته. فتحتُ باب غرفة نومي، لكنها وحيدة. فارغة. مُحزنة. تُذكرني بي. وضعتُ زجاجة الكحول على خزانة ملابسي، لكن الكوب سقط على الأرض. كان فارغًا على كل الأحوال.

أول شيءٍ فعلته هو تغيير ثوب نوم أونور إلى منامتي. فككتُ كذلك الجديلة ولممتُ شعري للأعلى. لا أريد أن أكون هي بعد الآن. إنها ليست مُثيرة كما اعتقدتُ أنها ستكون. أيضًا لا أريد أن أكون وحدي الآن. الشخص الوحيد الذي قد يشعر بالسوء ويتعاطف معي هو لاك.

لستُ متأكدة مما إذا كان نائمًا، لذا فتحت باب غرفته بهدوءٍ قدْر الإمكان. انزلقت إلى الداخل ثم واجهتُ الباب وأغلقتُه بكلتا يدي، دون أن أرغب في إحداث ضجة. عندما استدرت، شعرت بالارتياح عندما رأيتُ شعاعًا صغيرًا من الضوء يأتي من جهاز الكمبيوتر الخاص بأبي على الجانب الآخر من المكتب. ما يكفي من الضوء لي حتى أتمكن من الوصول إلى سرير الأريكة.

سمعتُ أنين لاك وأنا أسير على رءوس أصابعي إلى داخل الغرفة. أصدرَتِ المرتبة صريرًا وكأنه يتحرك فوقها.

«لاك؟» أصدرت المرتبة صريرًا مرةً أخرى وكأنه يُفسح مكانًا لي. همست: «هل أنت مُستيقظ؟» وجلستُ على حافة السرير.

وفجأة سمعتُ كلمة «تبًّا»! لكنها لم تخرج من فمِ لاك. ولا من فمي.

ـ «ميريت؟» هذا صوت لاك.

ـ «لاك؟»

«بحق الجحيم؟!» هذا صوت يوتاه.

يوتاه؟ قفزتُ من مكاني بينما صرخ لاك: «يا للقرف! ميريت اخرُجي!»

اصطدم شيء بالأرض. الأباجورة؟ ربما!

صرخ يوتاه: «اخرجي!»

«يا للقرف!» قال لاك مرةً أخرى. هناك الكثير من الضجة الجارية، واستغرق الأمر عدة ثوانٍ لاستعادة توازُني والاتجاه نحو الباب. عندما فتحته، ارتكبتُ خطأً قاتلًا واستدرتُ لإلقاء نظرة خاطفة على الغرفة. كان هناك ما يكفي من الضوء حتى أتمكن من رؤية كلٍّ منهما وهما يكافحان للعودة إلى ملابسهما. تجمَّد يوتاه وهو ينظر إليَّ، مُدخلًا ساقًا واحدة فقط في سرواله. لم يكن يرتدي أي ملابس داخلية.

«يا إلهي.» شعرت بندبةٍ تتكوَّن في قلبي. رأيتُ لاك على الجانب الآخر من الأريكة السرير، وهو يكافح من أجل ارتداء سرواله الداخلي.

وضعتُ يدي على عيني عندما صرخ يوتاه: «اخرُجي بحق الجحيم يا ميريت!»

أغلقتُ الباب خلفي.

أتمنَّى أن يكون هذا كابوسًا.

ذهبتُ إلى غرفتي وتناولت زجاجة الخمر، لم أهتمَّ حتى بالصبِّ في الكوب هذه المرة. أحتاج أن تتوقَّف هذه المشاعر. أحتاج أن أنسى، أنسى، أنسى. ما الذي رأيتُه للتو بحق الجحيم؟

أغلقتُ عينيَّ بقوة. ربما أنا حمقاء، ربما فهمتُ الأمر بشكلٍ خاطئ. إذن لماذا كانا عاريين؟ معًا؟ في السرير؟

كاد لاك أن يُمارس الجنس معي بالأمس. قال إنه لا يستطيع الانتهاء لأنني أُشبِهُ موبي، لكن يوتاه يُشبِهُ موبي أكثر من أي واحدٍ منَّا! الآن يمارس الجنس مع أخي؟ إذا لم يكن هذا هو الشكل النهائي للرفض، فلا أعرف ما هو.

ما خطبي؟ يُفضل لاك ممارسة الجنس مع أخي بدلًا منِّي. وينعتني ساجان بالنذالة مباشرة بعد أن تغازَلْنا على الأريكة. وانفصل درو والدروب عنِّي وهو يضع يدَه على صدري. لماذا أنا مُثيرة للاشمئزاز؟

ـ «ميريت!»

طرق يوتاه بابي وأنا أسير جيئةً وذهابًا في غرفتي وأفكر، ما الذي قاطعتُه للتوِّ بحقِّ الجحيم؟

فتحتُ الباب فدفع يوتاه نفسه إلى غرفتي وأغلق الباب خلفَه. بدا غاضبًا وقلقًا وهو يُشير إليَّ ويقول: «أبقِ فمَك مغلقًا. ما أفعله ليس من شأنك.»

توقفتُ عن السير واقتربتُ منه قائلة: «هل أفشيتُ أسرارك السابقة؟»

تلاشى غضبه عندما ذكَّرتُه بتصرُّفاته الطائشة السابقة.

ـ «هل اعتقدتَ أنني نسيتُ يا يوتاه؟ حسنًا خمِّن ماذا؟ لم أنس. ولن أفعل ذلك أبدًا.»

جفل، ورأيتُ الذنب في عينَيه. أردتُ أن ألكمه، لكنني لستُ شخصًا عنيفًا. لا أعتقد. لستُ متأكدة، رغم أن يديَّ كانتا قد تكوَّرتا على شكل قبضتَين قبل أن يخرج من غرفة نومي ويغلق الباب.

أنا أكرهه. وأكره نفسي لأنني لم أُخبر أحدًا بحقيقته.

جلستُ على سريري وأغمضتُ عينيَّ. شعرتُ برغبة في التقيؤ لا أعرف سببها. أعتقد بسبب كل شيء. لاك، وساجان، ويوتاه، وأونور، وأبي، وفيكتوريا، وأمي.

هذه العائلة فظيعة كما يراها الجميع في هذه المدينة. ربما أسوأ من ذلك. لقد سئمتُ منها. سئمتُ الأسرار وسئمتُ من الأكاذيب. ولقد سئمتُ من كوني الشخص الوحيد في هذا المنزل الذي يعرفها جميعًا!

لديَّ سِر يوتاه..

لدي سر أبي..

سِر أمي.

سِر أونور.

سِر لاك..

لا أريد أيًّا منها بعد الآن!

ربما لو كشفتُ كل الأسرار، فلن تُشعرني بالرغبة في الغرق بعد الآن.

نعم. ربما هذا من شأنه أن يساعد. ربما يُساعدني إخراج كل شيء، على الشعور بأنني لستُ على وشك الانهيار.

وصلتُ إلى منضدتي وأمسكتُ بقلم، ثم فتحت الدُّرج وتفحصته حتى وجدتُ دفترًا به صفحات فارغة كافية لاستيعاب كل هذه الأسرار.

إنني أتألم. كل شيءٍ يؤلِمني. الأيام القليلة الماضية كلها. أمسكت بالزجاجة... ما الذي أشربه بحق الجحيم؟ قرأتُ الاسم على الزجاجة. تكيلا. أمسكت بزجاجة التكيلا وجلستُ على الأرض لأنني بدأتُ أشعر بالدوار. أمسكت بقلمي ودفتر ملاحظاتي وفتحت أول صفحة فارغة استطعتُ العثور عليها. ضغطت على عينيَّ المغمضتَين حتى شعرت بأن رؤيتي أقوى. أشعر بالتذبذب. أشعر بأن يديَّ ترتعش وأنا أبدأ بالكتابة.

أعزائي القاطنين ببيت دولار فوس..

كلكم. ما عدا موبي. لأنه الشخص الوحيد الذي أُحبه وما زلتُ أحترمه في هذه المرحلة.

لديَّ الكثير من الغضب المُتراكم بداخلي، ولا علاقة له بي. إنه غضب من كل شخصٍ تقريبًا في هذا المنزل. الغضب بسبب كل الأسرار التي تُخفونها بعضكم عن بعض، وعن العالَم الخارجي. أنا أرفض التمسُّك بأيٍّ منها ولو لثانيةٍ إضافية. كل يوم، هناك المزيد والمزيد من الأسرار، وقد سئمتُ من الظهور بمظهر الشخص السيئ طوال الوقت. أنتم جميعا تكرهونني. جميعكم تعتقدون أن كلَّ جدالٍ في هذا المنزل هو خطئي. تتساءلون جميعًا لماذا أنا مُستهترة للغاية طوال الوقت. بسببكم جميعًا!

من أين أبدأ حتى؟

ماذا لو بدأتُ بالسر الأقدم؟ هل ظننتَ أنني سأنسى يا يوتاه؟ لأنني كنتُ في الثانية عشرة من عمري فقط، أنني لن أتذكَّر الليلة التي أجبرتَني فيها على تقبيلك؟

من الصعب أن ننسى شيئًا كهذا يا يوتاه. إذا كنتَ تعرف كم كنتُ أعبدك كأخي الأكبر، فسوف تفهم لماذا من الصعب جدًّا أن أنسى ما فعلتَه.

«لا تُكبري الموضوع يا ميريت.»

هذا ما قلتَه لي عندما دفعتُك عني. لقد حاولتَ أن تجعل الأمر يبدو وكأنني أبالِغ في ردة فعلي تجاه ما حدث للتو. في إحدى اللحظات كنتُ في غرفة أخي أشاهد فيلمًا، وفي الدقيقة التالية كان أخي يُحاول تقبيلي.

لقد خرجتُ من غرفتك في تلك الليلة ولم أنظر إلى الوراء قط. ليس مرةً واحدة. لم أذهب إلى غرفة نومك منذ ذلك الحين. لم أسمح لنفسي أبدًا أن أكون وحدي معك منذ ذلك الحين. أنتَ لم تهتم حتى. لم تعتذِر قط. هل تشعر بالذنب حتى؟

هل هذا هو السبب الذي يجعلك تجد صعوبة في النظر إلى عينيَّ؟ لأنك في المرات القليلة التي تنظر فيها إليَّ، تنظر بازدراء واشمئزاز. بنفس الطريقة التي أنظر إليك بها.

جميعكم تعتقدون أنني وقِحة مع يوتاه. تقولون لي: «اهدئي يا ميريت». فكروا فيما سيشعر به كل شخصٍ فيكم إذا حاولت عائلته إجبارَه على أن يكون لطيفًا مع الأخ الذي سرق قبلتَه الأولى.

أنت تُثير اشمئزازي، يا يوتاه. تُثير اشمئزازي ولن أنسى ما حدث ولن أُسامحك أبدًا.

ولكن على الأقل لديك أونور. إنها تعبدك لأنها لم ترَ الجانب الذي رأيتُه منك. إنها تعتقد بأنك لطيف وبريء وأنك أفضل شيء حدث لها على الإطلاق. إنها تنظر إليَّ بنفس الطريقة التي تنظر أنت بها إليَّ، لأنها لا تستطيع أن تفهم لماذا أُعاملك بهذه الطريقة الرهيبة التي لا تستحقُّها.

أعلم أنك ربما تجد كل هذا صعبَ التصديق يا أبي. نعم، أنا أتحدَّث إليك الآن، يا بارنابي فوس. لقد قلتُ كل ما أريد أن أقوله ليوتاه.

أما أنت، فقد قدمتَ لنا المثال الأفضل في كيفية التعامُل بعضنا مع بعض، أليس كذلك؟ لقد أنشأتَ هذه العائلة الجميلة، ولكن بمجرد أن مرضَتْ زوجتك ولم تعُد قادرة على تلبية احتياجاتك، نمتَ مع مُمرضتها. لا يمكنك حتى أن تكون متحفظًا بشأن هذا الأمر. ألا يمكنك أن تنام معها ثم تتظاهر بأن ذلك لم يحدُث عندما تتحسَّن زوجتك؟ لا، كان عليك أن تأخذ خطوةً أبعد على المستوى الأناني وتخدع فيكتوريا وتنام معها بدون واقٍ ذكري. الآن نحن عالِقون مع امرأةٍ تكرهنا. امرأة تكره أُمَّنا.

أتساءل كيف سيكون ردُّ فعل فيكتوريا إذا علمت أنك ما زلت تنام مع أُمي؟

نعم، هذه الجملة ربما صدمتكم جميعًا.

آسفة يا فيكتوريا، ولكن هذا صحيح. رأيتُ ذلك بعينيَّ. على الأقل لدَينا الآن تفسير لماذا لا تزال أُمُّنا ترتدي ملابسها الجميلة وتتزين كل يوم. إنها تعيش في قبو بيتك، على أمل أن يتسلل زوجها السابق إليها، تحافظ على مكياجها جميلًا وشعرها مثاليًّا وساقيها لطيفتَين وناعمتَين من أجلِه.

ربما يكون زوجك هو السبب وراء بقاء أمِّنا في العيش هنا في القبو. إنه يلحق بها ضررًا عقليًّا كبيرًا لدرجة أنها تحت سيطرته الكاملة. يأخذك إلى غرفة النوم ويذهب لأُمي في الطابق السفلي. وأنتما الاثنتان «فيكتوريا»، لذلك لا داعيَ للقلق إن حدث وسهوتُ ناطقًا اسم واحدةٍ أمام الأخرى! إنه يعيش خيال كلِّ رجل. لا داعيَ للقلق بشأن التداخُل بينكما لأنه يُخدر أمي بالأدوية، حتى تُصبح خائفة جدًّا حتى من مغادرة قبوها.

ولا تظنِّي أنني لا أُحملك المسئولية يا أمي، لمجرد أنني أشعر بالأسف من أجلك. لقد أحببتك أكثر قبل أن أعرف أنك لا تزالين تنامِين مع أبي. على الأقل حينها يمكنني أن أعذرك لماذا لا تزالين هنا، تعيشين في زنزانة، وتضيعين حياتك. اعتقدتُ أن ذلك بسبب رُهابك الاجتماعي، لكنني الآن أعلم أن السبب هو أنك تلعبين لعبةً مريضة تُحاولين بها استعادة أبي مرةً أخرى. حسنًا، خمِّني ماذا يا أمي؟ لن يعود إليك! مهما فتحتِ ساقَيك له في أي وقتٍ يريده.

ربما تكونين أكثر إثارةً للشفقة منه. على الأقل هو يُربي أولاده. على الأقل هو يضع طعامًا على مائدتنا وسقفًا فوق رءوسنا. إنه سيئ جدًّا كأب، لكنه والد أفضل بكثير مما أنت عليه بالنسبة لنا. لذا نعم، اعتبري هذا وداعي لك. لن أزورك في قبوك بعد الآن. إذا كنتِ تهتمِّين بأي واحدٍ منا، فسوف تجمعين شتات نفسك، وتحصلين على وظيفة، وتُغادرين هذا البيت، وتحصُلِين على حياة!

من أيضًا؟

أوه! دعونا لا ننسى أحدث إضافةٍ إلى دولار فوس. لاك فيني! يبدو رائعًا، أليس كذلك؟ يظهر على عتبة البيت فجأة، يتصالح مع أُخته ثم يكاد يُضاجِع ابنة أخته.

أنا من عرض عليه أن يُفقدني عذريتي. لم يبدُ لي أن ذلك سيُحدث فرقًا بالنسبة له لأنه مارس الجنس أكثر من ثلاثمائة مرة! لكن الآن بعد أن علمتُ أنه يشقُّ طريقه عبر جميع أشقاء فوس، أشعر بأنني أرخص ممَّا شعرتُ به بعد أسوأ تجربة جنسية في التاريخ.. التي لم يستطع إتمامها حتى!

ربما لم يتمكن من الانتهاء معي لأنه يُفضل القضيب. قضيب يوتاه، على وجه الخصوص.

أوه! نسيت، أنتم لا تعلمون أن يوتاه مِثليُّ الجنس؟ لا يعني ذلك أن لديَّ أي تحفُّظ نحو المِثليِّين. الحُب هو الحب، أليس كذلك؟ لكنني لم أكن أعرف ذلك عن يوتاه. نعم، يوتاه مثليُّ الجنس وينام مع لاك. أعرف ذلك لأنني دخلتُ عليهما. لا أستطيع إخراج صورتهما من رأسي مهما حاولت. إنها مدمجة هناك، تمامًا مثل صورة ساجان عندما وصفَني بالنذالة.

لقد كان على حق، رغم ذلك. أنا نذلة. أي نوع من الفتيات تخون أُختها التوءم بأسوأ طريقةٍ ممكنة؟ بالطبع، تظاهُري بأنني «أونور» لأتمكن من تقبيل ساجان ليس خيانة بالضبط، على اعتبار أن «أونور» و»ساجان» لا يتواعدان. ولكن كيف كان من المُفترَض أن أعرف؟ أونور لا تُخبرني بأي شيء! يجب أن تعرف الأخت من تواعد أختها التوءم! لكنكم تغمرونني بأسراركم، ثم تتوسَّلون إليَّ جميعًا للحفاظ عليها!

مثل السر الذي أحفظه لأونور. إنها في الخارج مع رجلٍ ما الليلة، وربما عارية معه على فراش الموت.

هل يُمكننا من فضلكم التعامُل مع هذا؟

هل يُمكننا من فضلكم مناقشة هوس أونور بالمرضى الميئوس من شفائهم؟

لماذا يحدث ذلك؟

لماذا لم تخضعها للعلاج النفسي يا أبي؟

من الذي يسعى بكامل قواه العقلية إلى الحصول على الحُب من الأشخاص المُحتضرين؟

أونور، مِن أختٍ إلى أخرى، احصلي على بعض المساعدة. أنت تحتاجينها بشدة.

من نسيتُه؟ موبي؟ بالتأكيد لا. لكني فقط أتمنَّى أن يُنقذ أي شخص هذا الطفل من عائلتنا قبل فوات الأوان.

ساجان، ليس لديَّ أي شيء سلبي لأقوله عنك. من المُحتمل أنك الشخص العاقل الوحيد الذي يعيش في هذا المنزل. أعتقد بطريقةٍ ما أن هذا هو عيبك. لديك بالفعل خيار المغادرة، ولكن لسببٍ ما، تريد البقاء مع العائلة الأسوأ في تكساس. هل عائلتك بهذا السوء؟ هل هذا هو السبب وراء عدم مقابلتك لشقيقتك؟ لأنك كنت ذكيًّا بما فيه الكفاية للهرب بعيدًا عنهم؟

حسنًا، كان هذا مُمتعًا. أعتقد أنني أشعر بتحسُّن الآن لأن كل أسراركم لم تعد مسئوليتي. في المُستقبل، احتفظوا بأسراركم لأنفسكم لأنني لا أهتم.

سأقولها مرةً أخرى لزيادة التأكيد..

أنا...

لا.

أهتم..

بإخلاص،

ميريت

ألقيتُ بالقلم على الورقة.

يا له من شعور جيدٍ، جيد جدًّا! أشعر أنه قد تمَّ رفع الثقل عن كاهلي، وأنه وُزع بالتساوي على كل فردٍ من هذه العائلة. أو على الأقل سيحدث هذا عندما أصنع نُسخًا من الرسالة للجميع.

إذا كان شعوري بهذه الروعة بمجرد كتابتها، فلا أستطيع أن أتخيَّل مدى روعة تسليمها إليهم. مزقتُ الصفحات المكتوبة من الدفتر ثم حاولتُ النهوض من على الأرض، كان عليَّ التمسّك بخزانة ملابسي لأستطيع النهوض. ضحكت لأنني أخيرًا شربتُ ما يكفي لتجميد كل مشاعري. أو ربما الرسالة التي كتبتُها للتو هي ما فعلت. في كلتا الحالتَين، أعتقد أنني أُحب التكيلا. أشعر بشعورٍ عظيم. أُحب ذلك كثيرًا. شربتُ ما تبقى من الزجاجة قبل أن أتوجَّه إلى مكتب أبي لنَسخ الرسالة.

لم أزعج نفسي بالطَّرق على الباب. سمعت باب يوتاه يُغلَق في وقتٍ سابق، لذلك أعلم أنه لم يعُد بالداخل مع لاك. عندما فتحت الباب، رأيتُهُ يعبث بهاتفه. لم يبدُ سعيدًا لرؤيتي. صاح: «ماذا تريدين؟»

ـ «لا شيء منك.» قُلتها واتجهتُ إلى الجانب الآخر من الغرفة. أكملت: «أحتاج إلى استخدام آلة التصوير.»

تنهَّد لاك واتكأ على الجزء الخلفي من سرير الأريكة. وضعتُ الصفحة الأولى على آلة التصوير وضغطتُ الرقم 7. يوجد تسعة أشخاص في هذا المنزل، لكن موبي لا يستطيع القراءة، وأنا أملك النسخةَ الأصلية. ضغطتُ على زرِّ النسخ ثم استدرتُ لمواجهة لاك.

ـ «هل هناك أحدٌ لم تُمارس معه الجنس على هذه الأرض غيري؟»

ـ «هل أنت سكرانة؟»

فتحتُ آلة التصوير ووضعت الصفحة الثانية على ظهرها. ثم ضغطتُ على زرِّ النسخ مرة أخرى. قلت: «نعم. إنها الطريقة الوحيدة التي يُمكنني من خلالها التعامل مع هذه العائلة يا لاك. العائلة التي اخترتَ الانتقال للعيش معها.» استدرتُ ونظرت إليه مرة أخرى، هذه المرة بارتباك. سألته: «لماذا تختار عن طِيب خاطر العيش هنا؟»

لم يُجبْني لاك. نظر مرة أخرى إلى هاتفه وعاد إلى إرسال الرسائل النصية. سألني: «هل أوشكتِ على الانتهاء؟»

وضعتُ الصفحة الأخيرة على آلة التصوير: «نعم. كدتُ أنتهي.» ألقيتُ نظرة على الجانب الآخر من آلة التصوير ورأيتُ دفتر لاك البالي الذي يحوي كل إنجازاته. ألقيتُ نظرةً ثانية عليه وهو لا ينظر إليَّ. قلبتُ الصفحة الأخيرة وبالتأكيد، رأيت اسمي مكتوبًا.

.5332 م. ف، سريرها، ع غ م

لقد حصلت على ع غ م كبيرة. أي «عملية غير مُنتهية»

قلت: «هل سأحصل على الأقل على كأسٍ للمشاركة في هذا؟» رأى لاك الدفتر في يدي. فقفز من سرير الأريكة وخطفه منّي. ثم عاد إلى السرير. قذفتُه بالقلم قائلة: «هاك. لا تنسَ كتابة الأحرف الأولى من اسم يُوتاه. رقم 333 المحظوظ.»

عندما انتهت الناسخة، جمعتُ كل الصفحات وأخرجت النسخة الأصلية.

صاح بغضب: «اذهبي إلى غرفتك».

التقطتُ دباسة الورق. وأشرتُ له بها بينما أخرُج من غرفته قائلة: «لقد أحببتُك أكثر قبل أن أعرفك جيدًا.»

أغلقتُ الباب وعُدت إلى غرفتي. وضعتُ كل الصفحات على الأرض ولكنني اضطررتُ إلى التوقُّف للحظة حتى تستقر رؤيتي قبل أن أتمكن من وضعها بالترتيب الصحيح. بدأتُ في جمع الصفحات معًا. انتهيتُ من تدبيسها جميعًا تقريبًا عندما طرق شخصٌ ما بابي.

صحت: «ابتعد!» زحفتُ إلى الباب وأغلقتُه قبل أن يتمكن أي شخصٍ من فتحه.

ـ «أونور.»

إنه ساجان. صوته يجعلني أجفل. على ما يبدو، لم أشرب ما يكفي من التكيلا لتخفيف هذا الشعور.

ـ «أنا نائمة.»

ـ «نورك مضاء.»

ـ «نورك مضاء!»

لم يردَّ عليَّ. ففرحت، رغم أنني لم أفهم حتى ما يَعنيه ردِّي هذا. وبعد ثوانٍ قليلة سمعتُ باب غرفة نومه يغلق.

أغمضت عينيَّ لمنع الغرفة من الدوران. وضعت رأسي على الأرض. شعرت بدوار شديد لدرجة أنني لم أستطع الاستمرار في الجلوس هكذا. بمجرد أن أغمضتُ عينيَّ، سمعتُ صوت رسالةٍ نصية تصل إلى هاتفي. وضعتُ يدي على سريري وبحثتُ عنه حتى وجدته.

*أونور: ماذا حدث؟*

لقد حدث الكثير خلال الساعتَين الماضيتَين، لا أعرف حتى ما تُشير إليه.

*ميريت: ماذا تقصدين؟*

*أونور: أرسل لي ساجان رسالةً نصية وطلب منِّي توخي الحذر عند العودة إلى المنزل. لماذا يعرف أنني لستُ في المنزل؟*

*ميريت : حسنًا.. من الصعب جدًّا الكذب عليه. إلى جانب ذلك، لِمَ تهتمِّين؟ إنه ليس صديقك الحميم.*

*أونور: أهتم لأنني كذبتُ عليه وبفضلك أصبح الآن على عِلمٍ بذلك. ذكريني ألا أطلب منك أن تُغطي غيابي في المستقبل!*

*ميريت: حسنًا. لا تطلبي مني ذلك في المستقبل.*

هل من الطبيعي أن يكره الإنسان عائلته إلى هذا الحد؟

وجدتُ زجاجة التكيلا لكنها لا تزال فارغة. لم يُساعدني هذا كثيرًا لأنني ما زلتُ أشعر بالاستياء. تعثرت في طريقي إلى المطبخ وفتحتُ كل خزانة، لكن لم أتمكن من العثور على المزيد من الكحول. فتحت الثلاجة، ووجدتُ الشيءَ الوحيد الذي يمكن أن يُساعدني في تخدير ما يحدُث في صدري الآن، ثلاث علب من البيرة. أمسكتُ بكل العُلَب وأخذتها إلى غرفة نومي. انزلقتُ مرة أخرى إلى الأرض وفتحت أول علبة وأنا أُحدق في الرسالة التي كتبتُها.

هل يجِبُ أن أسلِّمها إليهم؟

على الأغلب لا. لن تمنحهم سوى المزيد من الأسباب ليكرهوني. لن يشعروا بالأسف عليَّ بعد قراءتها، بل سيغضبون منِّي لأنني أفشيتُ كل أسرارهم.

أنهيتُ أول علبة من الجعة وآلَمَتني معدتي بالفعل، ورغم ذلك، لم تُخفف الضغط في صدري. هل تعرف كيف يبدو هذا؟ يبدو الأمر مثل اليوم الذي قررتُ فيه التوقف عن الذهاب إلى المدرسة. كنتُ أسير في الكافتيريا عندما أمسكَتْ ميليسا كاسيدي بذراعي وقالت: «أونور العزيزة، تعالَي إلى هنا. لن تُصدقي ما اكتشفتُه!» سحبتني حوالي خمسة أقدام إلى طاولتها، حيث كانت أونور جالسة بالفعل. نظرتْ إليَّ ثم إلى أونور وقالت: «أوه. آسفة. اعتقدتُ أنك أونور.» تركت ذراعي وعادت إلى الطاولة وبدأت تهمِس في أذن أونور.

لقد وقفتُ هناك أحدق في أونور. أونور التي أحبَّها الجميع، على الرغم من أنها من آل فوس. أراد الجميع قضاء الوقتِ معها وأن يكونوا أصدقاءها، أما أنا، فمجرد شخص ثانوي. الأخت التوءم المُتطابقة بلا شيءٍ لتُقدمه. بلا شيء مُميز. لم تكن هناك فتاة واحدة على تلك الطاولة تفضل أن تكون صديقتي أنا وليس أونور.

لم يحدُث شيء فظيع جعلَني أرغب في ترك الدراسة في ذلك اليوم. لم أتعرَّض للتنمُّر مطلقًا في المدرسة، على الرغم من أن الجميع يملكون آراءً بغيضة حول عائلتنا. كنت فقط مجرد فتاة أخرى.

أُقرر الانعزال عنهم، فلا يسأل عليَّ أحد، ثم أقرر الانضمام إلى جلسات أونور وأصدقائها، فلا يعترض أحد أيضًا. كنتُ أخت أونور التوءم، ولم يكونوا وقِحين معي. بل كانوا غير

مُباليين. وأعتقد أن لامبالاتهم أزعجتني أكثر مما لو كرهوني.

كان الأمر كما لو أن سبعة عشر عامًا من الإنكار صفعتني على وجهي في تلك اللحظة في الكافتيريا. ستلاحظ المدرسة بأكملها إذا تغيبَتْ أونور عن الحضور. ولكن إذا اختفيتُ أنا، فإن الحياة سوف تستمر. مع أو بدون ميريت.

في الواقع، تلقيتُ رسالتَين نصيتَين من أصدقائي في صفِّي، يسألونني عن سبب غيابي عن المدرسة لمدة أسبوعين.

رسالتَين..

هذا كل شيء..

وهذا سببٌ آخر لبقائي في المنزل. لكني لسببٍ ما اعتقدتُ أنني أرغب في البقاء في المنزل أكثر من الذهاب إلى مدرسة لا يُهمني فيها أحد، ثم أدركتُ أنني أكره المنزل أيضًا. لا أهتم بأحدٍ هنا أيضًا. إذا تركتُ البيت، كما تركتُ المدرسة، فستستمر حياة الجميع.

مع أو بدون ميريت.

تجرعتُ علبة الجعة الثانية، وبمجرد أن فرغت، ألقيتُ بها على باب غرفة نومي. «بدون ميريت» همستُ لنفسي، «هذا سوف يُلقنهم درسًا.»

بعد ذلك، فعلتُ ما أفعله دائمًا. تصرفتُ دون تفكير. عفويتي ستكون الشيء الوحيد الذي سأفتقده في نفسي. زحفتُ إلى الخزانة وأمسكتُ بحذائي الأسود. أخرجت زجاجة الحبوب المسروقة وفتحتُ الغطاء. تناولت علبة الجعة الثالثة بيدَين مرتجفتَين، حتى إن الأمر استغرق منِّي ثلاثَ محاولات لفتحِها.

نظرتُ إلى علبة الجعة في يدي اليسرى وزجاجة الحبوب في يدي اليُمنى. لم أفكر في الأمر حتى. دسستُ بعض الحبوب في فمي ثم حاولتُ بلعَها. لكن عددها كان كبيرًا فاضطررتُ لبصقها مرة أخرى في راحة يدي. ثم أرخيتُ حلقي وحاولت مرة أخرى. تمكنت من ابتلاعها هذه المرة، فأكملتُ ابتلاع بقية الحبوب على مرات. لا أستطيع ابتلاع إلا ثلاث أو أربع حباتٍ في المرة الواحدة، لذلك تطلَّب الأمر مني شُرب علبة الجعة بأكملها لتسهيل العملية.

رميتُ العلبة الفارغة جانبًا ثم أمسكت بنُسَخ رسالتي كلها. أمسكت بقلَمٍ وتصفحت كل نسخة قبل أن أضيف كلمة «بدون» إلى اسمي. مع خالص التقدير، بدون ميريت.

بعدما انتهيت، بدأت بغرفة ساجان، لأنها الأقرب إليَّ. دسستُ نسخة رسالتي أسفل بابه. ثم واصلتُ السير في الردهة حتى سلمتُ نسخ يوتاه ولاك، وأونور. لم أزعج نفسي بالنزول إلى القبو لتسليم نسخة أمي، فتحتُ الباب وألقيتُ بها أسفل الدَّرَج. إذا بقِيَت أعلى الدرج، فلن تراها أبدًا. وصلتُ إلى القطاع الثالث ودفعتُ النسختَين الأخيرتَين أسفل باب غرفة نوم أبي وفيكتوريا.

في طريق عودتي إلى القطاع الأول، لاحظتُ وجود ورقة على الأريكة لم تكن موجودة من قبل. بين التظاهُر بكوني أونور وتقبيل ساجان، لم ألحظ أنني أجلس على ورقة.

كانت مقلوبة لكني عرفتُ فورًا أنها رسمة لساجان، التقطتُها وهرعتُ إلى غرفة نومي. أغلقت الباب وجلست على سريري. لا أعرف ماذا رسم، لكنه كتب في أسفل الصفحة الخلفية:

«القلب < الذبيحة.»

غطيتُ فمي بيدي وأنا أقلب الورقة. ارتعشَتْ أصابعي على شفتيَّ بينما أستجمِع شجاعتي لأنظر إلى ما رسمه.

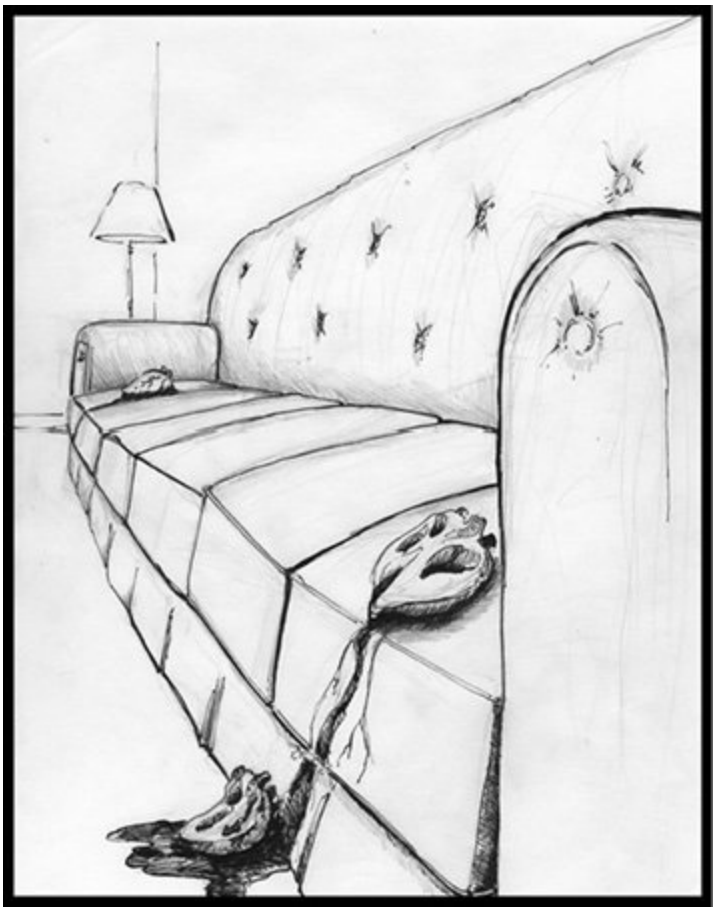

ارتجفتُ عندما رأيت ذلك. لففتُ ذراعيَّ بإحكام حول معدتي. قلبان على طرفي الأريكة. قلب كامل، والآخر مشطور إلى نصفَين.

أيهما قلبي؟

شعرت بالاختناق. أسقطتُ الرسمة وشاهدتها وهي تطفو على أرضية غرفة نومي. سقطت فوق زجاجة الحبوب الفارغة. حدقت في كلمة الذبيحة.

الذبيحة.. موت.. ميت..

سقطت على الأرض وضممتُ ركبتيَّ إلى صدري وعانقتُهما. أغمضتُ عينيَّ وحاولتُ ألا أدع نفسي تغيب.

لا أريد أن أفقد الوعي..

بدأت الدموع تنهمر من عينيَّ، مهما أحكمت إغلاقهما. بدأت شفتي السُّفلية ترتعش أكثر من يدي.

لا أريد أن أموت..

ضممتُ ركبتيَّ إليَّ أكثر..

لا أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك. ماذا لو كان الموت أسوأ من الحياة؟

صرختي الخائفة تحولت إلى نهَجَان. وضعتُ يدي على فمي.

«لا لا لا لا لا.» امتلأ صوتي بالذُّعر بينما أستبين حقيقة ما فعلته. إذا استلقيتُ هنا لثانيةٍ واحدة، فقد لا أتمكن من فعل أي شيءٍ حيال ذلك. سحبتُ نفسي إلى وضعية الجلوس. أمسكتُ بمرتبتي وحاولتُ منع الغرفة من الدوران لفترة كافية للوصول إلى باب غرفة نومي.

ماذا فعلت؟

سقطتُ على ركبتيَّ بمجرد أن فتحت باب غرفة نومي. لستُ متأكدة من قدرتي على الوقوف مرةً أخرى، لذا زحفت. زحفتُ إلى الحمام. رفعت نفسي لأعلى وفتحت الباب وزحفت إلى المرحاض. دفعت أصابعي إلى أسفل حلقي.

لا شيء..

لا أعتقد أنني بكيتُ بهذه القوة من قبل. لا أستطيع إصدار صوت، لا أستطيع الصراخ، لا أستطيع التنفُّس، لا أستطيع التنفُّس، لا أستطيع التنفُّس..

حاولتُ دفع نفسي للتقيؤ مرةً أخرى، لكن دون جدوى. في كل مرة أصل إلى مؤخرة حلقي، ترتد أصابعي ولا تعمل، لا تعمل، لا تعمل!

«ساعدوني.»

صيحتي مثيرة للشفقة. صوتي مُثير للشفقة من خلال دموعي، وهذه هي الطريقة التي سأموت بها. على أرضية حمَّامي، تاركة ورائي ما على وشك أن يُصبح أبشع رسالة انتحار كتبَها أي شخصٍ على الإطلاق.

هذا لا يحدث. هذا حلم. أنا أحلم. من فضلك يا الله أريد أن أستيقظ. «من فضلك يا الله» همست. «لن أشرب الخمر مرةً أخرى، ولن أسرق مرةً أخرى، ولن أكتب رسالة أخرى مرةً أخرى، فقط من فضلك، من فضلك، من فضلك.» تمكنتُ من الزحف إلى باب الحمام. غرفة يوتاه هي الأقرب. حاولتُ فتح بابه لكنه مُغلق. بدأت الضرب عليه بقبضتيَّ. «يوتاه!» حاولتُ مرة أخرى. أعلم أن صوتي ليس مرتفعًا بما يكفي، لكني آمُل أن يسمعني أطرق

الباب. جثوتُ على يديَّ وركبتيَّ، شعرت بدوار شديد لدرجة أنني لم أستطيع الوصول إلى باب شخصٍ آخر. لا أعرف كم من الوقت يستغرق عمل الحبوب، لكن لم يمضِ وقتٌ طويل منذ أن تناولتُها. خمس دقائق؟

انفتح باب يوتاه. داس بقدمَيه على الرسالة التي تركتُها له. لم يلحظها حتى، لأنه انحني صائحًا: «ميريت؟» جثا على ركبتَيه، وأمسك بفكَّي، ورفع وجهي إلى وجهه. استطعتُ أن أشعر بالدموع والمُخاط واللعاب في جميع أنحاء وجهي، لكنه لم يبالِ بكل ذلك. مسح وجهي بطرف قميصه وسألني: «ماذا بك؟ هل أنتِ مريضة؟»

هززتُ رأسي وأمسكت بذراعَيه ناظرةً إليه بيأس: «يوتاه، لقد أخطأت.»

ـ «هل أنت سكرانة؟»

«الحبوب» قلت وأنا أذرف المزيد من الدموع. «تناولتها، لم أكن أفكر يا يوتاه لم أكن أفكر». سمعتُ بابًا آخَر يُفتَح وبعد ثوانٍ، كان ساجان بجوار يوتاه.. خفتُ أن أموت في تلك اللحظة.

ـ «أي حبوب؟ ميريت، ماذا تقولين؟»

أسندت نفسي إلى الحائط، هززتُ يديَّ لأكتشِف بذُعر أنهما مُخدرتان. قلت: « أمي! تناولتُ مسكنات الألم الخاصة بأمِّي! ابتلعتُها كلها.»

نظر يوتاه إلى ساجان غير قادرَين على استيعاب ما أقول! ثم دفع ساجان يوتاه صائحًا: «اذهب واتصل بـ 911!» أمسك بمؤخرة رقبتي ودفعني للأمام، ثم أدخل إصبعَين في فمي. حاول جسدي أن يرفضهما لكنه لم يهتم، واصل دفعهما في حلقي حتى تقيأت. تقيأتُ في جميع الأنحاء، في كل مكانٍ حولي. لم أستطع إبقاء عينيَّ مفتوحتَين أكثر من ذلك.

ـ «كم حبةً ابتلعتِ يا ميريت؟»

هززتُ رأسي. لا أعرف.

«كم حبة ابتلعت؟» بدا صوته مذعورًا، تمامًا مثل نبضات قلبي.

ظل يسألني عن عدد الحبوب التي ابتلعتُها. لا أستطيع التذكُّر. كم كان لديَّ؟ لقد سرقت ثمانيَ تلك الليلة. أضفتُها إلى العشرين التي سرقتُها من قبل. همست: «ثمانية وعشرون».

«يا للمسيح يا ميريت.» عادت أصابعه إلى فمي، لتضغط على الجزء الخلفي من حلقي. الضغط القادم من داخلي دفعني إلى الأمام لأتقيأ مرة أخرى. استطعتُ سماع صراخ يوتاه في الهاتف، وقف لاك في الردهة، وسمعتُ بكاء موبي، ثم صوت أبي يقول: «ماذا يحدث؟ ما الذي يحدث بحق الجحيم؟»

فتحتُ عينيَّ فرأيت ساجان يَعُدُّ بصوتٍ هامس وسريع ومحموم: «اثنان وعشرون، ثلاثة وعشرون، أربعة وعشرون.. «كان جاثيًا على الأرض يتفحَّص ما خرج مني للتو، وكان صوته يرتجف: «خمسة وعشرون، ستة وعشرون، سبعة وعشرون.» ثم صرخ: «ثمانية وعشرون!»

قال والدي: «خُذها إلى الأريكة».

حملني ساجان وأرقدني على الأريكة، كنتُ ما زلت أشعر بالدوار، وما زلتُ أشعر بالرغبة في التقيؤ مرةً أخرى.

ركع يوتاه أمامي وهو لا يزال يتحدَّث في الهاتف: «ماذا أخذت؟» جلبت لي فيكتوريا قطعة قماش مُبللة. أخذها ساجان منها ومسح وجهي. ـ»ميريت، إنهم بحاجة إلى معرفة نوع الحبوب التي تناولتها.»

قال أبي: «هي تناولت الحبوب؟» كان يسير ذهابًا وإيابًا خلفهم. بينما يقِف لاك واضعًا يدَه على فمه.

سألني ساجان: «ماذا كانت؟» مشَّط شعري للخلف وبدا مذعورًا تمامًا مثل أبي. ومثل يوتاه. وفيكتوريا. ولاك. حتى موبي بدا مذعورًا وهو يلفُّ ذراعَيه حول رقبة فيكتوريا.

ـ «ماذا يحدث هنا؟»

نظر الجميع إلى أونور وهي تدخل من الباب الأمامي وتُغلقه خلفها.

ـ «أين كنت؟» سار أبي نحو أونور صائحًا. ثم توقف وهزَّ رأسه. قال وهو يُغير رأيه ويتجه نحوي: «سأتعامل معك لاحقًا. ميريت، ماذا أخذت ؟» إنه يحوم فوقي الآن. كلهم يحومون فوقي.

ساجان: «لقد تَقيأتْها كلَّها.»

أبي: «ولكن ماذا كانت؟»

فيكتوريا: «ربما الأسبرين.»

يوتاه: «قالت إنها سرقتها.»

أونور: «ماذا يحدث هنا؟»

لاك: «ابتلعَتْ ميريت الحبوب.»

فيكتوريا: «هل رأيتَ هذا يا بارنابي؟»

أبي: «ليس الآن يا فيكتوريا.»

ساجان: «ماذا أخذتِ يا ميريت؟»

فيكتوريا: «أنتَ بحاجة لقراءة هذا يا بارنابي!»

أبي: «فيكتوريا، من فضلك!»

يوتاه: «ميريت، ماذا كانت؟»

أنا: «حبوب أُمي.»

سألني أبي: «هل تناولتِ حبوب أُمك؟» قال هذا وهو يتَّكئ على الأريكة من خلف رأسي. ر أيتُ ه من مكاني رأسًا على عقب، لأول مرة ألاحظ مدى شبَه موبي به. سأل م رة أخرى:»حبوب أمك الطبية؟» أومأت، فزفر أبي قائلًا: «لا بأس. لا بأس، لن يحدث لها شيء.» أخذ الهاتف من يد يوتاه ودخل المطبخ للتحدُّث إلى موظف النجدة: «مرحبًا؟ مهلًا، مهلًا، ماري. نعم، أنا بارنابي. نعم، لا بأس. إنها بخير.»

لا بأس. إنها بخير.

أنا بخير..

كيف يعرف إذا كنتُ بخير؟ إنه لا يعرف حتى نوع الحبوب التي تناولتها. أعتقد أن الأمر لا يهمُّ في هذه المرحلة لأنها تقبع في كومة من القيء على أرضية الردهة.

سألني ساجان: «هل تشعرين بتحسُّن؟» أومأتُ فقال: «سأحضر لك بعض الماء.»

أغمضتُ عينيَّ. كل شيء يهدأ الآن. قلبي يهدأ. الضجة تهدأ. أنفاسي ثابتة. لا بأس. إنها بخير.

أنا بخير.

«هل هذا صحيح؟» إنه صوت فيكتوريا. فتحت عينيَّ وهي تُمسك بالصفحات التي قمتُ بتدبيسها معًا. ثم تنظر إليهم. تعبيرها ليس جيدًا.

لم أعُد بخير..

شعرتُ بالضغط على معدتي، وكأنني أريد التقيؤ مرة أخرى.

ـ «ميريت. هل كتبت هذا؟»

أومأت، تمنيت لو تشعر بالحرج من خيانة أبي لها، وتجمع كل الرسائل قبل أن يقرأها أي شخصٌ آخر. سارت خطوةً نحوي. لكنها لم تبدُ غاضبة على الإطلاق، على الرغم من أنني كتبتُ في الرسالة أن أبي يخونها. بدت.. حزينة.

نظرت إلى يوتاه: «هل فعلتَ هذا فيها؟»

نظر يوتاه إليَّ ثم إلى فيكتوريا: «فعلتُ ماذا لِمن؟»

سارت فيكتوريا نحو يوتاه وضربته بالرسالة في صدره. تركتها له ثم سارت حتى وصلت إلى المطبخ مع أبي. نظرت إلى يوتاه وهو يُحدق في الصفحة الأولى من الرسالة. عاد ساجان مع الماء. قال: «هيا، اشربي هذا.» ساعدني على الجلوس وحاول أن يجعلني أشرب، لكنني لم أستطع أن أرفع عينيَّ عن يوتاه. دفعت بالكوب بعيدًا وهززتُ رأسي.

وذلك عندما رأيت..

دمعة..

نظر يوتاه إلى أعلى الصفحة الأولى من الرسالة، والدمعة تسيل على خده. لا يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كان الذنب أو الخوف ما أدَّى إلى إراقة دموعه. أسقط الأوراق وخلَّل أصابعه في شعره. بالطبع لم يتواصل معي بالعين.

سمعتُ سارينة الإسعاف قادمة من بعيد. قال أبي عبر الهاتف: «شكرًا يا ماري». ثم أنهى المكالمة وفيكتوريا تهمس له بشيء. أشارت إلى يوتاه، ثم إليَّ، ثم إلى الرسالة المُلقاة عند قدمَي يوتاه. نظر أبي إلى يوتاه. وسار إلى غرفة المعيشة بينما يقترب صوت سارينة سيارة الإسعاف في اتجاهنا. التقط الرسالة من الأرض وبدأ بالقراءة. دقيقة واحدة. دقيقتَين. ويوتاه مُتجمِّد في مكانه. سمعنا طرقًا على الباب لكن أبي تجاهله.

«أبي» همس يوتاه.

رفع أبي نظره عن الرسالة، والتقت عيناه بعينَي يوتاه ثم عينيَّ.

طرْق آخر على الباب... ولكمة..

«يا أبي، من فضلك» قال يوتاه. «أستطيع أن أشرح.»

ضربة أخرى..

لكمة..

صرخات أونور..

سقط يوتاه على الأرض وأبي يقف فوقه. أشار إلى الباب وقال له كلمة واحدة.

«غادر البيت»

ساعدت أونور يوتاه على النهوض وهي تنظر إلى أبينا ثم صاحت: «ماذا أصابك بحق الجحيم!؟»

بمجرد وقوف يوتاه، استدار واتجه نحو غرفة نومِه. تبعه أونور ولاك. وفتح ساجان الباب الأمامي ليسمح للمُسعفين بالدخول.

قال لهم أبي وهو يُشير نحوي: «إنها بخير». «لقد ابتلعت بعض الحبوب، لكنها كانت مجرد حبوب دواءٍ وهمي.. بلاسيبو»

حبوب دواء وهمي..؟

لماذا كانت حبوب دواء وهمي؟

مرَّت الدقائق العشر التالية في حالة من الضبابية بينما يقصفني المسعفون بالأسئلة، ويفحصون ضغط دمي، والأكسجين، وعيني، وفمي. «ربما لن يضر السماح لنا بأخذها طوال الليل»، سمعتُ أحد المُسعِفين يهمس في أذن أبي. «وإلا، علينا أن نبلغ الأخصائي الاجتماعي بما حدث. سيكون عليه المتابعة.»

أومأ أبي برأسه واقترب منِّي. ركع بجواري، ولكن قبل أن يقول أي شيء، أجبرتُه على القيام قائلة: «أنا بخير. لا أريد الذهاب إلى المستشفى.»

ـ «ميريت، أعتقد أنه يجب عليك...».

ـ «لا أريد أن أذهب»

قلتُها بحسمٍ فأومأ برأسه. لم أسمع ما قالَه عندما عاد إلى المُسعف، لكن الرجل ضغط على كتف أبي. يبدو أنهما يعرف كلٌّ منهما الآخر. بالطبع يفعلان. إنها مدينة صغيرة. وبما أنه

يعرف أبي، فسوف يُخبر زوجته، ثم ستُخبر زوجات أصدقائهم، ثم سيُخبر أصدقاؤهم جميع بناتهم، وبعد ذلك ستعرف المدينة بأكملها أنني حاولتُ قتل نفسي.

بحبوب دواء وهمي..

لماذا تتناول أُمي حبوب دواء وهمي؟

بمجرد أن خطرَت هذه الفكرة في ذهني، ظهرت أُمي أعلى درجات سُلم الطابق السُّفلي. كان الباب مفتوحًا وهي تنظر إليَّ عبر الغرفة: «هل أنت بخير؟» بدأتْ في اتِّخاذ خطوةٍ نحوي، لكنها نظرَت إلى قدمِها عندما لامست الأرضية الخشبية وسرعان ما عادت إلى الدرجة العُليا من الطابق السُّفلي.

قال أبي لأمي: «كل شيء على ما يُرام يا فيكي». ألقيتُ نظرة سريعة على فيكتوريا وهي تسير نحو غرفة نومِها مع موبي. لا يمكنها حتى أن تكون في نفس الغرفة معها. أتساءل عما إذا كانت قد قرأت الرسالة بأكملها. هل تعلم أنهما ما يزالان ينامان معًا؟

«ماذا حدث؟» سَأَلت أمي.

أدفع نصف عمري مُقابل أن تأتي إليَّ وتُعانقني. عمري كله. إنها تعلم أن شيئًا سيئًا قد حدث وإلا لما فتحت باب الطابق السُّفلي. ومع ذلك، فهي مُهتمة بعدم مغادرة الطابق السفلي أكثر من اهتمامها بي. نظرتُ إلى يدي. كنتُ أرتجف، وشعرت وكأنني على وشك التقيؤ مرة أخرى.

قال لها أبي: «سأشرح لك كل شيءٍ بعد قليل». «حاوِلي أن تحصلي على قسطٍ من النوم، حسنًا؟» سمعت باب الطابق السفلي يُغلَق. لم أحصل على عناقٍ مِن أمي.

«أبي» همست، وأنا أنظر إليه متوسِّلة. «لقد ألقيتُ رسالة في الطابق السُّفلي. هل يمكنك من فضلك جلبها قبل أن تقرأها؟»

أومأ برأسه وتوجَّه إلى الطابق السُّفلي دون سؤال.

«ميريت!» صرخت أونور. نظرتُ للأعلى في الوقت المناسب لرؤيتها تسير في الردهة، وهي تحمِل رسالتي في يدِها. ركضتْ عبر القطاع الأول بسرعة وكأنها على وشك مهاجمتي، لكن ساجان اعترض طريقَها وأمسك بذراعَيها. حاولَتِ التخلص من قبضته، ولكن عندما أدركَتْ أنه لن يسمح لها بالمرور، قذفت الأوراق في وجهي. صرخت: «أنت كاذبة!» بكت فأدركتُ

فجأة أننا لسنا جذَّابتَين على الإطلاق عندما نبكي. أنا أكره أنني كنتُ أفعل ذلك خلال الساعتَين الماضيتَين.

شعرت وكأنني أشاهد فيلمًا. لم أشعر أنني داخله، أعيشه، بل أتابعه من الخارج دون أن أُضطر لأن يصبَّ عليَّ الجميع غضبهم. أنا لم أرد حتى عليها لأنني شعرت بالانفصال عنها وعنهم.

قال ساجان وهو يبعدها عني: «ليس الآن يا أونور».

«هذا ليس صحيحًا!» صرخت أونور. «أخبرهم أن هذا ليس صحيحا! يوتاه لن يفعل شيئًا كهذا أبدًا!

تابعت كل شيءٍ وهو ينكشف بينما ظللتُ مُستلقية على الأريكة ملفوفة ببطانية. عادت فيكتوريا، لكن موبي لم يعُد معها. اتجهت أونور نحوها ونحو أبي وهي تصرخ: «لا يمكنك إجباره على المُغادرة، إنها تكذب!»

نظرت فيكتوريا إلى أبي: «لا يمكنك ترك هذا الأمر يمرُّ يا بارنابي.»

أونور: «اهتمي بشئونك الخاصة!»

أبي: «أونور»

أونور: «اسكت!»

أبي: «اذهبي إلى غرفتك! اذهبوا جميعًا إلى غرفكم!»

يوتاه: «ماذا عني؟ هل يُمكنني العودة إلى غرفتي؟»

أبي: «لا. أنت ستغادر البيت. أما الجميع فإلى غرفهم.»

أونور: «لو غادر البيت سأُغادر معه.»

أبي: «لا. أنتِ ستظلِّين.»

لاك: «سأذهب مع يوتاه.»

فيكتوريا: «أنت لن تذهب معه أيضًا.»

لاك: «هل ستُخبريني جديًّا بما أفعله؟ عمري عشرون سنة!»

يوتاه: «ابقَوا جميعًا. لا بأس. أنا بخير. سأذهب.»

أونور: «لماذا تُغادر؟ أنت لم تفعل أي شيء!»

ها هي.. لحظة الحقيقة.. الذروة..

ارتفعت كتفا يوتاه مع شهيقِه الثقيل. ثم سقطت، كما تفعل كل الإمبراطوريات العظيمة في نهاية المطاف. نظر إليَّ عبر الغرفة. حدَّق بي، لكنه لم يستغل الفرصة للاعتراف بذنبه. أو حتى الاعتذار. بدلًا من ذلك، توجَّه إلى الباب بعد أن اتضح أن أبي لن يلين. صوت الباب الأمامي وهو يُغلقه خلفه جعلني أنتفِض.

جلس ساجان ببطء على الأريكة بجواري. فرقع مفاصل أصابعه وكأنه غاضب، لكني لم أعرف ممَّن هو غاضب في هذه العائلة أكثر. ربما منِّي. كان الجميع هادئين حتى قال أبي: «لقد تأخر الوقت. سنُناقش كل شيء غدًا. اذهبوا جميعًا إلى غرفكم.» نظر إلى لاك وأشار إليه: «وأنت ابقَ في غرفتك. إذا رأيتُك في أي مكان بالقُرب من بناتي، سأطردك فورًا. لا بد أنه قرأ بقية الرسالة.

أومأ لاك وتراجع إلى غرفته. حدقت أونور في أبي ويداها مقبوضتَين على جانبَيها: «هذا خطؤك. أنت واختياراتُك المُثيرة للشفقة وأبوَّتُك المُثيرة للشفقة. أنت السبب في فشل هذه العائلة!» ركضت أونور إلى غرفتها وأغلقت الباب.

ظللتُ أنا وساجان وأبي فقط. مرت لحظة بينما يستجمِع أبي شتات نفسه. أخيرًا سار نحوي، وجلس القرفصاء أمامي ليُواجهني قائلًا: «هل أنت بخير؟»

أومأتُ برأسي، على الرغم من أن هذا بعيد عن الحقيقة.

نظر إلى ساجان: «هل تُمانع في مُراقبتها الليلة؟»

ـ «مُطْلَقًا.»

ـ «لستُ بحاجةٍ إلى جليسة أطفال.»

قال أبي: «لستُ متأكدًا من ذلك. أنا بحاجة للذهاب والتعامُل مع فيكتوريا.»

وقف، ولكن قبل أن يتمكن من الابتعاد، قلت: «لماذا تتناول أُمي حبوب البلاسيبو؟»

حدق بي، وآثارُ كلِّ أسراره تتجمع في زوايا عينيه: «أنا ممتنٌّ أنها كانت كذلك يا ميريت».

استدار وشق طريقه إلى المطبخ باتجاه غرفة نومه. ولكن عندما مرَّ بجانب طاولة المطبخ، توقف. أمسك بمؤخرة أحد الكراسي وأطرق برأسه. بقي على هذا الوضع لمدة عشر ثوانٍ

تقريبًا، لكنه بعد ذلك رفع الكرسي عن الأرض وألقاه على الحائط، فحطَّمه إلى أشلاء. ثم أكمل سيره إلى غرفة نومه، وأغلق الباب.

أطلق ساجان أنفاسه في نفس الوقت الذي فعلتُ نفس الشيء فيه. مرَّر يدَيه على وجهه، ظللنا صامتَين. عاجزَين عن الكلام. مرت دقيقة كاملة ونحن نحدق في الأرض حتى قال: «خذي حمَّامًا. ستشعرين بتحسُّن.»

أومأتُ بالموافقة. عندما نهضت، نهض ساجان معي. لاحظ أنني ما زلت أشعر بالدوار، لأنه أمسك بذراعي وساعدَني في الذهاب إلى الحمام. عندما دخلنا، سحب ستارة الحمام والتقط ماكينة الحلاقة. ووضعها في جيبه الخلفي.

ـ «حقًّا يا ساجان؟ هل تعتقد أنني سوف أقطع معصمي باستخدام شفرة الحلاقة؟»

لم يقُل شيئًا. لكنه أيضًا لم يُعِد لي ماكينة الحلاقة. «سوف أنظف الردهة بينما تأخذين حمامك. هل تُريدين البقاء في غرفتي الليلة أم في غرفتك؟»

فكرت للحظة. لست متأكدة من أنني أريدُه في غرفتي، على سريري، حيث حاولت إنهاء حياتي. همست: «غرفتك.»

أغلق الباب وتركني وحدي للاستحمام. ولكن بعد ذلك فتح الباب وعاد إلى الداخل. فتح خزانة الأدوية وأخذ زجاجتي الدواء من على الرفوف.

ـ «بجد؟ ماذا يُمكنني أن أفعل حتى بهما؟ هل سأبتلع ثمانين كبسولة من الفيتامينات؟»

غادر دون رد.

قضيتُ ما لا يقل عن ثلاثين دقيقة في الحمام. لا أفعل أي شيء سوى التحديق في الحائط بينما الماء الساخن يضرب رقبتي. أعتقد أنني في حالة صدمة. ما زلت أشعر بالانفصال عن كل ما حدث الليلة. أشعر وكأنه حدث لشخصٍ آخر.

دخل عليَّ ساجان مرتَين خلالها ليطمئن. لا أعرف كم من الوقت سأستغرق لإقناعه بأن ما حدث الليلة مجرد غلطة. أنا لا أميل إلى الانتحار، لقد كنت في حالة سُكر. لقد فعلتُ شيئًا غبيًا والآن يعتقد أنني في هذا الحمام أحاول التخطيط لطرُق التخلص من نفسي.

لا أريد أن أموت. إذا أردتُ الموت، لم أكن سأذهب إلى يوتاه طلبًا للمساعدة. من هو المراهق الذي لا يفكر فيما سيكون عليه الموت بين الحين والآخر؟ المشكلة الوحيدة عندما فكرتُ في الأمر هي أن تفكيري كان مقترنًا بعفويتي. والكحول. معظم الناس يفكرون فقط في الأشياء من هذا القبيل. ليس أنا. أنا أنفذ فورًا.

سأحتاج إلى كأس كبيرة حقًّا بعد هذه الليلة. ربما يُمكنني العثور على تمثال صغير غير مرغوب فيه لجائزة الأوسكار على موقع eBay.

«ميريت؟» أتاني صوت ساجان المكتوم من الجانب الآخر من باب الحمام.

أدرت عينيَّ وأغلقت الماء: «أنا على قيد الحياة» تمتمت. التقطت منشفة وجفَّفت نفسي. بمجرد أن ارتديتُ البيجامة، عدت إلى غرفة نومه. كان الباب مفتوحًا فأغلقته. أردتُ الانعزال عن العالم الخارجي.

أعدَّ ساجان فراشًا مرتجلًا على الأرض. قال: «يمكنك أن تأخذي السرير».

نظرتُ إلى السرير ولاحظت أنه أحضر وسائدي إلى هنا. فتنهدتُ بارتياح. لا أعتقد أنني أردتُ النوم من قبل أكثر مما أفعل الآن. ألقى نظرة على ساعته فإذا بها قد تجاوزت الثالثة صباحًا. «هل عليك أن تستيقظ مبكرًا؟» سألته وأنا أشعر بالذنب. لقد تأخر الوقت ولا يزال يتعين على الجميع الاستيقاظ والذهاب إلى العمل والمدرسة في غضون ساعاتٍ قليلة. وأنا لا أعرف حتى أين يذهب ساجان كل يوم، سواء كان العمل أو المدرسة. أعرف القليل جدًّا عن الرجل الذي كُلف بمسئولية الحفاظ على حياتي الليلة. شكرًا على ذلك يا أبي.

هز رأسه: «أنا متفرغ غدًا.»

تساءلتُ عما إذا كان هذا صحيحًا أم أنه خائف جدًّا من تركي وحدي. بقدر ما شعرت بالسوء لأنني جعلته يشعر بالقلق، لكنه كان شعورًا لطيفًا، أن يقلق عليَّ.

استلقيتُ على السرير وجذبتُ الأغطية فوقي. فراشه المُرتجل على الجانب الآخر من السرير. أردت أن أبتعِد عنه قدْر الإمكان هذه الليلة. أعرف نفسي جيدًا، وبمجرد أن تنطفئ تلك الأضواء، سأحاول كتم دموعي. كلما زادت المسافة بيننا، كلما كان ذلك أفضل.

ـ «هل تحتاجين إلى أي شيءٍ قبل أن أُطفئ الضوء؟»

كان واقفًا عند الباب ويدُه على المفتاح. هززت رأسي، وقبل أن تنطفئ الأضواء مباشرة، لمحتُ الرسالة التي كتبتُها موضوعة على خزانة ملابسه، مقلوبة على الصفحة الخلفية.

قرأ كل شيء. أغمضتُ عينيَّ وهو يمشي عائدًا إلى فراشه على الأرض. تساءلت عما إذا كان الجميع قد قرأها. غطيتُ فمي بالأغطية بقوة. بالطبع قرءوها. رفعت ركبتيَّ للأعلى وانكمشتُ في وضع الجنين. لماذا كتبتُ هذه الرسالة؟ لا أستطيع حتى تذكُّر كل ما كتبته.

استرجعت الرسالة في ذهني ببطء، فقرةً بعد فقرة. وبحلول الوقت الذي تذكر فيه عقلي كل صفحة، انهمرَتْ دموعي. لففتُ الغطاء حولي وعضضتُه محاولةً كتم تنهُّداتي.

ما زلتُ لا أعرف حتى ما أشعر به، أو إذا كنتُ نادمةً على كتابة الرسالة. شعرت أنني نادمة. ربما ندمتُ على ابتلاع الحبوب، لكن هل أنا نادمة على كتابة الرسالة؟

ربما أنا نادمة على كل شيء.

الشعور الوحيد الذي كنتُ متأكدة منه هو أنني أشعر بالخوف التامِّ والكامل. وهو ما ينبغي أن يكون شعورًا اعتدتُ عليه، لكنه ليس كذلك. لا أعتقد أنه شيء يمكن لأي شخصٍ أن يعتاد عليه.

لا أستطيع تصديق أنني فعلتُ ما فعلته الليلة. أو حتى بالأمس. أتمنَّى أن أعود وألا أترك المدرسة ولم يكن ليحدُث أي من هذا. يا للجحيم، أتمنى أن أعود عدة سنوات إلى الوراء وألا أحظى بتلك اللحظة مع يوتاه. أو ربما كان يجب أن أعود قبل عشر سنوات إلى اليوم الذي ظهر فيه وولفجانج في حياتنا. إذا كنتُ قد قتلت هذا الكلب اللعين، فلم نكن لننتقل إلى هذه الكنيسة. لم يكن أبي ليقابل فيكتوريا. لم تكن أُمي لتُصاب بالجنون وتشعر بالحاجة إلى الاختباء في الطابق السفلي.

دفنتُ وجهي في الوسادة وحاولتُ قدر المستطاع أن أمنع ساجان من سماع صوت نهنهتي.

لكنني فشلت. شعرتُ به وهو يرفع الأغطية وينزلق إلى السرير بجانبي. لف ذراعَه حولي وجذبني من ظهري إلى صدره. وجد يديَّ ما زالتا معقودتَين فوق الأغطية فضغط عليهما. ثم التفَّ حولي حتى التفَّت ساقاه فوق ساقيَّ وضغط ذقنه أعلى رأسي. عانق جسدُه كله جسدي، لا أستطيع حتى أن أتذكَّر آخِر مرة عانقَني فيها شخصٌ ما في هذا المنزل. أحضان موبي لا تُحتَسب لأنه في الرابعة من عمره فقط. والدي لم يُعانقني منذ سنوات. لا أستطيع أن أتذكر

آخِر مرة عانقني فيها يوتاه. أونور وأنا لم نتعانق منذ أن كنَّا صغارًا. أُمي لا تُحب الاتصال الجسدي، لذلك كان عناقها غير وارد منذ أن وصل رهابها إلى ذروته منذ عدة سنوات. الاعتراف بأن هذا هو أول عناقٍ أحظى به منذ سنوات جعلني أبكي أكثر.

شعرتُ بشفتَيه تضغطان أعلى رأسي. همس: «ما رأيك أن أحكي لك قصة؟»

ضحكتُ بطريقةٍ أو بأخرى بين دموعي المُثيرة للشفقة: «قصصك كئيبة للغاية بالنسبة للحظة كهذه.»

حرك رأسه قليلًا حتى ضغط خدَّه على خدي. إنه شعور لطيف. أغمضتُ عينيَّ وهو يقول: «حسنًا إذن. سأُغني لك حتى تنامين.»

ضحكتُ مرة أخرى، لكنني توقفتُ عن الضحك عندما بدأ في الغناء... غناء الراب للدقة..

ـ «أنتم تعرفونني جميعًا، مازلت نفس الشخص...».

قلت ضاحكة: «ساجان».

ـ «لكنني كنتُ أحاول الابتعاد عنكم..»

ـ «توقف.»

لم يتوقف. قضى الدقائق القليلة التالية في غناء كل سطر من أغنية «Forgot About Dre». وعندما نمت، كانت الدموع قد جفَّت على خدي.

# الفصل الحادي عشر

تخيل الفوضي التي يجب أن تختبرها أي عائلة طبيعية في الصباح بعد أن يحاول أحد أفرادها الانتحار. المكالمات الهاتفية إلى المُعالِجين النفسيين والدموع والاعتذارات والمُراقبة وتضييق الخناق والفوضى الهائلة في تفكير الجميع، «كيف حدث هذا؟» و«كيف لم نرَ تلك الإشارات؟»

حدقتُ في سقف غرفة نوم ساجان وأنا واعية في ألَمٍ أن جميع من في المنزل ما عدا ساجان رحلوا منذ دقائق قليلة. افترضتُ ذلك لأني سمعت صوت الباب يُغلَق مرات عديدة دون أن يتعب أحدهم نفسه بتفقُّدي. تساءلت كيف ستكون الحياة وسط عائلة طبيعية. عائلة يُظهر أفرادها اهتمامًا لعينًا بالفعل. وليست عائلة كعائلتنا، حيث يمضي الجميع في يومِهم وكأنني لم أحاول قتلَ نفسي منذ ساعات قليلة. عائلة كعائلتنا، حيث ما يزال أبي يستيقظ ويذهب مباشرةً إلى عمله. عائلة حيث أمي لا تزال ترفض أن تترك القبو. أختي التوءم تذهب إلى المدرسة. وصهري يذهب إلى وظيفته الجديدة. ولا أي أحدٍ ممَّن يُشاركني رابطة الدم يبقى في الجوار ليتأكد من أنني بخير.

أتفهم غضبهم منِّي. قلت بالفعل أشياء كريهة في تلك الرسالة وأعلم أن الجميع قد قرأها ربما لأكثر من مرة، أنا متأكدة. لكن حقيقة أن ساجان هو الوحيد الموجود إلى جواري أثبتت أن لا شيء مما قلتُه في الرسالة أثر بهم. لا يزال الجميع يلومونني.

فور أن جلستُ على السرير سمعت طرقًا على الباب ورأيتُ المقبض يدور. كنت محبطة ـ رغم ذلك مرتاحة نوعًا ما ـ لرؤية أبي يدخل رأسه ليختلس النظر إلى الداخل. سألني: «هل أنت مُستيقظة؟»

أومأتُ وضممتُ ركبتيَّ للأعلي واحتضنتُهما. أغلق الباب خلفه ومشى إلى السرير ثم جلس عليه مترددًا.

ـ «أنا، أمم...» اعتصر فكَّه كما يفعل دائمًا عندما لا يعرف ماذا يقول.

«دعني أخمن» قلت، «تريد أن تعرف إن كنتُ بخير؟ إن كنت لا أزال انتحارية؟»

ـ «هل أنت؟»

ـ «لا يا أبي،» قلتُ مُحبطة، «أنا فتاة اكتشفت أن والدَيها على علاقة غرامية، لذا صببتُ غضبي في الكحول وبعض الحبوب. لا يجعل ذلك منِّي انتحارية، يجعلني مُراهقة.»

تنهَّد أبي بقوة، واستدار ليواجهني: «في كل الأحوال أعتقد أن من الأفضل لك زيارة دكتور كريس. حجزتُ لكِ موعدًا يوم الإثنين القادم.»

يا إلهي!

ـ «هل تمزح معي؟ من بين كل الأشخاص في هذه العائلة تُجبرني أنا على زيارة طبيب نفسي؟» تراجعتُ منهزمة إلى ظهر السرير، «ماذا عن زوجتك السابقة التي لم تر الشمس منذ عامَين؟ أو ابنتك التي تفصلها شعرة عن النيكروفيليا؟ أو ابنك الذي يعتقد أنه لا بأس لو تحرَّش بأختِه جنسيًّا!»

«ميريت، توقفي!» قال مُحبطًا وهو ينهض ويسير بضعة خطوات قبل أن يتوقف. «أنا أبذل كل ما بوسعي، حسنًا؟ لستُ الأب المثالي. أعرف ذلك. لو كنت كذلك ما كنتِ وصلتِ للنقطة التي تُفضلين فيها الموت على الحياة معي.»

استدار إلى الباب، لكنه توقف وواجهني ثانية. تردَّد للحظة ثم رفع عينيه إلى عينيَّ، وقد بدا الإحباط على وجهه، وبصوتٍ أهدأ قال: «أنا أبذل أقصى ما بوسعي يا ميريت.»

أغلق الباب فتراجعتُ في سريري: «نعم، حسنًا. حاوِل بجهدٍ أكبر يا أبي.»

انتظرتُ صوت إغلاق الباب الأمامي قبل أن أعبر الردهة إلى غرفتي. غيرت ملابسي وغسلتُ أسناني في الحمام وبعدها نفذتُ دخولي الكبير إلى القطاع الأول. لا أحد هنا ليُحييني ويُخبرني عن سعادته بأن تلك الأقراص كانت مجرد دواء وهمي.

مشيتُ إلى المطبخ وجلستُ على الطاولة. حدقت في اللافتة بالخارج. لأول مرة منذ سنوات انتقالنا إلى هنا لا يتم تحديثها. حملَتْ نفس الرسالة التي خطها يوتاه بالأمس.

(لو أن كل التاريخ الإنساني يتم ضغطُه في سنة تقويم واحدة، لن يظهر البشر إلا في تاريخ 31 ديسمبر في الساعة 11:00 مساء.)

قرأتها أكثر من مرة حتى أستوعبها. هل البشر فعلا هامشيون إلى هذا الحد؟ هل وُجِدنا فقط لساعةٍ واحدة خلال عام كامل؟

مشى ساجان إلى المطبخ من الباحة الخلفية حاملًا كوبًا من المياه. «صباح الخير.» قال بصوتٍ هادئ. حدقتُ فيه للحظة وبعدها نظرتُ إلى اللافتة ثانية.

ـ «هل تعتقد أن هذا صحيح؟»

ـ «ما الذي أعتقد أنه صحيح؟»

مشى إلى الطاولة وجلس ومعه دفتر الرسم. فأشرتُ برأسي تجاه النافذة قائلة: «ما كتبه يوتاه على اللافتة بالأمس؟»

نظر ساجان خارج النافذة وحدَّق في اللافتة: «ربما لستُ الشخص المناسب لسؤاله. لقد آمنتُ ببابا نويل حتى الثالثة عشر.»

ضحكت، ضحكةً عصبية مُثيرة للشفقة. وبعدها عبستُ لأن الضحك علاج مؤقت للحزن، هذا اختصار لحالتي النفسية المُستمرة مؤخرًا.

وضع ساجان قلمَه الرصاص جانبًا واتكأ على كرسيه. حدق فيَّ بتمعُّن. سألني: «في اعتقادك ماذا يحدث عندما نموت؟»

نظرتُ ثانية للافتة: «ليس لدي أية فكرة. لكن لو أن اللافتة حقيقية وأن البشر حقًّا هامشيون في تاريخ الأرض، يجعلني هذا أتساءل لِمَ يتكبَّد الإله كل هذا العناء ليخلق كونًا كاملًا يدور حولنا.»

التقط ساجان القلَم ووضع نهايته في فمه. لوَّكَه بأسنانه للحظة قبل أن يقول: «البشر كائنات رومانسية. يُطمئنهم الإيمان بأن العليم بكلِّ شيءٍ ومَن لدَيه القدرة على خلق أي شيء وكل شيء يُفضل البشر على سائر المخلوقات.»

ـ «أتدعو ذلك رومانسية؟ أنا أدعوه نرجسية وإيمانًا بتفوُّق العرق.»

ابتسم: «هذا يعتمد على وجهة النظر التي تنظرين من خلالها، أعتقد.»

استكمل الرسم وكأن المحادثة انتهت. لكني ظللتُ عالقة مع الكلمة. وجهة نظر. جعلني ذلك أتساءل إن كنتُ أرى الأشياء من وجهة نظر واحدة فقط. مِلتُ للاعتقاد أن الكثير من الأشخاص مُخطئون معظم الوقت.

ـ «هل تعتقد أنني أري الأشياء من وجهة نظر واحدة فقط؟»

لم ينظر إليَّ وهو يقول: «أعتقد أنك تعرفين عن الناس أقل مما تعتقدينه.»

رغبتُ في الاعتراض على ما يقول، لكني لم أفعل لأن رأسي يؤلِمني ولا يزال أثر السُّكْر من ليلة الأمس يُشتت تركيزي. بالإضافة إلى أنَّني لم أُرِد أن أتجادل معه لأنه في هذه اللحظة هو الشخص الوحيد الذي لا يزال يتحدث إليَّ. ولم أُرد إفساد ذلك. ناهيك عن أنه يبدو حكيمًا وسابقًا لسنِّه ولا قُدرة لي على منافسة عقليته. رغم أنني لا أعرف عمره الفعلي..

ـ «كم عمرك؟»

ـ «تسعة عشر»

ـ «هل عشتَ في تكساس طوال عمرك؟»

ـ «قضيتُ السنوات القليلة الماضية مع جدتي، هنا في تكساس. ماتت منذ عام ونصف.»

ـ «أنا آسفة.» لم يَرُد فأكملت: «أين والداك الآن؟»

اتكأ ساجان على كرسيه ونظر إليَّ. ثم نقر بقلمِه الرصاص على كراسته وبعدَها رماه على الطاولة. «هيا» قال مُزحزحًا كرسيه للخلف. «أحتاج إلى مغادرة هذا المنزل.»

نظر إليَّ متأهبًا، فوقفتُ وتبعتُه إلى الباب الأمامي. لم أعرف إلى أين نذهب، لكن كان لدي شعور أنه لا يريد الهرب من المنزل بقدْر الهرب من الأسئلة.

بعد ساعة كنَّا واقفَين في متجر أنتيكات نُحدق في الكأس التي لم أقدر على شرائها منذ أسابيع قليلة.

ـ «لا يا ساجان.»

ـ «نعم.»

سحب الكأس من فوق الرفِّ فحاولتُ جذبها من بين يدَيه: «لن تدفع خمسةً وثمانين دولارًا لأنك فقط تشعُر بالأسف تجاهي!» طاردتُه كطفلٍ يعاني من نوبة غضب.

ـ «لا أشتريها لأني أشعر بالأسف تجاهك.»

وضع الكأس على الكاونتر وسحب محفظته. حاولتُ التقاط الكأس لكنه تحرك ليقف في طريقي. نفختُ وعقدت ذراعيَّ أمام صدري: «لا أريده، إن اشتريتَه أنت. فقط أريده عندما أتحمَّل تكلفة شرائه.»

ابتسم وكأني أُسلِّيه: «حسنًا، يمكنكِ أن تُسدِّدي ثمنه لي ذات يوم.»

ـ «الأمر مختلف.»

ناول الرجل خلف الخزانة مائة دولار، فسأله: «هل أنت بحاجةٍ إلى كيس؟»

قال ساجان: «لا، شكرًا،» وحمل الكأس متجهًا للمخرج. وبمجرد خروجه استدار وخبَّأ الكأس خلف ظهره وكأنني لم أرَهُ يشتريها لي. قال: «لدي مفاجأة لكِ.»

أشحتُ بعيني: «أنت مُزعج للغاية.»

ضحك وناولني الكأس. أخذتها وبعدها تمتمت: «شكرًا لك.» كنتُ متحمسة بالفعل لامتلاكها. لكني كرهتُ ما تكبَّده من مال في شرائه. جعلني هذا غير مرتاحة. لست معتادة على تلقِّي الهدايا.

«على الرحب والسعة.» ألقى ذراعَه حول كتفي وسألني: «هل أنت جائعة؟»

هززت كتفي: «لا أشعر حقًّا بالرغبة في تناول الطعام. لكن سأجلس معك لو أنك جائعٌ.»

سحبني إلى محل شطائر على بُعد خطواتٍ قليلة من محل الأنتيكات. مشَينا إلى الخزانة وقال: «سآخُذ غدائي المعتاد وقطعتَين من بسكويت السكر من فضلك.» نظر إلي: «أيَّ مشروب تُفضلين؟»

ـ «لا بأس بالماء.»

«زجاجتا مياه،» قال للمرأة خلف الخزانة. انتظرنا حتى استلام الطلبات ثم عبرنا الشارع وجلسنا على واحدةٍ من الطاولات بجوار النافورة حيث تبادلنا القبلات لأول مرة. تساءلتُ إن كان أتي بي إلى هنا عن عمد. شككتُ أنه فعل.

نفس السؤال مرَّ على عقلي لمراتٍ عديدة، رغم ذلك. إن كان لا يري أونور كأكثر من صديقة، لِمَ قبلني عند هذه النافورة وهو يعتقدني هي؟ بالطبع اعتقدني أونور. حتى أفضل مُمثل في العالم لن يتمكن من افتعال الحيرة والصدمة عندما اتصلَت به على هاتفه الخلوي.

لم أسأله رغم ذلك. لم تنحرِف محادثتنا إلى ذلك الاتجاه ولم أكن واثقةً في قدرتي على تحمُّل إجابته الآن. كنتُ متعبة للغاية من الأربع والعشرين ساعة الماضية ولم أُرِد إضافة المزيد من الثقل على محادثتنا.

ـ «هل جرَّبتِ بسكويت السكر الخاص بهم من قبل؟»

ـ «لا.» وأخذتُ رشفة من الماء.

ـ «سيُغير حياتك.»

ناولني قطعةً من البسكويت فأخذت قضمة. وبعدها قضمة أخرى. لقد كان أجمل بسكويتٍ أكلته في حياتي بالفعل، لم يكن يُبالغ.

ـ «متي من المفترض أن يحدث التغيُّر في حياتي بالضبط؟ هل يجب أن آكل البسكويتة كاملة لأحصل على النتائج؟»

نظر إليَّ بحدة ثم قال مازحًا: «متحذلقة»

أنهيتُ البسكويتة وشاهدته يأخذ قضمةً من شطيرته. سقطت عيناي على وشمٍ جديد على ذراعه. بدا كأنه نقاط إحداثيات. أشرتُ إليه: «هل هذا وشم جديد؟»

نظر إلى ذراعه وأومأ: «نعم. دققتُه لنفسي الأسبوع الماضي.»

ـ «ماذا تعني بدقتتَه لنفسك؟»

ـ «أنا أدُقُّ وشومي بنفسي.»

أمَلتُ رأسي ودقَّقْتُ في وشمَين آخرَين. «هل رسمتَ كل ذلك؟» فجأة وجدتُها أكثر روعة مما ظننت قبل أن أعرف هذه المعلومة. أردتُ أن أعرف معانيها جميعًا. مثلًا لِمَ لدَيه محمصة خبز صغيرة على معصمه مع شريحةٍ من الخبز. أو ماذا تعني جملة: «دورك يا دكتور». أو إلامَ يرمز العلَم. أشرتُ إلى محمصة الخبز. «ما الذي تعنيه هذه؟»

هز كتفَيه: «إنها فقط محمصة خبز. إنها لا تعني أي شيء.»

ـ «ماذا عن هذه؟» سألت مشيرةً إلى العلَم.

ـ «إنه شعار المعارضة السورية.»

ـ «ما الذي يعنيه ذلك؟»

جرى بإبهامه على وشْم العلَم: «أبي من سوريا. أعتقد أنني رسمتُه كتحيةٍ إلى تراثنا.»

ـ «هل لا يزال والدُك على قيد الحياة؟»

غيَّر ذلك السؤال شيئًا بداخله، هزَّ كتفَيه وأخذ رشفةً من مشروبه ناظرًا إلى اليمين. يبدو وكأن جدارًا يُبنى تحت جفنَيه عندما لا يرغب في الاستطراد. وهذا يحدث تقريبًا طوال الوقت. احترمتُ حاجته للخصوصية عن عائلته وأمسكتُ بذراعه وقلبتُها لأنظر إلى باقي الوشوم. سألته: «لذا بعضها له معنى والبعض الآخر فقط عشوائي؟»

ـ «بعضها عشوائي. مُعظمها له معنى.»

مشيتُ بإصبعي على نقاط الإحداثيات: «هذه لها معنى. هل هذا مكان ميلادك؟»

ابتسم ورفع عينَيه إلى عينيَّ. قال: «شيء قريب من ذلك.» الطريقة التي نظر بها إليَّ وهو يُجيبني أربكتني، فلم أستطع طرح سؤالٍ آخر. أكملتُ تتبُّع كل الوشوم على ذراعه، لكنى فعلتُ ذلك بهدوء. رفعتُ حتى كُم قميصه لأتمكن من النظر إلى الوشوم على كتفه. لم يُمانع طالما لا أسأله أسئلةً هجومية عن سِرِّ كلٍّ منها. سألته: «هل أنت أيمن؟ أهذا سبب وجودها فقط على ذراعك الأيسر؟»

ـ «نعم. أنا أُفضِّل التمرُّن على نفسي بدلًا من أي أحدٍ آخر.»

ـ «يمكنك التمرُّن عليَّ.»

ـ «عندما تبلُغين الثامنة عشرة.»

دفعتُه في كتفه: «بربك. سأكمل الثامنة عشرة بعد سبعة أشهر!»

ـ «الوشوم دائمة. يجب أن تُفكري فيها أكثر.»

ـ «يقول هذا الرجل الذي على ذراعه وشم لمحمصة خبز.»

رفع حاجبًا فأضحكني هذا. على الفور، شعرتُ بغرابة في أن أضحك بعد الليلة الماضية. غالبًا شعرتُ بالذنب، كأنه من المبكر جدًّا أن أضحك. لكني فرحت بأنه أجبرني على الخروج من المنزل اليوم. شعرت بتحسُّن أكثر مما لو تحصنتُ في غرفتي طوال النهار والليل كما خططت.

هزَّ رأسه: «لن أدُقَّ لكِ وشمًا. أنا الآن أتمرَّن فقط.»

ـ «ماذا يعني ذلك؟»

«في الأيام التي لا أعمل أو أدرُس فيها. أحيانًا ما أذهب إلى متجر الوشوم المحلي ليُعلِّموني أساسيات المهنة.»

ـ «هل تذهب إلى الكلية في كوميرس؟»

أومأ: «نعم، ثلاثة أيامٍ في الأسبوع. وأعمل بقية الأسبوع، بعدَها أحاول التواجُد في محل الوشوم لليلةٍ أو اثنتَين.»

ـ «هل تُريد أن تتَّخذ من رسم الوشوم مهنة؟»

هز كتفَيه: «لا. لديَّ خُطط أخرى للمستقبل، لكني أستمتِع بها كهواية.»

ـ «ما تخصُّصك الرئيسي؟»

ـ «تخصص مزدوج في العلوم السياسية واللغة العربية.»

«واو. يبدو هذا جادًّا.»

أومأ زامًّا شفتَيه: «حسنًا، هناك الكثير من الأشياء الجادة التي تجري في العالَم الآن. بشكلٍ ما، أريد أن أكون جزءًا من ذلك.» بُني الجدار مرةً أخرى. إنه غير مرئي، لكني بطريقةٍ ما أراه كل مرة.

كان لدي الكثير من الأسئلة. مثل، لِمَ تخصَّص في العربية؟ والعلوم السياسية؟ هل يريد العمل في الحكومة؟ ما الأشياء الجدية التي تحدُث في العالم ويريد أن يكون جزءًا منها؟ هذا آخِر شيء أريد أن أكون جزءًا منه. هذا يُبرهن كم هو مختلف عني. إنه بالفعل يعمل لمستقبلِه، يبدو جادًّا إلى حدٍّ كبير، وأنا ما أزال حتى لا أعرف إن كنتُ سأعود لمواصلة الدراسة في مدرستي الثانوية الأسبوع القادم أم لا.

شعرت كأنني... طفلة.

أنهى ساجان البسكويت وبعدها أمسك الكأس ودقَّق فيه. سأل لني: «لِمَ تجمعين هذه الأشياء؟»

هززتُ كتفي: «ليس لديَّ أي موهبة. وبما أنني لا يُمكنني الفوز بها بنفسي. أجمع كئوس الأشخاص الآخرين عندما أمر بيومٍ سيئ.»

مرَّر إبهامه على الصفيحة في مقدمة الكأس وقرأ: «المركز السابع بالكاد يُعتبر جائزة.»

أخذتُ الكأس منه وأعجبتُ به: «لم أُرِد هذا من أجل اللقب. فقط أردتُه لأنه باهظ الثمن بشكلٍ سخيف.»

ابتسم ساجان وأمسك يدي الحرة، ساحبًا إيَّاي للأعلى: «هيا، دَعينا نذهب إلى متجر الكتب.»

ـ «هل هناك متجر للكتب هنا؟»

ابتسم قائلًا: «تعرفين القليل جدًّا عن المدينة التي تعيشين فيها.»

«فعليًّا، لا أعيش في هذه المدينة. أعيش على بُعد خمسة عشر ميلًا من هنا.»

ـ «تعيشين في نفس المقاطعة، نفس الشيء.»

مَشَينا إلى الشارع الرئيسي حتى وصلنا إلى متجر كتبٍ صغير. عندما دلفنا إلى الداخل، حيَّتنا امرأة واقفة خلفَ مكتب الاستقبال، كانت الشخصَ الوحيدَ في المتجر الهادئ، باستثناء أغنيةٍ رقيقة للومينيرز في الخلفية. صُدِمت كيف تبدو المكتبة عصرية من الداخل. لم تبدُ واعدة من الخارج. الجدران أرجوانية وهو لوني المفضل. هناك العديد من الأرفف على الجدران مملوءة بالكتب. بقية الأرفف مُمتلئة بالشموع والبضائع.

«لا يُوجَد الكثير من الكتب هنا» قلت واضعةً في الاعتبار صغر المكان والعدد المحدود للأرفف.

ـ «إنه متجر كتب مُخصَّص للأعمال الخيرية. يبيعون فقط الكتب الموقَّعة والتي تم التبرُّع بها عن طريق المؤلِّفين.»

التقطتُ أحد الكتب من على الرف وفتحتُه لأرى إن كان يقول الحقيقة. بالطبع كان موقَّعًا. صحت: «هذا رائع.»

ضحك، لكنه استمرَّ في المشي وتصفُّح الأرفف كأنه ربما يجد شيئًا يُعجبه. التقطت بعض العناوين وفتشتُ فيها رغم أنني لن أشتريَ شيئًا. لم يكن معي أية أموال ولن أدعه يشتري لي شيئًا آخر. تأمَّلنا الأرفُف بهدوء حتى وصلنا إلى رفٍّ في نهاية المتجر. وقف ساجان أمام الكتب، قلَّب فيها بأصابعه، ساحبًا بعضها ليقرأ ما كتب على أغلفتِها الخلفية. وقفت لأُراقبه. بعد لحظة، رن هاتفه وبالطبع تصرَّف وكأن على العالم كلِّه أن يتوقف. اصطاد هاتفه من جيبه ونظر إلى هوية المتصل. تنهَّد مُحبطًا لكنه ردَّ على أي حال.

ـ «هاي.»

أمسك بمؤخرة عنقه بينما الشخص على الطرف الآخر يتحدَّث. نظر إليَّ نظرة خاطفة ثم نظر بعيدًا وهو يقول: «نعم، نعم. كل شيءٍ على ما يُرام.»

كل شيءٍ على ما يرام..

انتابني الفضول لمعرفة إلى من يتحدَّث وإن كان يشير إليَّ عندما يقول كل شيءٍ بخير.

أشار إلى الباب ليُعلِمني أنه سيُكمل المكالمة في الخارج. أومأت وشاهدته وهو يخرج من باب المتجر. مشيتُ إلى الأريكة بجوار النافذة وجلستُ وشاهدته يتحدث في الهاتف.

«أيمكنني مساعدتك لإيجاد أي شيء؟» قالتها السيدة الجالسة على المكتب وهي تُحدق فيَّ. كان الأمر مُزعجًا قليلًا. بدت في نهاية الثلاثينيات وشعرها المُجعد متجمع في عقدة فوق رأسها. تضع أمامها لاب توب وتنظر عبر الغرفة إليَّ في انتظار أن أردَّ عليها.

ـ «شكرًا.»

أومأتْ ثم قالتْ بعدها: «هل أنت بخير؟»

أومأتُ ثانية، مُنزعجةً قليلًا أن تلك المرأة تسألني إن كنتُ بخير. بدت مُتطفلة. نظرتُ من النافذة ثانية وساجان يسير ذهابًا وإيابًا مع القليل من التحدث. هو غالبًا يستمع إلى محدثه على الطرف الآخر. ضغط على مقدمة رأسه عند نقطةٍ ما، ما جعلني أحزن لأجله. بدا مُتوترًا ولم أستطع منع نفسي من الشعور بالذنب تجاه ذلك.

«هل هو صديقك؟» سألتني المرأة وهي تشقُّ طريقها إليَّ. حاولتُ أن أُشيح بنظري عنها. لأنني بالتأكيد لستُ في مزاجٍ مناسب لمحادثة صغيرة.

ـ «لا.»

«أخوك؟» سألتني وهي تجلس على الأريكة المقابلة لي.

ـ «لا.»

استرخت مكانها ونظرت من النافذة إليه قائلة: «إنه لطيف. كيف تعرفتِ عليه؟»

لو أني حدقتُ بحدة كافية، تساءلتُ هل سينظر ساجان إلى الداخل ويري كم أنا في أمسِّ الحاجة إليه ليأتي ويُنقذني. إلى أن يحدُث ذلك، لم يكن لديَّ خيار سوى الإجابة على أسئلة هذه المرأة. حاولتُ إجابتها كلها مرةً واحدة حتى لا أترك لها مساحة لتسألني أكثر.

«هو صديق للعائلة.» أشرتُ إلى أسفل الشارع الرئيسي تجاه المحكمة. «قبَّلني لأول مرة هناك وهو يعتقد بأنني أُختي التوءم، مما كان السبب الوحيد لتقبيلي. لذا كانت قبلةً عرَضية. حاولتُ تجنُّبه خلال الأسابيع القليلة الماضية لأني اعتقدتُ أنه يُواعد أختي. لكن الليلة الماضية ارتديتُ ملابسي كأني هي وقبلتُه ثانية، فقط لأكتشف أنه لا يواعدها. تجادلنا وتركني وذهب، لذا ذهبت إلى غرفة صهري وكان يُمارس الجنس مع أخي. فثملت، وابتلعتُ مجموعةً من الأقراص وتقريبًا قتلتُ نفسي. «ساجان» أشرت للمخارج إليه مُكملة: «ذلك هو اسمه. ساجان يعتقد أن بسكويت السكر ومتجر الكتب سيُحسِّنان نفسيتي، لهذا نحن هنا.»

اتسعَت عينا المرأة لكنها لم تَبْدُ مصدومة. فقط مأخوذة قليلًا من كمِّ المعلومات التي ألقيتُها عليها. في النهاية مالت نحوي قائلة: «حسنًا، يبدو وكأنه ملاكك الحارس. لا يوجد أي شيء أفضل من كعكة السكر ومتاجر الكتب.» توقفت وسألتني: «هل تشعُرين بالعطش؟ لديَّ صودا في الثلاجة.»

سأفعل أي شيءٍ لإبعادها، قلت: «طبعًا.»

مشت إلى آخِرِ المتجر، في نفس الوقت الذي أنهى فيه ساجان مكالمتَه وعاد إلى الداخل. نظر خلال المتجر قبل أن يجدني جالسةً على الأريكة. وقفتُ بينما يسير نحوي، سألته: «كل شيء على ما يرام؟»

ـ «نعم.»

أومأت: «هل هو أبي؟ هل كان يطمئن علي؟»

لم يُجبني ساجان. بدلًا من ذلك وضع الهاتف في جيبه وقال: «هل تودِّين العودة إلى المنزل؟»

المنزل.

ضحكتُ بفتور. لستُ واثقة حتى أن المنزل هي الكلمة التي يمكن استخدامها لوصف المكان الذي أعيش فيه. إنه فقط منزل مليء بالأشخاص الذين يعدُّون الأيام انتظارًا لليوم الذي يُغادرونه فيه.

حاولت قول: «حسنًا» لكني اضطررتُ لخنقها لأنها كانت خافتةً للغاية وامتزجت الدموع مع الكلمة. لم يسأل ساجان حتى لِمَ انفعلتُ فجأة. فقط أحاطني بذراعَيه وجذبني نحوه.

أسندتُ رأسي على صدره واحتضنتُه، لأن عناقه يمنحني شعورًا جيدًا، ولأنني مهما تظاهرتُ بالقوة اليوم، ما زلت حزينة. أنا مُمتلئة بالندم لكتابة رسالة ليلة الأمس، وحزينة لأنني تسبَّبتُ في كل هذه الدراما، وحزينة أكثر لأنني لم أقُل سوى الحقيقة. لا أريد أن أغضب من يوتاه. لا أريد أن أنزعج من أونور. لا أريد أن يخون أبي فيكتوريا، حتى ولو مع أُمي. ولا أريد لأونور أن تكون مهووسةً بعلاقات غير صحية بعد الآن. أريدُ أن نكونَ جميعًا طبيعِيِّين. لا يمكن أن يكون الأمر بتلك الصعوبة.

« لِمَ لا يُمكننا أن نُصبح عائلة طبيعية؟» قلتُ بصوتٍ مكتوم و رأسي مدفون في صدر ساجان.

ـ «لا أعتقد أن هناك أيَّ عائلة طبيعية يا ميريت..» قالها وهو يبتعِد إلى الخلف قليلًا لينظر إليَّ. أكمل: «هيا لنذهب، يُمكنني القول إنك متعبة من نظرة عينيك.»

أومأتُ فأحاطني بذراعه. استدرْنا لنتوجَّه إلى الباب، لكننا توقفنا معًا فجأة لأن سيدة المتجر وقفت في طريقنا، قريبةً بشكلٍ مُزعج مُمسكة بالصودا، قالت: «لا تنسي البيبسي الدايت الخاص بك.»

أخذ ساجان خطوةً للخلف وبتردُّدٍ مدَّ يده إلى علبة الصودا. قال «أممم. شكرًا؟»

أومأتِ المرأة وتنحَّت جانبًا لتدعنا نمر. قبل أن نخرج صاحت: «لا تفكِّرا في سرقة أحد أقزامي! المُراهقون دائمًا ما يسرقون أقزامي!»

نظرتُ ثانية إليها ولوَّحتُ لها مطمئنة. عندما غادرنا المتجر، ضحك ساجان قائلًا: «كان هذا غريبًا.»

لم أعترض.

لكني أُحب الغرابة، لذا، ربما سأعود إلى هذا المتجر مرةً أخرى.

# الفصل الثاني عشر

*يوتاه: هل أنت بالمنزل؟*

*يوتاه: مير.. أريد فعلًا التحدث معك.*

نظرتُ إلى رسائلِه بازدراء. لم يدعُني مير منذ كنَّا أطفالًا. أغلقتُ هاتفي ودسستُه في جيبي. التقطتُ شوكتي وأخذت قضمةً أخرى من الإنشيلادا*.

عدت أنا وساجان مباشرة قبل عودة الجميع من المدرسة والعمل. جلست في غرفتي حتى أصبح العشاء جاهزًا. عندما خرجت لم يتحدث أحد إليَّ إلا أبي وساجان. سألني أبي كيف أشعر. قلتُ بخير. سألني ساجان ماذا أريد أن أشرب. قلت لا بأس. لم ألحظ هذا حتى إلا بعد أن شاهدتُه يبتسِم ويُناولني كوبًا من الصودا.

الآن جلسنا جميعًا في صمتٍ تامٍّ وكنا في منتصف العشاء. التوتر كثيف جدًّا، لا أقدر على كسره والتحدُّث حتى لو حاولتُ. كانت أونور أول من حاول. تلقَّت رسالة نصية من يوتاه بعد تجاهلي لرسالته.

«يوتا ه يريد التحدُّث إليك يا أبي » قالت ناظرةً للأسفل إلى هاتفها ، «أيمكنه المجيء الليلة؟»

كان والدي صبورًا في إجابته. أنهى القضمة التي قضمها للتو. ابتلع. أخذ رشفة من شرابه ووضع الكأس ثانيةً على الطاولة. بعدها قال: «ليس الليلة.»

حملقَتْ أونور فيه: «أبي.»

ـ «قلتُ ليس الليلة. سأتواصَل معه عندما أكون مُستعدًّا لمناقشة الأمر.»

ضحكت أونور ضحكةً خافتة: «أنت؟ تناقش مسألة مهمة؟ سينتظر طوال حياته لأجل ذلك.»

«أونور..» نطقَت فيكتوريا اسم أونور كأنه تحذير.

لم تُعجَب أونور بذلك. بدا وكأنها على وشك الانفجار، فأوقفها أبي قبل أن تنال فرصتها في الرد.

ـ «كفى يا أونور.»

وقفت أونور بغضب، لدرجة أنها أسقطت مقعدها خلفها. تركت طبقَها على المائدة ومشت إلى غرفتها. تنهَّدت فيكتوريا وانسحبت من الطاولة بغضبٍ أقل عادةً مما تفعل عندما تصل إلى نقطة عدم التحمُّل. قالت: «لا أشعر أنني بخير» ووضعت منشفتها بجوار طبقها ثم مشت إلى غرفتها، فتبِعها أبي.

لم يكن لديَّ أي فكرة عما حدث بينهما منذ كتابتي للرسالة. لكن فيكتوريا لم تبدُ سعيدة جدًّا.

نظرتُ إلى موبي وهو يُغطي فمه بيده ويميل تجاهي قائلًا: »هل يُمكنني الذهاب لمشاهدة التليفزيون؟ لا يُعجبني طعامي.«

ابتسمت: «بالطبع يا صديقي.» انزلق من كرسيه وجرى إلى غرفة المعيشة. لم يتبقَّ سواي أنا ولاك وساجان على الطاولة الآن.

قال لاك: «لستُ واثقًا إن كانت هذه العائلة قد أنهت وجبةً كاملة منذ وصولي إلى هنا.»

لم أضحك. حزنتُ لأننا لا نستطيع حتى تحمُّل إتمام طبقٍ من الطعام. بدأ لاك في نخس الطعام في طبقه، في النهاية وضع شوكته جانبًا مع تنهيدةٍ ثقيلة ونظر إليَّ: «هل تحدثتِ إلى يوتاه على الإطلاق؟ ماذا لو أنه يريد الاعتذار؟»

ـ «كان لديه العديد من السنوات ليعتذِر. السبب الوحيد لرغبته في فعل ذلك الآن لأن الأمر أصبح مشاعًا. لا يبدو صادقًا جدًّا عند هذه النقطة.»

* (طعام مكسيكي من تورتيلات محشوة باللحم)

ـ «نعم، أتفهم وجهة نظرك.»

تناول لاك عدة ملاعق أخرى من طعامه. أما أنا فاكتفيتُ بتقليب الطعام في طبقي. لم يعُد لديَّ أي شهية، الجميع غاضبون منِّي بسبب شيءٍ فعله يوتاه. أعرف أن هذا حدث منذ وقتٍ طويل وأعرف أنهم يكرهون معرفة شيءٍ رهيب عن يوتاه. لكن ماذا عني؟ هل أنا غير محبوبة لدرجة ألا يتعاطفوا معي ومع تأثير تلك الحادثة عليَّ؟

بدأ ساجان في تنظيف الطاولة ومشى لاك أخيرًا إلى غرفته.

«هل انتهيتِ؟» سألني ساجان. أومأتُ فحمل طبقي إلى الحوض ثم عاد إلى الطاولة.

مررتُ إصبعي على البخار المُتكثف على كوبي وقلت: «هل تعتقد أنني أُبالغ في ردة فعلي؟»

حدق فيَّ للحظة ثم هزَّ رأسه هزة خفيفة قائلًا: «غضبك مُستحَق يا ميريت.»

أردتُ لكلِماتِه أن تجعلني أفضل، لكنها لم تفعل. لا أريد أن أغضب من يوتاه. لا أريد أن يغضب منِّي الجميع. فقط أريد أن نكون جميعًا هانئين. همست: «أكره هذه العائلة أحيانًا.. للغاية.»

سحب ساجان دفتر رسوماته أمامَه قائلًا: «شعور طبيعي بالنسبة لمراهقة.» مشى بطرف قلمه الرصاص على الصفحة، راقبتُه وهو يرسُم، فشعرت بالاسترخاء. صوت القلم الرصاص على الورقة، الطريقة التي يُحرك بها ذراعه بالكامل مع يده، التركيز الشديد على وجهه.

ـ «هل سترسُمني؟»

رفع ساجان عينَيه في عينيَّ وأومأ: «بالطبع.»

بعد دقائق قليلة كنا في غرفته. لاحظتُ تركه الباب مفتوحًا واعتراني الفضول هل فعل ذلك احترامًا لأونور أم خوفًا من أبي. مشى إلى خزانته وفتح صندوق أقلام رصاص بالفحم وسألني: «كيف تُريدين مني رسمك؟ رسمة واقعية؟»

نظرتُ إلى ما أرتديه. بنطال جينز وتيشيرت. قلت: هذا ما أرتديه دائمًا. هل يُمكنني تغيير ملابسي؟»

أومأ ساجان فمشيتُ عبر الردهة إلى غرفتي. توجهتُ إلى الخزانة وقلبتُ بين ملابسي حتى وصلت إلى أقصى الجانب الأيمن وسحبت فستان الإشبينة السخيف الذي اضطررتُ إلى ارتدائه في زفاف ابنة عمِّي العام الماضي. إنه ثوب من التفتا باللون الأصفر الفاتح. صدره على شكل قلبٍ بلا حمالات وبعدها يتَّسع من عند الخصر وينتهي مباشرة قبل الركبة. إنه بشِع، لذا بالطبع ارتديتُه. ارتديتُ حذاء عاليَ الكعب وسحبتُ شعري للأعلى على شكل كعكة عالية. عندما مشيتُ ثانية إلى غرفة ساجان، ضحك. قائلًا: «جميل.»

انحنيت: «سعيدة أنه أعجبك.»

مشيتُ إلى بقعةٍ خالية على الأرض وجلست معقودة الساقين: «ارسُمني هكذا، لكن ليس على الأرض. أريد أن أطفو على سحابة.»

جلس ساجان في سريره وفتح صفحةً بيضاء في دفتره. نظر إليَّ ثم إلى الصفحة. فعل ذلك لثلاث أو أربع مرات، لم يضغط بقلمِه على الصفحة. لم أعرف ماذا أفعل بيديَّ لذا وضعتُهما فقط على حجري. غير موضعه على السرير مرتَين، لكن بدا وكأن لا شيء يساعد. كل مرة يبدأ في الرسم، يغدو مُحبطًا ويكرمش الورقة.

مرَّت على الأقل عشر دقائق من دون أن ينطق أحدُنا بكلمة. أُحِب مشاهدة عمليته الإبداعية، حتى لو بدا أنها لا تسير جيدًا. في النهاية نهض من السرير وألقى بدفتره جانبًا.

ـ «لا أستطيع رسمك.»

مططتُ شفتيَّ وسألته: «لماذا؟»

أبقى عينَيه على عيني عندما قال: «لستُ ذلك الفنان الجيد. لا أعتقد أن بإمكاني رسمك كما يليق بكِ.»

شعرت بالحرارة تتدفَّق في وجنتيَّ، وحاولتُ ألا أندفع خلف ما أتمنَّى أنه يعنيه. من المُحتمَل أنه قال هذا فقط لأنه يُقلل من نفسه. تنهَّدتُ ودفعت نفسي بعيدًا عن الأرض. قلت: «ربما في مرة أخرى.» مشيتُ إلى سريره وسقطت فوقه على ظهري. أصدر فستاني الكثير من الضوضاء عندما ارتطمت بمرتبته.

ـ «تبدين كطائرٍ ضخم.»

ضحكتُ ورفعت مرفقي: «كان يجب أن ترى صف الإشبينات في حفل الزفاف. ارتدَينا جميعًا ألوانًا أساسية مختلفة.»

ضحك ساجان: «مُستحيل.»

ـ «إنها مدرسة رياض أطفال. لا أدري إن أرادت أن يكون ذلك ثيمةَ زفافها أم لا، لكنه كان حفل زفافٍ مُشرقًا جدًّا.»

مرَّر ساجان بصرَه على فستاني وفي النهاية التقت عيناه بعينيَّ. نمَّت تعبيرات وجهه عن الكثير من التفكير وهو يقول: «هل تشعرين بالرغبة في الخروج للمشي؟»

أومأتُ ووقفت: «دعني أذهب لأُغير هذا الفستان السخيف أولًا.»

ابتسم وقال: «أتحداكِ ألَّا تفعلي.»

لم نصل حتى إلى نهاية المرآب إلا وكان فستاني يُضايق كلينا. كل مرة أخطو خطوة، يُصدِر صوتًا كأننا على وشك أن تقتلعنا موجة عارمة.

قال ساجان ضاحكًا: «ألا يمكنك التحكم فيه كيلا يُصدر صوتًا؟»

«لا، إنه الفستان الأكثر إزعاجًا في العالم.»

«على أكثر من صعيد» قال ضاحكًا. «ماذا لو فقط ذهبنا لنجلس على الأرجوحة؟» وضع يدَيه في جيبَيه الخلفِيَّين ومشى خلال الباحة إلى الأرجوحة الخارجية التي ابتاعها أبي لفيكتوريا. أرادت مكانًا أسفل الظل حيث يُمكنها القراءة، لذا اشترى لها أرجوحةً ضخمة يمكن أن تتحوَّل إلى سرير مُعلق. لكني رأيتها تستخدمها مرتَين فقط. إنها تعمل كثيرًا وموبي بالفعل لا يمنحها وقتًا للقراءة. ربما أكون قد استخدمتها أكثر مما فعلت هي.

رمى ساجان بعض الوسائد على الأرض ليُفسح لنا مكانًا لنجلس. ربَّت على البقعة بجواره. تنُّورة فستان الإشبينة صعَّبت عليَّ الجلوس، وعندما تمكنت أخيرًا من ذلك من دون أن أخنق أيًّا منَّا، كنا نضحك.

ـ «بإمكانك أن تخلعيه.»

لكزته في ذراعِه، لكنه انتهز الفرصة وأمسك بذراعي وجذبني قريبًا منه. ليس بطريقةٍ شاعرية، لكنها مريحة. أحاطني بذراعِه فاقتربتُ منه وحدقتُ في الفناء الأمامي. سُورنا الخشبي الأبيض يمتدُّ على جانبَي الفناء الأمامي حتي يلتقي بالشارع.

ـ «هل كان ذلك لكِ؟» سأل ساجان مُشيرًا إلى بيت الشجرة.

ـ «لا، بناه أبي من أجل موبي. أونور وأنا كان لدَينا بيت شجرة، لكنها شجرة في منزلنا القديم بالخلف. بالتأكيد تحللتِ الآن.»

ـ «أُحب أنه أرجواني، هل هو لون موبي المُفضل؟»

ـ «لا، إنه لوني. اختاره موبي لأنه أرادَني أن أُحبه لأصعد للأعلى وألعب معه داخله.»

ـ «وهل فعلتِ؟»

أومأت: «أحيانًا. رغم ذلك كان عليَّ أن أشاركه اللعب أكثر.»

تنهَّد ساجان، شعرتُ بالندم عندما تذكرتُ بأن له أختًا صغيرة لم يلتقِ بها قط. سحب أحد ساقَيه لفوق الأرجوحة. وأراح ذراعَه الأيسر على حجره، لمستُ وشمًا من وشومه وبدأت

تتبُّعه. إنه موهوب بحق. كان وشمًا صغيرًا للغاية لكن التفاصيل مذهلة.

ـ «أنت موهوب بحق.»

ضغط ساجان على كتفي وضغط بشفتَيه على شعري. كان أجمل تعبيرٍ عن الشكر. دون حتى أن يستخدِم الكلمات.

نظرتُ إليه لكنه حدق في الفناء الأمامي. قطَّب جبهته من القلق. في النهاية، نظر إليَّ وبصوت خافت سأل: «ميريت؟ هل تعتقدِين أنكِ مكتئبة؟»

تنهَّدت مُحبطةً من سؤاله: «أنا بخير. فقط حظيتُ بليلةٍ سيئة وارتكبتُ خطأً غبيًّا.»

ـ «هل تعديني أن تتحدثي معي أولًا إن شعرتِ بالحاجة لارتكاب خطأٍ غبيٍّ مرة أخرى؟»

أومأتُ، لكنه وعْد بمقدار ما أمكنني أن أُعطيه.

التفت ساجان تجاهي على الأرجوحة، لكنه لم ينظر في عيني مباشرة. سألني: «هل تعتقدين ربما...» بدا قلقًا من السؤال. «هل هو شيء فعلته؟»

جلستُ باستقامة: «هل تعتقد أنني فكرت في قتل نفسي بسببك؟»

ـ «لا لا لم أقُل ذلك. على الأقل آمُل ذلك.» حرَّك يدَه أسفل وجهه. «لا أعرف يا ميريت. نعتُّك بالنذلة، وبعدها مباشرة وجدتُ نفسي أدفع أصابعي في حلقك لتتقيئي الأقراص التي ابتلعتِها. لا أستطيع منع نفسي من الشعور بأن لي يدًا فيما حدث. كأنني ربما كنتُ المُحفز.»

هززت رأسي: «ساجان، لم تكن أنت. أُقسم. كان غبائي وعائلتي وكل شيءٍ وكأنه تضاعف.» أغلقت عينيَّ وأرخيتُ كتفيَّ مكملة: «بصراحة لا أشعر بالرغبة في الحديث عن الأمر.»

رفع يده إلى خدي ومشي بإبهامه على ذقني وهمس: «حسنًا، لن نتحدث عنه الآن.» دفعني بعيدًا عنه مجددًا وقدرتُ الصمت الذي منحَه لي. مرَّت على الأقل خمس عشرة دقيقة وكِلانا نُحدق أمامنا في هدوء. كان القمر بدرًا الليلة، نشر وهجَه على الفناء. حتى السُّور الخشبي الأبيض تلألأ.

ـ «الكثير من الأشخاص يحلمون بالعيش في منزلٍ بسورٍ أبيض خشبي. يا لقلة معرفتهم، لا شيء يُضاهي عائلة مثالية، مهما كان بياض السور الخشبي شاهقًا.»

ضحك: «لنعقد اتفاقًا. حينما نحصل على منازلنا الخاصة يومًا ما، لن يكون سورها أبيض.»

ـ «اللعنة لا، لن يكون أبيض، سأطلي سور منزلي بالأرجواني.»

«كبَيتِ الشجرة» قالها وتوقف للحظةٍ ثم أكمل: «هل لديك أي طلاءٍ أرجواني مُتبقٍّ؟»

نظرت إلى بيت الشجرة ثم إلى ساجان: «أعتقد ذلك. في الجراج.»

لم يتحرك أحدُنا، لكن بعدها وكأن أحدًا ما قذفنا من على الأرجوحة في نفس الوقت. ضحكنا وجرينا باتجاه الجراج بحثًا عن الطلاء الأرجواني.

لحُسن الحظ وجدنا علبتَين. تكفيان لطلاء سور الفناء الأمامي على الأقل. قضَينا الساعتَين اللاحقتَين في الطلاء. تكلَّمنا عن كل شيء لكن أهم جزء هو عندما أخبرني ساجان عن تدريبه المِهني على رصف الطرق. أخبرته قصصًا من طفولتنا عندما كانت عائلتنا أقل إخفاقًا. تكلَّمنا عن الحب السابق والأفلام المفضلة. حينما انتهَينا من الجانب الأيمن من السور كنا قد تجاوزنا منتصف الليل وتلطَّخ فستاني التفتا الأصفر ببُقَع من اللون الأرجواني. «لا أعتقد أنني يُمكنني ارتداء هذا ثانية»، قلتُ ناظرة للأسفل.

ـ «اللعنة، يا للعار.»

نظرت إلى الجانب الأيسر من السور، الجانب الذي لم يتم طلاؤه بعدُ وقلت: «هل سنطلي هذا الجانب أيضًا؟»

أومأ ساجان لكنه أشار إليَّ لأجلس: «نعم، لكن دعينا نستريح أولًا.»

جلست بجواره، صار طبيعيًّا بالنسبة له أن يَجذبني إليه كلما جلسنا متجاورَين. مما جعلني أتساءل إن كان سيُحاول تقبيلي ثانية. أعرف أن قبلتَينا الأخيرتَين لم تكونا رائعتَين لذا لن ألومَه لعدم رغبته في المحاولة ثانية.

ربما لن يُقبلني بسبب أونور. هذا موضوع لا أستطيع فتحه معه بعد، لكنه يؤلِمني جدًّا. لا أستطيع منع نفسي.

نفختُ بشفتَيَّ وبعدها جلست في مواجهته عاقدةً ساقيَّ على الأرجوحة. «أريد أن أسألك سؤالًا.» تأرجح فستاني حولي وأنا أحاول أن أستريح، لذا قمتُ بتسويته بذراعي. دارت

العديد من الأشياء في عقلي، لذا أجبرت نفسي على قول ما لم أتوقف عن التفكير فيه: «هل أنت... مُنجذب إلى أونور؟»

لم يُبدِ ردة فعلٍ حتى على السؤال. هز رأسه على الفور وقال: «أعتقد أنها جميلة، هذا واضح، أنتما جميلتان. لكنني لستُ منجذبًا إليها.»

شعرتُ بحاجة كتفيَّ للتهدُّل للأمام. شعرت بجبهتي ترغب أن تُقابل يدي، حاولت الحفاظ على رباطةِ جأشي كما يفعل دائمًا، قلت: «إن لم تكن منجذبًا إليها، إذن هذا يعني...» لم أستطع حتى قولها عاليًا. فهمست: «نحن توءم مُتطابق، لذا...»

ضحك في صمت. تمنَّيتُ أن أكتشف إيقاع أو سبب فعله لهذا. إن اكتشفتُ خدعة ضحكته الصامتة سأفعلها طوال اليوم كلَّ يوم.

ـ «أنت تتساءلين إن كان من المُمكن لأحدٍ أن ينجذب إليك ولا ينجذب إلى أُختك التوءم المُتطابق.» قالها ببساطةٍ فهززتُ كتفيَّ ثم أومأت.

ـ «نعم. إنه ممكن.»

حاولتُ ألا أبتسم لأن إجابته تعني أو لا تعني أنه مُنجذب إلي. ولكن يمكن للفتاة أن تأمل.

ـ «لِمَ لم تأخُذا أنت وأونور الأمور لأبعد من الصداقة؟»

ـ «إنها تواعِد صديقي، لن أفعل هذا به أبدًا. بالإضافة إلى أنه عندما التقيتُها بالطبع اعتقدتُ أنها جميلة. لكن بعد قضاء يومَين معها. الأمر فقط... لا أعرف. لا يوجد بيننا أي رابطٍ رومانسي. لم تُحب فنِّي. لم تُحب ذوقي في الموسيقى. كانت دائمًا على الهاتف تتبادل النميمة مع أصدقائها وأزعجَني ذلك. لكن كان هناك أشياء جذبتني إليها بطريقةٍ أخرى. إنها مُخلصة ومرحة وأُحب التسكع معها.»

تفكرتُ في كل شيءٍ قاله دون أن أرد. أردتُ أن أصدقه، لكن الأمر صعب، ولأنني امتلكتُ الانطباع الخاطئ لوقتٍ طويل. سألته: «ماذا عن ذلك اليوم عند الميدان؟ إن لم تكن مُنجذبًا إليها، لِمَ قبلتني عندما اعتقدتَ أنني هي؟»

تحوَّل تعبير ساجان إلى الجدية. أطلق نفَسًا كبيرًا واتكأ على الأرجوحة ناظرًا إلى الفناء. سحب ساقيَّ على حجره وأبقى يده على رُكبتي. قال: «الأمر مُعقد»، مسح بكفه على وجهه وصارع الكلمات للحظة. ثم أكمل: «رأيت أونور... أنتِ... تستعرِض محل الأنتيكات ذلك

اليوم. شاهدتها لفترة. انتابني الفضول، لأنها كانت مختلفةً ذلك اليوم. مُرتدية بنطلونًا جينز وقميصًا بسيطًا معقودًا حول خصرها. لم تضع مكياجًا ممَّا أدهشني تمامًا لأن أونور دائمًا ما تُزين وجهها. كنتُ أعرف أن لأونور أختًا، لكنى لم أعرف أن لها توءمًا متطابقًا، لذا فكرة أن أونور ربما تكون أنتِ لم تمرَّ على عقلي قط. لا أعرف.. من الصعب الشرح لأنكما مُتطابقتان. لكني كنتُ منجذبًا إليها في ذلك اليوم بطريقةٍ لم أنجذِب بها إليها من قبل. شعرتُ بأشياء لم أشعر بها من قبل عندما كنتُ معها.»

«أحببتُ كيف نظرَت لكلِّ شيءٍ بفضول طفلة. أحببتُ أنها لم تسحب هاتفها مرة واحدة. أونور دائمًا على هاتفها، أحيانًا أريدُها فقط أن تضعه جانبًا وتستمتِع بالعالم من حولها. كما أحببتُ جدًّا عندما تلقَّتِ اللومَ بدلًا من الطفل الذي كسر تلك المزهرية. وبعدها عندما مشيتُ إليها في الخارج ونظرتُ إليها عن قُرب، كنت كأني أراها للمرة الأولى. لم أُقبِّلها قطُّ من قبل، وشعرتُ بالذنب لرغبتي الشديدة في تقبيلها وأنا أعرف أن صديقي يُحبها، لم أستطع تقبيلها حتى ذلك اليوم. حدث لي شيءٌ في تلك اللحظة ولم أستطع منع نفسي.»

تلاقت أعيُننا. وأكمل: «لكن... عندما اتصلَتْ أخيرًا استجمعتُ الأمر... وجعلني ذلك أعرف لِمَ شعرتُ بأنني سأموت لو لم أُقبلها، رغم أنني لم أشعر بذلك ولو لمرةٍ من قبل. لم أكن منجذبًا إلى أونور. كنتُ منجذبًا إليكِ.»

لم يكن قلبي ليدقَّ أسرع لو أني شربتُ علبة كبيرة من مشروب الطاقة وتبعتها بعلبة ريد بول. كل شيءٍ قالَه هو كل ما تمنيتُه أن يكون. حلمت أنه رأى شيئًا مختلفًا فيَّ لم يجده عند أونور، والآن وأنا أسمع نسخته مما حدث، أتمنَّى ألا يكون هذا حلمًا أستيقِظ منه. تمنيتُ لو أمكنني الرجوع لذلك اليوم وغرس كل لحظة في ذاكرتي. خاصةً اللحظة التي انحنى فيها وقبلني قائلًا: « تدفنيني.» لم أعرف ماذا تعني ولا زلت لا أعرف، لكني أسمع تلك الكلمة كلما أغلقتُ عينيَّ.

ـ «لِمَ قلتَ تدفنيني قبل أن تُقبلني؟ هل هذا شيء تقوله لأونور؟»

نظر ساجان إلى يده ـ اليد التي تُربِّت على ركبتي ـ وابتسم: «لا، إنها ترجمة للكلمة العربية (تقبريني).»

ـ «تقبريني؟ ما الكلمة الإنجليزية لها؟»

أسند رأسه على الأرجوحة وأمالها قليلًا حتى ينظر إليَّ. وقال: «ليس كل كلمةٍ يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى. لا يوجد مقابل لها في الإنجليزية.»

ـ «تدفنيني تبدو سوداوية قليلًا.»

ابتسم ساجان و رأيتُ لمحة من الإحراج في تعبيره: «تقبرني تصِف الشعور التام بعدم القدرة على العيش من دون شخصٍ ما. ولهذا ترجمتُها الحرفية هي «تدفنني.»

تمعنتُ فيما قاله للتو وحقيقة أنه قال تلك الكلمات لي مباشرةً قبل تَقبيلي ذلك اليوم. أحببتُ ذلك، لكني كرهتُ أنه لم يعلَم إلى من يقولها. في ذلك الوقت اعتقد أنه قال تلك الكلمات إلى أونور. ورغم أنه اعترف بانجذابه إليها ذلك اليوم لأنها في الواقع كانت أنا، لكن هذا لا يُفسر لماذا لم يشرح ذلك لي مباشرة بعد وقوعه. لقد مرَّ أسبوعان منذ ذلك الحين.

تحشرجتُ وابتلعت توتُّري حتى وجدتُ الشجاعة لأسأله عن الأمر: «إن لم يكن بينك وبين أونور شيء، وإن كنتَ منجذبًا إليَّ كما قلت، لِمَ لمْ تُخبرني؟ لقد مر أسابيع على ذلك اليوم.»

بدا التردُّد على وجهه أثناء بحثه عن إجابة. أطلق تنهيدةً هادئة ثم مرَّر إبهامه على ركبتي: «أتريدين الحقيقة بأمانة؟» رفع عينَيه إلى عينيَّ فأومأت. مط شفتَيه للحظةٍ ثم قال: «كلما عرفتك أكثر... كلما قلَّ إعجابي بكِ.»

استغرقتُ لحظة حتى أستجمع ردَّه بشكلٍ كامل. سألته: «أنت لا تُحبني؟»

ترك رأسه يسقط على الأرجوحة وتنهَّد بندم: «أنا أُحبك اليوم.»

أطلقتُ ضحكة فاترة: «أوه، حسنًا ذلك مُطمئن. أنت تُحبني اليوم، لكنك لم تُحبني بالأمس؟»

نظر إلى بحدة: «لم أُحبك خاصةً بالأمس.»

لم أستطع تحديد إن كان يجب أن أغضب. حدقتُ فيه وأنا مصدومة قليلًا. شعرت كأنني يجب أن أغضب، لكن في نفس الوقت كنتُ متفهمة. حتى أنا لم أُحب نفسي بالأمس. وأنا بالفعل لم أكن على طبيعتي منذ بدأ بالظهور في المنزل. كنتُ منغلقة ووقحة وبالكاد تحدثتُ معه حتى الأربع والعشرين ساعة الماضية.

ـ «لا أعرف ماذا أقول يا ساجان.»

نظرتُ إلى تنُّورتي وبدأت في إزالة بُقَع الطلاء الأرجواني الجاف: «أعنى، أعرف أنني كنتُ وقحة معك، لكني كنتُ أحافظ على نفسي. اعتقدت أنك صديق أُختي ولم أكن متأكدة من مشاعري تجاهك. كنتَ أنت أول شيءٍ لها أريده لنفسي.»

لم يرُد ساجان على الفور. أكملتُ إزالة بقع الطلاء عن تنورتي لأني شعرت بالعديد من الأشياء ولم أقدر على النظر في عينَيه الآن.

« ميريت.» نطق اسمي وكأنه الْتماس لأنظر إليه. في النهاية فعلتُ وعلى الفور ندمتُ لأن كل شيءٍ رأيته في تعبير وجهه هو كل شيءٍ لم أُرِد رؤيته. الندم. الخوف. عرض مُسبق للرفض.

«دعني أخمِّن،» همست: «لا تُحبني بشكلٍ كاف لتقبيلي؟»

رفع يدَه ولمس خدي. هز رأسه برفقٍ وقال: «أنا أُحبك كفاية لتقبيلك. صدقيني. لكني فقط أتمنَّي لو تُحبين نفسَكِ بقدْر ما أحبك.»

لم أعرف حتى ماذا أقول ردًّا على ذلك. هل يعتقد أنَّني لا أُحب نفسي بسبب ما فعلته ليلة الأمس؟ قلت: «أخبرتك أن ما حدث بالأمس كان خطأً بسبب إفراطي في شُرب الكحول. أُحب نفسي كما يجب.»

ـ «هل أنت متأكدة؟»

أشحتُ بعينيَّ. بالطبع أفعل. أعتقد ذلك. قلت: «حسنًا أمرٌ بلحظاتٍ من التعاسة، أي مُراهق لا يفعل؟ الجميع أحيانًا يتمنَّون لو كانوا شخصًا آخر. شخصًا أفضل. مع عائلة أفضل.»

هز رأسه: «لم أتمنَّ ذلك من قبل.»

توسلتُ إليه بنظرتي، أستجديه بصمتٍ ليوقف هراءه: «أنت قلتَ بنفسك أنك لم ترَ أختك الصغيرة من قبل. والآن تُخبرني أنك لا تتمنَّى لو أن لك عائلةً أخرى، لن أصدقك. مثلما لا تُصدقني بأن ليلة الأمس لم تعنِ شيئًا.»

ظلَّ ساجان ثابتًا، حدقتُ فيه طويلًا بما يكفي لألحظ اهتزاز عنقه. تركني ثم وقف. وضع يدَيه في جيبَيه ونظر للأسفل إلى الأرض وركل التراب. لم يكن لديَّ فكرة ما الذي قلتُه للتوِّ وأغضبَه، لكن مزاجَه تغيّر تمامًا.

ـ «أنت مستمرة في التقليل مما حدث ليلة الأمس، ولأكُن صريحًا معك، هذا مُهين جدًّا. ليس من حقك أن تُقرري ماذا تعني حياتك لشخصٍ آخر.»

سحب يدَيه من جيبَيه وعقدهما على صدره مكملًا: «كان يمكن أن تموتي يا ميريت. هذا أمر جلل. وحتى تُدركين ذلك لن أفعل شيئًا معك. أعتقد أن لدَيك الكثير لتُعالجيه ولا أريد أن أغطي على هذا بأي شيءٍ يمكن أن يحدث هنا.»، أشار بيده بيننا وأكمل: «هذا يمكنه الانتظار.»

شعرتُ بسخونة في وجهي والإحراج يسيطر علي. سألته: «تعتقد أنني غير مستقرة كفاية بالنسبة لك لتُواعِدني؟»

أطلق تنهيدةً مُحبطة: «لم أقل ذلك. فقط أعتقد أن عليك العمل على نفسك أولًا. خذي باقتراح أبيك واذهبي للطبيب النفسي. تأكَّدي أنه لا يُوجَد شيء مَعيب في ذلك.»

اقترب من الأرجوحة حيث أجلس، ركع أمامي وأمسك الأرجوحة ليُثبتها قائلًا: «لو أنني تدخلتُ وسمحتُ لنفسي ببدء شيءٍ معك، مشاعرك تجاهي قد تقودك للاعتقاد بأنك أسعد ممَّا أنتِ عليه بالفعل.»

شعرت بأصابعي ترتجِف، لذا ضممتُها على شكل قبضة. كنت مصدومة. يمكنه أن يقول من الكلمات ما يشاء، لكن أن تكون لديه الجرأة ليجلس هنا ويقول أنه يعتقد بأنني مكتئبة لدرجة ألا يُمكنني مواعدته الآن؟»

تمتمت: «لا تغترَّ بنفسك.»

اندفعتُ من الأرجوحة فوقف ليُفسح لي الطريق. مشيتُ تجاه المنزل، لكن عندما نادى باسمي، بدأت بالركض. أضفَتْ تنورتي الصاخبة الغبية قدرًا كبيرًا من السخافة على غضبي. حين وصلتُ إلى المنزل، صفقتُ الباب بقوة حتى أنني خفتُ من إيقاظ موبي.

مَن يعتقد ساجان نفسه؟ لن يُطاردني لأنه يعتقد أنني من المُمكن أن أصبح «سعيدة للغاية» معه وتلك البهجة من المُمكن أن تُغطي على اكتئابي المزعوم؟ «لا تغتر بنفسك» قلتُها ثانية وأنا أغلق باب غرفتي. فقط لأنني كنتُ غير سعيدة مؤخرًا لا يعني أنني مكتئبة. فككتُ أزرار فستاني الغبي وتركته يسقط على الأرض. بالكاد كان التيشيرت على رأسي عندما دخل ساجان إلى غرفتي من دون أن يطرق الباب.

استدرتُ وواجهته، فأغلق الباب ماشيًا تجاهي. من الواضح أنه لم ينتَهِ بعد من المحادثة مثلما فعلت. قال: «أنت تتَّهمين كل أفراد عائلتك بالافتقاد إلى الشجاعة لقول الحقيقة، لكن في الثانية التي أُصارحك فيها بالحقيقة، تغضبين وترحلين؟»

ـ «أنا لستُ غاضبة منك لصراحتك يا ساجان! أنا غاضبة لأنك تفترِض بغرورٍ بأنني سأكون سعيدة معك وبأنني سأستغلُّ مشاعري تجاهك لأُغطي على اكتئابي الواضح!»

أشحتُ بعينيَّ، عاقدةً ذراعيّ على صدري: «أنت تمنح نفسك الكثير من القيمة. لو أنك حاولتَ تقبيلي عند تلك النقطة، كنتُ لأصفعك غالبًا.» كانت كذبةً سخيفة، لكني كنتُ فعلًا مُحرجة للغاية بسبب كل هذه المحادثة.

ـ «لا يُحب الجميع أنفسهم! لا يعني ذلك أنني انتحارية أو مكتئبة أو غير قادرة على التفرقة بين مشاعري تجاه رجل ومشاعري تجاه حياتي.»

نظر ساجان إليّ باعتذار، وكأن إحباطي عنى له شيئًا بالفعل. وضع يدَيه في جيبَيه وحدق في الأرض للحظة. عندما رفع عينَيه إليّ مجددًا فعلها ببطءٍ بادئًا بقدمي، وأتبعها بساقيَّ العاريتَين. استطعتُ أن أرى اهتزاز عنقه عندما وقع بصره على حافة قميصي، وبعدها تسلَّق لباقي جسدي حتى وصل إلى عينيَّ. لم يكن حتى بحاجة للحديث لأعرف فيمَ يفكر. نظر إليَّ وكأني على حق، ربما قُبلة لن تضر. ربما ستريح قلبَينا.

تنفستُ بهدوء لأن تلك النظرة منه جعلتني أشعر كأنني غرقتُ في أعماق قلبه ولا توجد طاقة هواء واحدة لتُبقيني على قيد الحياة. من الممكن ربما أن يفتح فمه مجددًا وينعتني بالحمقاء والمُنحطة مجددًا، ولكن ظللت راغبة في تقبيل الشفتَين التي خرجت منهما تلك الإهانات. لم أعُد أتذكَّر ما كنا نتجادل حوله لأن رأسي كان مشوَّشًا.

لم يقل شيئًا، اندفع نحوي وأمسك بي، لف ذراعًا حول خصري والآخر حول رقبتي. أملتُ رأسي في مواجهته آمِلةً أن يدرك مدى خطأه ويُقبلني فقط. أردتُها قبلةً قوية ومحمومة وسريعة، لكنه كان بطيئًا بشكلٍ مؤلِمٍ وهو يقترب.

تنهَّد بهدوءٍ وفمُه قريب جدًّا من فمي، ابتلعتُ تنهيدته بشهقة. وبعدها لامسَتْ شفتاه شفتي. كانت قبلةً مفاجئة ومتأخِّرة في نفس الوقت. تأوَّهتُ بشغف، وبادلتُه القبلة على الفور.

عندما تلاقى لسانَينا، أصبحت القبلة محمومةً للغاية، فقدت تركيزي، وسرحتْ يدي في شعره، سقطت تحفُّظاتي مع لمسته، تلاشي غضبي مع أنَّاته. مسَّ لسانه لساني برقة، لكن يدَيه عوَّضتني عن صبر فمه. انزلق ذراعه أسفل ظهري إلى فخذي حيث ينتهي تيشيرتي. رفع يدَه إلى فخذي العاري، فوق ملابسي التحتية وحتى ظهري، هذه المرة الجلد على الجلد مباشرة. سحبَني تجاهه لكنه مشى بي للخلف في نفس الوقت حتى لامس ظهري الحائط خلفي.

«يا إلهي..» همس فوق شفتي: «فمك مُذهل.»

اعتقدتُ أن فمه مُذهل كذلك، لكني لم أرُد، فضلتُ تلقيمه لساني ثانية، أطبق عليه وقبَّلني أعمقَ وهو يدفعني ثانيةً تجاه الحائط.

اختصرَتِ القبلة كلَّ شيء، اعتقدتُ أنها ستكون كذلك وأكثر. تفاجأت كم كان فمه شافيًا. بمجرد أن وضع فمَه على فمي، تلاشى كل التوتُّر الذي كان يسبح في رأسي. كل القلق والإحباط والغضب، تلاشوا مع كل لمسةٍ من لسانه.

هذا بالضبط ما كنتُ أحتاج إليه..

مدَّ يدَه إلى خصري، لكن قبل أن ترتفع أكثر، توقف ليلتقِط أنفاسه. لهثتُ عندما عببتُ الهواء ثانيةً شابكةً ذراعي حوله في محاولة لإيقاف الغرفة عن الدوران. تركت رأسي يستند على الحائط. سحب ساجان شفتَيه عبر وجنتَيَّ وقبَّلني على فمي، بنعومة ورفق قبل أن يدفعني للخلف لينظر إليَّ. خلَّل أصابعه في شعري متوقفًا عند مؤخرة عنقي. همس: «كان هذا مُذهلًا بحق اللعنة.»

ابتسمتُ لأنه لخَّصها تمامًا بتعبيرٍ لست متأكدة من أنني استخدمته من قبل.

مذهلًا بحق اللعنة..

قبَّل جانب فمي وبعدَها مرَّر أنفه على وجنتي. تراجع للخلف واضعًا رأسي بين يدَيه برفقٍ. مع ابتسامةٍ خفيفة أذابَتْني تمامًا، قال: «إنه أمر لا يُصدَّق، كيف لقبلةٍ جيدة أن تجعلك تشعرين بالخفة، أليس كذلك؟»

أومأت: «بلى.. أمر لا يُصدَّق.»

ربَّت بإبهامه على خدي، وارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يُحدق فيَّ: «لهذا بالضبط لن أفعلها ثانية يا ميريت. يجب أن تُحبي نفسك أولًا.» تأمَّلني للحظة، عيناه تُفتِّشان في عينيَّ.

لم أُبدِ أيَّ ردة فعل..

كنتُ مصدومة للغاية لأفعل. أم مجروحة للغاية؟

هل قبَّلني فقط ليُثبت وجهة نظره؟

ماذا؟

استندتُ إلى الحائط غير قادرة على الحركة. عندما لم أرُد، أفلتني ومشى بهدوء خارج غرفتي.

كنتُ مصدومة للغاية لأرد. غاضبة للغاية لأجري خلفه. مُحرجة للغاية لمعرفتي أن جزءًا مما قال ربما يقترب من الحقيقة بالفعل. تلك القبلة أزالت كلَّ ما كنتُ أشعر به واستبدلتُ به شعورًا خاطفًا من النشوة. أدفع نصف عمري لأستعيد ذلك الشعور ثانية. وهو بالضبط ما حاول ساجان أن يشرحه لي. مشاعري تجاهه ستُغطي على كل شيء آخر يدور في عقلي.

ورغم أنني أخيرًا فهمتُ ما كان يُحاول قوله، إلا أنني لم أتجاوز غضبي. لو أن شيئًا تغيَّر، سيكون أنني غاضبة منه أكثر.

# الفصل الثالث عشر

ـ «ميريت؟»

فتحتُ عينيَّ على مضض فرأيت لاك يقف في مدخل غرفة نومي. حاولت استيعاب ما الوقت، وما اليوم..

ـ «هل يمكنني الدخول؟»

تجاوزنا الظُّهر، على ما أعتقد. أومأت وأشرت له أن يجلس: «نعم. لقد غفوت دون أن أشعر. كم الساعة؟»

ـ «إنها ساعة «العشاء» تقريبًا.»

ابتسمت للهجتِهِ العشوائية. لم يعد يستخدمها بكثرة كما كان يفعل في بداية الأسبوع. سحب بطانيتي نحوه واتكأ على مرفقه قائلًا: «كان اليومان الماضيان مزدحِمَين، ربما كنتُ في حاجة إلى قيلولة.»

ضحكت بفتور: «في هذه الحالة، أعتقد أننا جميعا بحاجة إلى قيلولة.»

لكن هذه لم تكن فعلًا قيلولة. مع الأخذ في الاعتبار أنني بقيتُ مستيقظةً معظم الليلة الماضية غضبًا من ساجان بسبب ما قاله. لم أستطع النوم. لقد تقلبت واستدرت طوال الليل، وحاولت اختلاق كل الأعذار له بلا فائدة. لا أريد حتى أن أفكر في الأمر مرةً أخرى. ألقيتُ نظرة على لاك. كان يرتدي زي ستاربكس الخاص به. بدا غريبًا جدًّا في الملابس العادية.

ـ «هل تُحب وظيفتك الجديدة؟»

«نعم. من المؤكد أن أي وظيفة أقوم بها الآن أفضل من العمل على متن سفينة سياحية.» سحب خيطًا من بطانيتي حتى انفك بين أصابعه. ووضعه في فمه وبدأ في مضغه.

ـ «هل تعاني من البيكا؟»

ـ «ماذا؟»

ـ «لا يهم» قلتُها وهززت رأسي.

ربَّت على ساقي، خيم الصمت الغريب على الغرفة، لحظات حتى تنهدتُ قائلة: «هل أنت هنا لتتحدث عن سبب ابتلاعي لثمانٍ وعشرين حبة؟»

هز لاك كتفيه ثم قال: «في الواقع، كنت سأسألك إذا كنت تودِّين تناول بعض من اللحم البقري المقدد. لا يزال لديَّ نصف كيس في غرفتي.

ضحكت: «لا شكرًا. أنا بخير.»

ـ «ولكن بما أنك طرحتِ الأمر.. هل أنت بخير؟»

أدرتُ عينيَّ وأسندت رأسي إلى ظهر السرير: «نعم.»

شعرت ببعض الانزعاج، لستُ منزعجة من أنه يطمئنُّ عليّ، ولكن منزعجة من أن سلوكي هذا الأسبوع محرج جدًّا، أريد فقط أن أنساه ولكن لديَّ شعور بأن لا أحد سيسمح بذلك. وخاصة أبي وساجان.

ـ «لماذا فعلت ذلك؟»

هززت رأسي: «لا أعرف. كنتُ مرهقة جدًّا، وشربت الكثير من الجعة.. أردت فقط بعض الراحة..»

بدأ في فكِّ خيطٍ آخر ثم دوَّره بين أصابعه. وقال بلامُبالاة: «لقد حاولتُ قتلَ نفسي مرة واحدة، قفزتُ من سطح سفينة سياحية إلى الماء. اعتقدتُ أنه مرتفع بدرجةٍ كافية حتى أصطدم بالمياه وأفقد الوعي ثم أغرق بسلام».

ـ «هل غرقتَ بسلام؟»

ضحك.

لا أعرف لماذا استخففتُ بما قاله لي. لستُ جيدة أبدًا في المحادثات الجادة.

ـ «لويتُ كاحلي وطُردت من العمل. لكن بعد بضعة أسابيع حصلتُ على بطاقة هوية مزوَّرة جديدة ووظيفة في خط رحلات بحرية مُختلف، لذا فإن الطرد لم يُعلِّمني درسًا».

ـ «لماذا فعلتَها؟ هل كرهتَ حياتك إلى هذا الحد؟»

هز لاك كتفَيه وقال: «لا. كنتُ غير مُبالٍ في الغالب. لقد عملتُ ثماني عشرة ساعة في اليوم. وسئمتُ من الرتابة. لم يكن هناك أي شخص سيفتقدني. لذلك، في إحدى الليالي كنتُ أقف على سطح السفينة، أُحدق في الماء. أفكر فيما سيكون عليه الأمر لو قفزت، دون

الاضطرار إلى الاستيقاظ والعمل في صباح اليوم التالي. عندما لم تزرع فكرة الموت الخوف في داخلي، قررتُ أن أسعى إليه فحسب.» توقف للحظة عن الكلام ثم أكمل: «رآني أحد أصدقائي أفعلها وأبلغ عنِّي، لذا ألقَوا لي طوق نجاة وأعادوني إلى السفينة خلال ساعة».

ـ «حالفك الحظ.»

أومأ برأسه ونظر إليَّ. كان جادًّا على نحوٍ غير عادي. قال: «وكذلك فعلتِ يا ميريت. أعني أنا أعلم أنها كانت مجرد حبوب علاج وهمي، لكنك لم تعلمي ذلك وقتها. كما أنني لا أعرف الكثير من الأشخاص الذين يضعون أيديهم في حلق شخصٍ ما ثم ينخلون في قيئهم لحساب عددِ الحبوب التي ابتلعوها.»

أدرتُ عينيَّ ونظرت إلى الأسفل. خطر لي أنني لم أشكر ساجان ولو مرةً واحدة على ذلك. لقد أنقذ حياتي، غطَّاه القيء، ثم نظَّفني وراقبَني طوال الليل. ولم أقل له حتى شكرًا. الآن لستُ متأكدة من رغبتي في التحدُّث معه مرة أخرى.

قال لاك: «لقد تعلمتُ شيئًا ما من القفز من تلك السفينة، لقد اكتشفتُ أن الاكتئاب لا يعني بالضرورة أن الشخص بائس أو لدَيه ميول انتحارية طوال الوقت. اللامبالاة هي أيضًا علامة على الاكتئاب.» نظر في عينيَّ وأكمل: «كان ذلك منذ وقتٍ طويل، ولكني لا أزال أتناول الدواء كل يوم.»

صدمت. يبدو لاك وكأنه أحد أسعد الأشخاص الذين أعرفهم. وعلى الرغم من أنني أُقدِّر ما يحاول القيام به، إلا أنه مُزعج للغاية أيضًا.

ـ «هل تحاول منحي درسًا أخلاقيًّا؟»

هز رأسه: «مُطْلَقًا. إنه فقط... أعتقد أننا مُتشابهان كثيرًا. وبقدْر ما تُريدين أن تُصدِّقي أنه كان خطأ سكر... «.

قاطعتُه: «كان كذلك. لم أكن لأبتلع تلك الحبوب أبدًا لو لم أشرب الخمر.»

لم يبدُ أنه مقتنع بكلامي: «إذا لم تكُوني تنوين أخذها.. لماذا سرقتِها؟

أخرسَني سؤاله. قطعتُ الاتصال البصري معه. إنه مُخطئ. أنا لستُ مكتئبة. لقد كانت حادثة.

ـ «أنا لم آتِ إلى هنا لأقول كل ذلك.» مال إلى الأمام ووضع مرفقَيه على ركبتَيه: «أعتقد أنني تناولتُ الكثير من الكافيين في العمل اليوم. أنا لستُ هكذا عادة... مرهفًا.»

ـ «مِن المُحتمل أن يكون هذا بسبب تجربتك الجديدة في المِثلية. إنها تجعلك عاطفيًّا.»

نظر في وجهي وضيَّق عينَيه: «لا يمكنك إلقاء نكاتٍ مثلية يا ميريت. أنت لستِ مثلية الجنس.»

ـ «هل كونك مثليًّا يجعلك صاحب سلطة المثلِيِّين في تحديد من يستطيع أو لا يستطيع أن يقول نكات المِثليين؟»

قال: «أنا لستُ مثليًّا أيضًا».

ضحكت: «كأن من الممكن أن تخدعني. إذا كنت لا تعتقد أنك مِثلي الجنس، فأنت مشوَّش جنسيًّا.»

حرك لاك رأسه حتى طرقعت رقبتُه ثم مال إلى الخلف على اللَّوح الأمامي مرة أخرى وقال: «أنا لستُ مشوشًا أيضًا، أنا مرتاح جدًّا في حياتي الجنسية. يبدو أنك الشخص المرتبِك».

أومأت برأسي، لأنني بالتأكيد في حيرة من أمري: «هل أنت ثنائي الجنس؟»

ضحك لاك: «تم اختراع التسميات للأشخاص أمثالك الذين لا يستطيعون فهم الواقع خارج الدور المُحدَّد للجنسَين. أنا أُحب ما أُحب. أحيانًا أُحب النساء، وأحيانًا أحب الرجال. لقد أحببتُ عدة مرات الفتيات اللاتي كن رجالًا. ذات مرة أحببتُ رجلًا كان فتاة.» توقف. «لقد أحببتُه كثيرًا في الواقع. ولكن لنترك هذا لدرسٍ أخلاقي في يومٍ آخر. «

ضحكت: «أعتقد أنني منعزلة عن العالَم أكثر مما أعتقد.»

ـ «أعتقد أنك كذلك. ليس فقط عن العالم الخارجي، ولكن مما يحدُث داخل منزلك. كيف لم تعرفي أن يوتاه مِثلي الجنس؟ ألم ترَي خزانة ملابسه؟»

ـ «مَن الذي يطلق النكات المثلية الآن؟» لكزتُ كتفه قائلة: «هذه صورة نمطية رهيبة. ولم أعلم أنه مِثلي الجنس لأنه لا أحد يُخبرني بأي شيءٍ في هذا البيت».

ـ «بكل إنصاف يا ميريت. لقد عشتُ هنا لمدة تقل عن أسبوع وأستطيع أن أخبرك بالفعل أنك تعيشين في نسختك الخاصة من الواقع.» ثم توقف قبل أن أتمكن من الرد قائلًا: «أنا بحاجة للذهاب للاستحمام. إن رائحتي تُشبِه رائحة حبوب القهوة.»

بالحديث عن الاستحمام. أحتاج أنا أيضًا إلى ذلك.

بعد بضع دقائق، كنتُ في الحمام، أحاول جمع كل الأشياء التي أحتاجها للاستحمام، لكن ما زلت لا أستطيع العثور على ماكينة حلاقة لعينة. بحثت في كل الأدراج، في الحمام، تحت الحوض. يا إلهي، إنهم يُبالغون في ردة فعلهم!

سأظل بساقَين مُشعرتَين إذن..

بمجرد أن خلعتُ قميصي، رأيتُ قطعةً من الورق تُدفع أسفل الباب. افترضت أنها من ساجان لأن هذه طريقته في إرسال رسوماته، لكن الورقة بدت كمقال. انحنيتُ لالتقاطها عندما تحدث لاك من الجانب الآخر من الباب.

ـ «فقط اقرئيها. يمكنك التخلُّص منها إذا أردت، ولكن لن يرتاح ضميري إذا لم أُعطِها لك. «

أدرتُ عينيَّ وأتَّكأت على المنضدة وقرأتُ العنوان. إنها صفحة مطبوعة من الإنترنت.

أعراض الاكتئاب.

تمتمت: «يا يسوع المسيح».

يوجد أدناه قائمة، لكنني لم أقرأ حتى الأعراض الأولى. طويت الورقة ورميتُها بجوار الحوض، ما هذا السخف يا لاك. يبدو أنه بالفعل عاشق للدروس الأخلاقية.

بعد الاستحمام وتغيير الملابس، فتحتُ باب الحمام. وقبل أن أخرج، أمسكتُ بالورقة وذهبت بها إلى غرفة نومي حتى لا يراها أحد مُلقاة على طاولة الحمام. جلست على سريري وفتحتها، انتابني الفضول لمعرفة الأعراض التي يُعاني منها لاك إذ تم تشخيص إصابته بالاكتئاب.

تفحصت القائمة، فوجدت مربعات فارغة بجوار كل عرض، في انتظار التحقُّق منها. إنه اختبار. قد يكون هذا في الواقع ما أحتاجُه لإثبات أنني لستُ مكتئبةً لساجان ولاك.

أمسكتُ بالقلم وبدأت بالعرض الأول..

هل شعرتِ يومًا بالحزن أو الخواء أو القلق؟

حسنًا، هذا سؤال غبي.. أيُّ مراهق لم يشعر بذلك؟ وضعتُ علامة صح.

هل شعرت يومًا باليأس؟

مرة أخرى. علامة صح. يجب عليهم فقط أن يسألوا: «هل أنت مراهق؟»

هل أنت سريع الانفعال؟

أممم نعم. علامة صح. لكن أي شخصٍ في هذه الأسرة سيكون كذلك.

هل لديك اهتمام أقل بالأنشطة أو المدرسة؟

تمام. هذه بالذات صحيحة، سيسعد لاك بذلك..

هل تشعر أنك أقلُّ نشاطًا من المعتاد؟

إذا كان انخفاض النشاط يعني النوم في ساعاتٍ عشوائية من النهار والليل وأحيانًا عدم النوم على الإطلاق، فنعم. علامة صح. بدأ قلبي ينبض بشكلٍ أسرع، لكنني أرفض أن آخُذ هذه القائمة على محمل الجد. إنها قائمة من الإنترنت.

هل لديك صعوبة في التركيز؟

لقد ركزتُ في إجابة أسئلة هذه القائمة، لذا يُمكنني الإجابة بـ لا. لكني لم أضع علامة في المربع، ولكن قبل أن أنتقل إلى السؤال التالي، فكرتُ قليلًا في هذا السؤال. لم أتمكن من التركيز في الكلمات المُتقاطِعة كما أفعل عادةً. وأحد أسباب توقفي عن الذهاب إلى المدرسة هو أنني أشعر بالخدَر الشديد في الفصل، وكان من الصعب عليَّ الانتباه. وضعتُ علامة صح، لكني جعلتُها أخفَّ من الباقي. سأعتبرها لا إذا كنت بحاجةٍ إلى ذلك.

هل لاحظتَ تغيُّرات في أنماط نومك؟

حسنًا... لم أعتد على النوم طوال اليوم. علامة صح. لكنني أعتقد أن هذا مجرد أثر جانبي لترك المدرسة.

هل حدث لديك تغيُّر في الشهية؟

إذا كان لدي، لم ألحظ ذلك. أخيرًا! عرض لن أضع أمامه شيئًا.

أو... انتظري. لقد فوَّتِّ العديدَ من وجبات الطعام في الآونة الأخيرة. ولكن قد يكون هذا أيضًا أحد الآثار الجانبية للتغيُّب عن المدرسة.

هل شعرت يومًا باللامبالاة؟

علامة صح.

هل تبكي أكثر من المعتاد؟

علامة صح

هل سبق لك أن راودتك أفكار بالانتحار؟

هل يُحسَب مرةٌ واحدة أو مرَّتان فقط؟ علامة صح.

هل سبق لك أن حاولتَ الانتحار؟

علامة صح.

حدقتُ في القائمة وقد تقلَّصَت معدتي. ارتعشت يدي وأنا أُلقي نظرة أخرى وأدرك أنني وضعت علامة صح في كل المربعات.

اللعنة على هذه القائمة الغبية. لا يختلف الأمر عن أي قائمةٍ مرجعية أخرى للأعراض عبر الإنترنت والتي تقود الأشخاص إلى الاعتقاد خطأً أنهم يُعانون من بعض الأمراض الرهيبة. لديك صداع؟ إذن يجب أن يكون لديك ورم في المخ! هل تعاني من ألم في الصدر؟ أنت تمرُّ بأزمة قلبية! مشكلة في النوم؟ أنت مكتئب!

كرمشتُها على شكل كرة ورميتُها بعيدًا. مرَّت خمس دقائق وأنا أحدق بلا حراك في قطعة الورق المُلقاة على الأرض. وفي النهاية أجبرت نفسي على إبعاد نظري عنها.

سأذهب للتحقُّق من وولفجانج. على الأقل لن يُعذبني بنقاشات أو أسئلة.

«هل تريد مساعدتي في إطعام وولفجانج؟» سألت موبي وأنا أشق طريقي عبر غرفة المعيشة. كان يجلس على الأريكة ويشاهد الرسوم المتحركة، لكنه قفز من على الأريكة وسابقني حتى الباب الخلفي.

ـ «هل هو لئيم؟»

ـ «لا، أبدًا.» ملأتُ كوبًا بطعام الكلاب وفتحت الباب الخلفي.

قال موبي: «قال أبي إنه لئيم. لقد وصفه بأنه لقيط.»

ضحكتُ وتبعته إلى الخارج. لا أعرف لماذا يكون الأمر لطيفًا جدًّا عندما يشتم الأطفال. من المُحتمَل أن أكون تلك الأم التي تشجع أطفالها على قول أشياء مثل «تبًّا» و«اللعنة».

عندما وصلنا إلى بيت الكلب، لم يكن وولفجانج بداخله. «أين هو؟» سألني موبي.

نظرت حولي في الفناء: «لا أعرف.» درت حول بيت الكلب وأنا أصرخ باسمه. دار موبي معي في دائرة بينما نفحص الفناء المظلم بحثًا عنه. قلت: «دعني أذهب لإشعال ضوء الشرفة

الخلفية.» عدتُ إلى الشرفة لكن موبي ناداني: «ميريت! هل هذا هو؟»

أشار إلى جانب المنزل. مشيتُ بالقرب من الزاوية وكان وولفجانج يزحف خارجًا من أسفل المنزل بجوار نافذة الطابق السفلي. تنهدتُ بارتياح. لا أعرف سبب تعلقي الغريب بهذا الكلب، لكنني كنتُ على وشك الذُّعر. عدت إلى وعاء وولفجانج وملأته بطعام الكلاب. شق طريقه ببطء إلى الوعاء وبدأ في تناول الطعام. قلت: «هل استعدتَ شهيتك، ها ه؟» داعبتُه بين أذنَيه ومدَّ موبي يده ليفعل نفس الشيء. أعتقد أن هذا يعني أنه ليس مكتئبًا.

ـ «كيف حاله؟»

التفتُّ لأجد ساجان يشقُّ طريقه إلينا. إنه يتصرف بشكلٍ عادي، وكأن شيئًا لم يحدث الليلة الماضية. يمكن أن يلعب اثنان تلك اللعبة.

ـ «إنه يبدو أفضل قليلًا.»

ركع ساجان بجانبي ومرَّر يدَه على بطن وولفجانج: «نعم، يبدو أفضل قليلًا.» حرك يده ليُداعب وولفجانج على رأسه فلمسَتْ أصابعه إصبعي. شعرت بقشعريرة على طول ذراعي، من الجيد أن الظلام قد حلَّ تقريبًا. آخِر شيء أريده أن يراه هو أنه لا يزال يُثير قشعريرتي.

سأل موبي: «هل يمكنه النوم معي في غرفتي الليلة؟»

ضحك ساجان: «لا أعتقد أن أباك سيُوافق على ذلك.»

قال موبي: «ليس علينا أن نُخبره».

تعليقه أضحكني. سينهار أبي لو حدث ذلك.

لمع ضوء المصابيح الأمامية لسيارة أبي بينما تقترب من الممر. فصرخ موبي: «وصلت البيتزا!» من النادر جدًّا أن تسمح له فيكتوريا بتناول البيتزا، ما جعله ينسى كل شيءٍ عن وولفجانج ويركض إلى المنزل. لم أُرِد البقاء وحدي لفترةٍ طويلة مع ساجان والإحراج ثالثنا.

«أنا جائعة.» أمسكتُ بالكوب الفارغ فتبعني ساجان نحو الباب الخلفي. بمجرد أن وضعتُ يدي على مقبض الباب، أمسك ساجان بيدي الأخرى وسحبها، لم يسمح لي بالدخول. أغمضتُ عيني للحظة وتنهَّدت. عندما استدرت، كنت أقف على درجة سُلَّم أعلى منه، لذلك وقفنا وجهًا لوجه.

قال بهدوء: «ميريت.. أنا آسف على الليلة الماضية. استيقظتُ طوال الليل أفكر في الأمر».

بدا صادقًا. ففتحت فمي، ولكني أغلقتُه مرة أخرى لأنني فقدت انتباهه بسبب رنين هاتفه. وضع يدَه في جيبه، وجلس على العشب، ووضع هاتفه على أُذنه.

«واو» همست. لا ينبغي أن أُصدَم لأنني أخطأت في قراءة اعتذاره على أنه صادق. لم يستطع حتى إسكات هاتفه لفترةٍ كافية حتى أردَّ عليه؟

تركته لمكالمته الهاتفية العاجلة وصفقتُ باب الشرفة خلفي.

دخلت إلى المطبخ بينما كان أبي وفيكتوريا يدخلان من الباب الأمامي ومعهما البيتزا. قالت فيكتوريا: «موبي، لم يكن لديهم بيتزا خالية من الغلوتين. يمكنك تناول البيتزا العادية الليلة، ولكن لا تعتَدْ على ذلك.»

لمعت عينا موبي وصعد على كرسي مرتفع وسحب صندوقًا نحوَه قبل أن تتاح لفيكتوريا فرصة وضعِه على المنضدة.

قلت لفيكتوريا: « هذه ليست الطريقة التي تعمل بها حساسية الغلوتين. هي إما لدَيك أو لا.»

غطَّي لاك فمي بيده: «ميريت. دعي ماما تسمح لطفلها ببعض الغلوتين الليلة.»

أبعدت رأسي عن يد لاك وتمتمت: «أنا فقط أوضح نقطة ما».

وقفت أونور بجانبي، سحبت كومةً من الأطباق الورقية من الخزانة بينما دخل ساجان إلى المطبخ. سألها: «هل تحتاجين إلى أي مساعدة؟»

هزت رأسها: «لا.»

لم تكن هذه محادثة ودِّية. شعرت بالفضول إذا كانت غاضبةً منه أيضًا. دار حولها وأمسك ببعض الأكواب. بعد لحظات، جلسنا جميعًا على الطاولة، بلا يوتاه.

بصراحة، من الغريب عدم وجوده هنا. لا يسعني إلا أن أتساءل أين هو الآن وأين أمضى الليلتَين الأخيرتَين. أو إلى متى سيظل أبي غاضبًا منه قبل أن يسمح له بالعودة إلى هنا.

حدقت أونور في المكان الفارغ حيث يجلس يوتاه عادة: «أليس كافيًا أنك طردته؟ لقد تخلصتَ من كرسيه أيضًا؟»

نظر أبي إلى المكان الفارغ قائلًا: «لقد انكسر الكرسي»، ولم يذكر أنه هو من كسرَه عندما رماه على الحائط.

مرت الدقائق القليلة التالية بهدوء. حتى من موبي. أعتقد أنه يشعر بأن الوضع بات سيئًا قليلًا في الآونة الأخيرة. تأملتُ فيكتوريا للحظة، وتساءلتُ كيف لا تزال هنا، تجلس على هذه المائدة مع أبي ليلتَين متتاليتَين، وهي تعرف ما يفعله خلف ظهرها.

قال أبي: «هل أخذ أحد البيتزا إلى أُمك؟»

هززت رأسي: «لن أفعل ذلك بعد الآن. إذا أرادت أن تأكل، يُمكنها أن تصعد وتجهز طبقها بنفسها».

ضيّق أبي عينَيه عليَّ، وكأن مائدة العشاء لا مكان فيها للصدق.

«قالت أونور بلهجةٍ موحية: لماذا لا تأخذ لها بعض البيتزا يا أبي؟ أنا متأكدة من أنها تُحب رؤيتك.»

كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير لدى فيكتوريا، إنها حتى لم تصرخ هذه المرة. ألقت بقطعة البيتزا على طبقها ودفعت كرسيها للخلف. الصرير الذي أصدره الكرسي باحتكاكه على الأرض صمَّ الآذان. لم يقل أحد شيئًا حتى أغلقت باب غرفة نومها خلفها.

«كدنا ننجح في تجاوز العشاء بلا مشاكل»، قال لاك، مؤكدًا من جديد حقيقة أننا لا نستطيع حتى أن نتحمَّل الجلوس معًا خلال تناول وجبة واحدة. ذلك عندما ألقى أبي بقطعة البيتزا على طبقه بنفس الإحباط الذي شعرت به فيكتوريا. ووقف متوجهًا إلى غرفة نومِه، لكنه تردَّد ثم عاد إلى الطاولة وأشار إلينا. لأونور وأنا. فتح فمه ليُحاضرنا، لكن لا شيء يخرج. مجرد أبخرة من الإحباط. هز رأسه وتبع فيكتوريا.

نظرتُ إلى موبي لأتأكَّد من أنه بخير، لكنه كان يضع قطعةً من البيبروني في فمه وكأن لا شيء يُهم سوى البيتزا. عين العقل في رأيي.

كان لاك هو أول من كسر الصمت قائلًا: «هل تُريدون يا رفاق الذهاب للسباحة في الفندق الليلة؟»

أجبنا جميعًا في وقتٍ واحد.

أنا: «لا.»

أونور: «لا.»

ساجان: «نعم.»

نظر ساجان إلى أونور وهي تُحدق به بشدة: «أعني... لا!» قالها وهو يبذل قصارى جهده لإبعاد هذا العبوس عن وجهها. شعرتُ بالسوء تجاهه، على الرغم من أنني ما زلت غاضبة منه. هل هي غاضبة لأنه اهتمَّ بي خلال اليومَين الماضيَين؟ هل يجب أن تكون مركز اهتمام الجميع؟

قلت: «إنها ليست منافسة يا أونور. يمكن أن يكون صديقًا لأكثر من شخص.»

ضحكت وأخذت رشفةً من علبة الصودا: «أصدقاء؟» قالتها وهي تضع العلبة على الطاولة. «هل هذا ما تدَّعِيانه؟»

قال ساجان: «أونور. لقد تحدثنا عن هذا.»

هل فعلًا؟

ماذا؟ ما الذي تحدثا بشأنه؟

هزت أونور رأسها: «مجرد مواعدتك لها لا يعني أنك تعرفها مثلي.»

شعرتُ بأن غضبي يسحق صدري ويملؤه لدرجة الانفجار. أردتُ أن أصرخ فيها ولكني حاولت الحفاظ على رباطة جأشي أمام موبي.

سأل موبي: «ما هي المواعدة»؟»

قال لاك وهو ينهض من مقعده: «هاي.. دعنا نذهب إلى غرفتك يا موبي.» لحُسن الحظ أمسك لاك بيد موبي وسحبه خارج المطبخ، ولكن ليس قبل أن يُمسك موبي طبقَه ويأخذه معهما.

ظلت أونور تُحدق في وجهي عبر الطاولة. سألتها مُحبطة: «لماذا تُعادينني هكذا؟ افترضتُ أنك ستكونين أكثر تعاطفًا قليلًا.»

«أوه، من فضلك» قالت وهي تسحب كرسيها إلى الخلف ثم تقِف «لو كان هذا صحيحًا لقلتُ شيئًا عندما حدث ما حدث. لماذا يفعل يوتاه شيئًا كهذا بك وليس بي؟»

ضغطتُ على أسناني وشعرتُ بفكي مشدودًا وأنا أحاول الإحجام عن كل ما أريد أن أقوله لها الآن: «لا أستطيع أن أُصدِّق أنك تقفين إلى جانب يوتاه.»

ـ «لقد تسببتِ في طرده بينما تعترفين لجميع أفراد العائلة أنك حاولتِ فقدان عذريتك مع عمنا؟»

«توقفا!» قال ساجان وهو ينهض غاضبًا لدرجة أنه أسقط كرسيه واصطدم بالأرض. «كلاكما! فقط توقفا عن ذلك!»

لقد فات الأوان للوساطة يا ساجان.

أمسكتُ بكأس الماء ورششتُه على وجه أونور. شهقت، اتسعت عيناها وبان الغضب فيهما، قبل أن أتمكن من الهرب، كانت على الطاولة مع حفنة من شعري في قبضة يدها. صرختُ وحاولت دفع يدِها بلا فائدة. فأمسكت بذيل حصانها وجذبتُه. كانت يدا ساجان حول خصري وهو يحاول أن يسحبني بعيدًا، لكنني الآن في منتصف الطريق عبر الطاولة أرفض أن أتركها حتى تتركني. أمسكَتْ قميصي بيدِها الأخرى، فجذبتُها من قميصها إلى الأمام.

انفجرت العديد من الأزرار ولا يزال ساجان يحاول تفريقنا عندما صرخ أحدهم: «مرحبًا!»

بدا هذا وكأنه صوت يوتاه، لكنني لستُ في وضعٍ يسمح لي بالاستدارة والنظر. لست مضطرة لذلك، لأن يوتاه قفز على الطاولة وحاول التفريق بيننا. حاول إبعاد يديَّ عن أونور بينما يُحاول ساجان أن يفعل الشيء نفسه مع أونور. صرخ يوتاه: «توقفا!»

لم نتوقف. أنا متأكدة من أن جزءًا كبيرًا من شعر أونور مُلتف الآن حول أصابعي، لكنني تمسكتُ بالمزيد.

صرخ يوتاه في ساجان: «غطِّ فمها!» قالها ووضع يدَه على فمي وأنفي، خنقني. كذلك فعل ساجان مع أونور، غطَّى فمها وأنفها بيده.

ماذا يفعلان بحق السماء؟ هل يحاولان قتلنا؟

لا أستطيع التنفُّس!

اتسعت عينا أونور بعد عدة ثوانٍ، وكلانا نحاول التخلُّص من قبضتَيهما بينما لا نزال ترفض كلٌّ منَّا التخلِّي عن الأخرى.

لا أستطيع أن أستمر ثانيةً أخرى.

لا أستطيع التنفُّس.

أفرجتُ عن شعر أونور وأمسكت بيد يوتا التي تُغطي فمي. وفعلت أونور الشيء نفسه، جاذبة يد ساجان بعيدًا عن فمِها. ظللنا نلهث من أجل التنفُّس عندما أطلقا سراحنا.

«بحق الجحيم!» قالت أونور وهو تدفع ساجان بعيدًا عنها. «هل تحاول قتلي؟»

نظر ساجان إلى يوتاه ورفع إبهامه لأعلى، ثم وضع يدَيه على ركبتَيه وانحني ليلتقِط أنفاسه: «تفكير سريع يا يوتاه».

سقطتُ على كرسيي مرة أخرى، محاولة التقاط أنفاسي. سحبتُ خصلات شعر أونور من أصابعي.

«ماذا يحدث هنا؟»

لقد عاد أبي. وقف بجوار الطاولة، التي أصبحتِ الآن عبارة عن مأساة فوضوية من أجزاء البيتزا، وقميص أونور المُمزق، وكلانا في حالةٍ مُزرية. لكنه لم ينظر إلى أيٍّ من ذلك. كان يخاطب يوتاه، الذي يحاول تنظيف سرواله الجينز من البيتزا.

ـ «ما الذي تفعله هنا؟»

قال يوتاه: «أنا أدعو إلى اجتماع عائلي».

هز أبي رأسه: «الآن ليس الوقت المناسب.»

ضحك يوتاه ضحكةً خافتة وقال: «إذا كنتَ تريد منِّي أن أنتظر الوقت المثالي لمناقشة تقبيل أختي الصغيرة، فسننتظر إلى الأبد. لدينا اجتماع عائلي. الليلة.» مر يوتاه بجوار أبي مُتجهًا نحو غرفة نومه. وأغلق الباب بقوة خلفه، فقفزت من مقعدي.

أمسك أبي بمؤخرة أحد الكراسي ودفعه نحو الطاولة بقوة، فقفزت مرة أخرى.

«عظيم»، تمتمت أونور وذهبت إلى غرفتها وأغلقت بابها أيضًا.

ظللت أنا وساجان فقط. وقف على الجانب الآخر من الطاولة، يُحدق بي. أعتقد أنه يتوقع مني أن أبكي أو أغضب أو يكون لديَّ نوع من رد الفعل الطبيعي على كل ما حدث للمتو. حركتُ مقعدي بسرعة نحو الطاولة وفتحت صندوق البيتزا الوحيد الذي لم يفسد. إنها بيتزا بلحم الخنزير والأناناس.

ـ «في المرة القادمة، عندما أتشاجر أنا وأونور على طاولة المطبخ، حاول إنقاذ علبة البيبروني، اتفقنا؟»

ضحك ساجان ضحكته الهادئة وهز رأسه. جلس أمامي وسحب صندوق لحم الخنزير والأناناس نحوه. تناول شريحةً وأخذ قضمةً منها، ثم قال بفم مُمتلئ: «أنت صلبة حقًّا يا ميريت».

جعلني هذا أبتسم.. وأنا لا أريد الابتسام له. لذا تناولتُ قطعةً من البيتزا واتجهت نحو غرفتي، ثم أغلقتُ بابها خلفي.

بعد ساعة، نام موبي، وأنهيتُ كل البيتزا بنفسي، وجلس جميع أفراد العائلة تقريبًا في غرفة المعيشة معًا لأول مرة منذ سنوات. سار يوتاه جيئةً وذهابًا في انتظار انضمام أبي إلينا. جلستُ على الأريكة بين ساجان ولاك. مِلتُ ناحية لاك حتى لا تلمس أجزاء كثيرة منِّي ساجان. بينما جلست كل من أونور وفيكتوريا على المقعدَين الآخرين.

عندما دخل أبي إلى الغرفة أخيرًا، لم يجلس. اتكأ على الحائط بالقُرب من تمثال المسيح وعقد ذراعَيه على صدره.

أخذ يوتاه نفسًا عميقًا، وكأنه يحاول تمالُك نفسه.

لا يمكن أن يكون متوترًا مِثلي. أعلم أنني أحاول التصرُّف بهدوء، لكن معدتي تقلصت منذ أن دخل من الباب قبل ساعة. لا أريد أن أتحدث عن هذا، ولا أريد أن أتحدث عنه بشكلٍ خاص أمام العائلة بأكملها. أعتقد أن هذا ما يحدث عندما تفضح كل شيء برسالة.

فرك يوتاه يدَيه معًا ثم هزهما، وهو لا يزال يمشي في غرفة المعيشة. الآن بعد أن أصبحنا جميعًا هنا، توقف أخيرًا. وقف أمامي مُحدقًا. لكنني لم أنظر إليه. أريده فقط أن يسرع ويُقدِّم اعتذاره الضعيف حتى نتمكن جميعًا من المضي قدمًا والاستمرار في التظاهر بأن ذلك لم يحدث.

قال: « أشعر أنني مدين للجميع بتفسير». بدأ بالمشي مجددًا، لكنني حدقتُ في يدي المُشبَّكتين أمامي. لا يزال لديَّ طلاء أظافر أسود على ظفر إبهامي، مُتبقٍّ من الشهر الماضي، لذا بدأتُ بتقشيره بأظافري الأخرى.

قال: «كنت في الثالثة عشرة من عمري، وميريت كانت في الثانية عشرة. وهذا صحيح... كل ما قالته. لكن هذا ليس أنا. كنتُ طفلًا، وكان الأمر غبيًّا، وقد ندمتُ على القيام بذلك منذ لحظة حدوثه».

صحت: «إذن لماذا فعلت ذلك؟» لم أستطع الصمت، صدمتُ من الغضب في صوتي وأنا أواصل تقشير الطلاء الموجود على إبهامي.

قال: «كنت في حيرةٍ من أمري، يأتي أصدقائي إلى المدرسة كل يومٍ ويتحدَّثون عن الفتيات. كنا جميعًا على وشك البلوغ وكانت هرموناتنا مجنونة، لكنني لم أهتم بالفتيات. كل ما كنتُ أفكر فيه هو الأولاد. اعتقدتُ أن هناك عطبًا ما بي.»

توقف أمامي مرةً أخرى، أعلم أنه ينظر إليَّ، ويريد منِّي أن أتواصل معه بصريًّا. لكني لم أستطع. في النهاية بدأ بالحديث بسرعةٍ مرة أخرى.

ـ «اعتقدت أنه ربما إذا قبلتُ فتاة، فإن ذلك سيُصلحني. لكنني كنتُ طفلًا، ولم أعرف أيَّ شيءٍ عن التقبيل أو الفتيات. كل ما عرفته هو أن هناك شخصًا واحدًا أرغب في تقبيله، ووفقًا للمجتمع، لم يكن من المُفترَض أن أرغب في تقبيل لوغان.»

أخيرًا رفعتُ عينيَّ لأشاهد يوتاه يتحدث للمحظة. لم يكن ناظرًا إليَّ. كان لا يزال يسير بخُطًى سريعة.

ـ «كتبت رسالة إلى لوغان في ذلك اليوم، أخبرتُه فيها أنني أُحبه. لكنه أراها للجميع على طاولة الغداء ثم وصفني بغريب الأطوار بينما أسرع مُبتعدًا. كنتُ مستاءً جدًّا. لم أُرِد أن أكون غريبًا، ولم أرغب في أن أُحِب لوغان. أردت فقط أن أكون ما اعتقدتُ أنه طبيعي. لذلك في تلك الليلة، لم أفكر حتى في عواقب ما أفعله. كنت يائسًا لإصلاح نفسي، لذلك قبلتُ ميريت، على أمل أن يحدث ذلك... لا أعرف. أملتُ أن أُعالج.»

ضغطت على عينيَّ المغلقتَين. لا أريد أن أسمع بعد الآن. لا أريد العودة إلى تلك اللحظة، ولا أريد سماع أعذاره.

ـ «بمجرد حدوث ذلك، علمتُ أنني فعلت شيئًا فظيعًا. هربتُ من غرفة نومي، وركضت إلى الحمام وتقيأت. شعرت بالاشمئزاز من نفسي. شعرت بالاشمئزاز مما فعلته لميريت. وقضيتُ كل يومٍ منذ ذلك الحين نادمًا على ذلك. أحاول التعويض عن ذلك.»

هززتُ رأسي محاولة حبس دموعي: «أنت كاذب.» قلتُ وأنا أنظر أخيرًا إليه. «أنت لم تفعل شيئًا لعينًا للتعويض عن ذلك! لم تشرح نفسك ولم تعتذِر لي قط!»

سالت الدموع من عينيَّ، لذا مسحتُها بغضب.

قال يوتاه: «ميريت».

حاولتُ استنشاق الهواء بأنفي ثم زفره بصعوبة. إنه صوت تنفُّسي الغاضب.

ـ «أرجوك انظري إليَّ.»

سقطت مرة أخرى على الأريكة ونظرتُ إليه. في الواقع، بدا نادمًا، لكن كان لدَيه يوم كامل للتدرُّب على هذا الخطاب. ضغط على الجزء الخلفي من رقبته ثم جلس القرفصاء أمامي حتى نكون على نفس مستوى النظر. عقدتُ ذراعيَّ على صدري وعانقت نفسي.

قال: «أنا آسِف جدًّا. كل يوم، كل ساعة، كل ثانية منذ ذلك الحين وأنا أشعر بالندم على تلك اللحظة. ولم أعتذِر قط بسبب ذلك... «. نظر إلى الأرض للحظة. عندما رفع عينَيه إلى عينيَّ، رأيتُ دموعًا فيهما. أكمل: «كنت آمُل أنك نسيت. صليتُ لتنسَي. لو كنتُ أعرف مدى تأثير ذلك عليك لفعلتُ كل ما بوسعي لتعويضك، أنا أعني ما أقول يا ميريت. حقيقة أنك تتذكَّرين، وأنك ظللتِ غاضبة منِّي طوال هذه السنوات.. لا أستطيع حتى أن أُخبرك بمدى الأسف الذي أشعر به».

انزلقت دمعة على ذقني وسقطت على ذراعي. فمسحتُها بكمِّ قميصي.

قال بصوتٍ يائس: «ميريت، من فضلك.. من فضلك أخبريهم أنني لم أفعل أي شيءٍ غير لائق منذ ذلك اليوم.» نظر إلى أونور ووقف قائلًا: «أنت أيضًا يا أونور.. أخبريهم.» قالها وهو يلوِّح نحوَ أبي.

أومأت أونور ونظرت إلى أبي: «إنه يقول الحقيقة يا أبي. لم يلمسني قط.»

نظر إليَّ أبي فأومأتُ برأسي أيضًا، لكنني لم أستطع التحدُّث. شعرت بالكثير من المشاعر العالِقة في حلقي. ولكنني فهمتُ من نظرة أبي أنه يريد التأكد من أنني أوافق على عودة يوتاه إلى المنزل مرةً أخرى.

نظر الجميع إليَّ، حتى يوتاه.

أومأتُ برأسي وتمكنتُ من التحدُّث أخيرًا، قلت: «أنا أُصدقه».

ظلت الغرفة هادئة للحظة. حتى نهضت فيكتوريا في النهاية قائلة: «حسنًا إذن.» بدأتْ بالسير نحو المطبخ، ثم استدارت وقالت: «سأكون ممتنَّةً لو قمتم جميعًا بتنظيف هذه الفوضى اللعينة التي أحدثتموها».

ضحك لاك بقوة. بينما نظر إليَّ يوتاه مُحركًا شفتَيه بجملة: «شكرًا لك».

نظرتُ بعيدًا عنه، لأنني لا أريده أن يعتقد أنني أُقدِّم له أي معروف. لا أستطيع أن أتخلى عن سنوات الغضب لمجرد أنه اعتذر أخيرًا.

قال أبي وهو يُصفق بيدَيه: «تم رفع الاجتماع. لقد سمعتم زوجة أبيكم. نظفوا فوضاكم.»

ربما حلَّ الاجتماع مشكلة، ولكنها مجرد واحدة من العديد من المشاكل التي تحتاج إلى معالجة في هذه العائلة.

قضينا الخمس عشرة دقيقة التالية في تنظيف المطبخ صامتين. لا أعتقد أن أيًّا منا يعرف حقًّا ما يقوله. لقد كان اجتماعًا عائليًّا هادئًا للغاية. لم يعتَد آل فوس على الكثير من الصدق في يومٍ واحد.

سأل لاك وهو يمسح الزجاج بقطعة قماش مُبللة: «كيف انتهى الأمر بصلصة البيتزا على النافذة؟ يبدو أنني فوَّتُّ معركةً جيدة.»

أغلقت غسالة الأطباق بمجرد تحميلها وضغطتُ على زرِّ البدء. غسلت أونور يدَيها في الحوض المجاور لي قائلة: «لدي صلصة بيتزا في صدريتي. سأذهب للاستحمام.»

سار يوتاه إلى مخزن المؤن وأمسك صندوق الرسائل الخاص به. من المؤكد أن هذه ستكون المرة الأولى التي يقوم فيها بتغيير الشاشة الاسمية ليلًا. مشى نحو الباب وتوقف، ثم استدار ونظر إليَّ سائلًا: «هل تريدين المساعدة؟»

دارت عيناي حول الغرفة حتى توقَّفَتا عند ساجان. لا أعلم لماذا تطلعتُ إليه ليُطمئنني. بصراحة لم أظل وحيدةً مع يوتاه في مكانٍ واحد منذ عدة سنوات، وكل هذا يبدو غريبًا جدًّا. أومأ لي ساجان برأسه قليلًا ليُخبرني بصمت أنني يجب أن أذهب مع يوتاه. لم يغب عن بالي أنني نظرتُ إلى ساجان للحصول على النصيحة. جففتُ يديَّ بالمنشفة وسرتُ نحو الباب الأمامي.

عندما صِرنا بالخارج وأغلقنا الباب الأمامي، ابتسم لي يوتاه، لكننا لم نقل شيئًا. سِرنا بصمتٍ حتى وصلنا إلى السرادق. وضع صندوق الرسائل على الأرض وبدأ في إزالة الحروف الموجودة بالفعل على اللافتة. مشيتُ إلى اللافتة وبدأت في سحب بعض الحروف.

سألني: «هل لديكِ اقتباس تريدين وضعه على اللافتة؟»

فكرت في الأمر للحظة ثم قلت: «نعم. نعم لدي.»

أشار إلى الصندوق قائلًا: «إنها مُرتّبة بالترتيب الأبجدي إذا كنت تريدين المضي قدمًا وسحبها.»

انحنيتُ وبدأت في سحب الحروف التي سأحتاجها من الصندوق بينما استمر في إزالة الكلمات من اللافتة. سألني: «هل لم تعلمي حقًّا أنني مثليُّ الجنس؟»

ضحكت: «لَمْ أعرف قط.»

انحنى ووضع آخِر الحروف في الصندوق سائلًا: «هل يُزعجك ذلك؟»

هززتُ رأسي: «لا، مُطْلَقًا.»

أومأ برأسه، لكنه لم يبدُ مقتنعًا. ثم تذكرتُ أنه ربما لا يزال يفكر في الرسالة التي كتبتُها وكل الأشياء البغيضة التي قلتُها له. فقلت: «يوتاه، أنا جادة. لا يُهمني أنك مثليُّ الجنس. أعلم أنني قلتُ أشياء سيئة في تلك الرسالة، لكنني كنتُ منزعجة. أنا حقًّا آسفة. كنا أطفالًا. وأنا أعلم ذلك... لقد أمضيتُ سنوات ضائعة في مُعاداتك.»

سحبتُ الحرف الأخير ووضعته على الأرض. عندما وقفت، وقف يوتاه أيضًا. تواصل معي بالعين للحظةٍ ثم قال: «أنا آسف أيضًا. حقيقة يا ميريت. أعني هذا.»

صِدقُ صوته جعلني أشعر بالكثير من المشاعر، يا إلهي! لقد سئمت من البكاء. لكنني بكيتُ على أي حال. بدأت الدموع الغبية تنهمر على خدي، لكنني لم أستطع منعها. كنتُ بحاجةٍ لسماعه يقول ذلك لفترة طويلة.

مد يوتاه يده إلى يدي وسحبني إلى عناقٍ شديد. ضغطتُ وجهي في صدره وهو يُعانقني كما ينبغي للأخ أن يُعانق أخته وهذا جعلني أبكي أكثر. لففتُ ذراعيَّ حوله وبمجرد أن فعلت، استطعتُ الشعور بكل الغضب الذي أُكنُّه تجاهه وهو يتبخَّر مع كل دمعة أذرفها.

قال: «سأكون أخًا أفضل. أعدك.»

أومأتُ برأسي الملتصقِ بصدره وقلت: «وأنا أيضًا.»

أطلق سراحي ثم قال: «دعينا نُنهي هذا ونعود إلى الداخل».

انتهينا من كتابة اللافتة وسِرنا نحو الباب الأمامي. بمجرد أن فتحناه، رأينا لاك جالسًا على طاولة المطبخ، ينظر إلى قطعةٍ من الورق بين يدَيه.

صرخ لاك: «أيها الوغد!»

أغلق يوتاه الباب وقال وهو يسير بصندوق الرسائل ليُعيده إلى مخزن المؤن: «ماذا الآن؟»

كان ساجان جالسًا مقابل لاك، الذي بدا غاضبًا للغاية.

ـ «أنا لا أبدو هكذا!»

ضحك ساجان. «لا تطلب منِّي أن أرسمك إذا كنت ستتجادل معي حول رؤيتي لك.»

دفع لاك كرسيه إلى الخلف وألقى الرسمة على ساجان: «إذا كانت هذه هي الطريقة التي تراني بها، فأنت فنان سيئ.» مشى إلى الثلاجة بينما ضحك ساجان بهدوء. مشيتُ إليه وأمسكتُ بالرسمة التي أغضبت لاك. قلبتُها فانفجرتُ في الضحك.

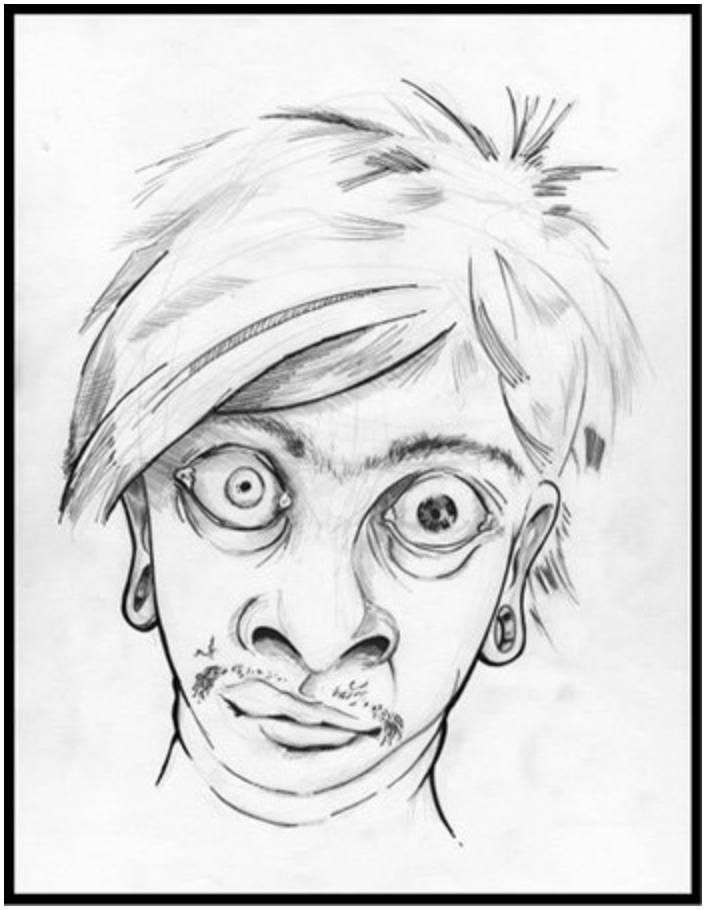

قال يوتاه: «دعيني أرى»، ناولتُه رسمة لاك فانفجر ضاحكًا: «واو» قال مناولًا الرسمة إلى ساجان ثانية، «هل تحقد عليه أو شيء من هذا القبيل؟»

ابتسم ساجان ووضع الرسمة في دفتر رسوماته فقال يوتاه: «في الواقع، دعني أحتفظ بها، لأبتزَّه بعد ذلك.»

دار لاك حول البار وحاول خطفها من يوتاه، لكن يوتاه رفعها في الهواء. حاول لاك الإمساك بها ثانيةً لكن يوتاه جرى في الرواق وفي أعقابه لاك.

قال ساجان مُستحوذًا على انتباهي ثانية: «تُعجبني اللافتة». نظرت من النافذة على المقولة التي وضعها يوتاه.

«ليس كل خطأ يستحقُّ عاقبة. أحيانًا الشيء الوحيد الذي يستحقُّه هو المغفرة.»

هززتُ كتفي: «سمعتها من شخصٍ ما.»

كان من الصعب عليَّ النظر إليه الآن لأن الكثير منِّي ما زال يُحِب الكثير منه. ولسببٍ ما، من الصعب عليَّ قبول الطريقة التي ينظر بها إليَّ. كأنه فخور بي.

لحُسن الحظ استقبل واحدةً من مكالماته الطارئة ثانية. على الأقل هذه المرة رفع إصبعًا وقال، «ثانية واحدة» بينما يسحب هاتفه.

لم أُعطِه ثانية. أعطيتُه الخصوصية الكاملة وأنا في طريقي إلى غرفتي. لقد مررتُ بما يكفي ليومٍ واحد. ورغم أنني نمتُ في معظمه، إلا إنني كنت مستعدة للنوم لما تبقى منه.

عندما وصلتُ غرفتي أدركتُ كم كان ساجان يعني ما قاله حرفيًّا حين قال: «ثانية واحدة.» لأنه طرق بابي تقريبًا فور أن أغلقته. عندما فتحتُه كان يضع هاتفه في جيبه.

لم أسأله لِمَ هو علي بابي أو ما الذي يريد الحديث عنه. فقط بدأتُ بسؤاله عن أكثر ما يشغلني. «لم تستقبل الكثير من المكالمات؟» إنه دائمًا ما يُجيب على هاتفه بغض النظر عما يكون في وسطه، إن هذا وقحٌ نوعًا ما.

«المكالمة التي أنتظرها لا تأتي أبدًا.» قال ماشيًا داخل غرفتي بلا دعوة.

ـ «تفضل بالدخول، أعتقد.»

تمشَّى ساجان في غرفتي ناظرًا إلى كل شيء. توقف أمام رف كئوسي. سألني: «متى بدأتِ في تجميعها؟»

مشيت إلى سريري وجلست: «سرقت أولهم من حبيبي الأول. انفصل عني بينما يُداعبني، وأصابني هذا بالغضب.»

ضحك ساجان والتقط القليل منها وفتَّش فيها: «لا أعلم لماذا أُحبُّك بهذا القدر.»

عضضتُ على خدي لأُخفي ابتسامتي.

وضع ساجان الكأس على الخزانة وواجهني: «هل تريدين وشمًا؟»

توقف قلبي من الفكرة: «الآن؟»

أومأ: «إن أقسمتِ ألا تُخبري أحدًا.»

ـ «أقسم.»

حاولتُ ألا أبتسِم لكني كنتُ متحمسة للغاية. أومأ ساجان برأسه تجاه غرفته وتبعته عبر الرواق. سحب كرسي مكتبه قرب السرير وأشار لي أن أجلس عليه. بدأ بالعبث في صندوق معدات الوشم الذي سحبَه من خزانته.

ـ «أيَّ شكل تودِّين؟»

ـ «لا أهتم. اختر أنت.»

نظر إليَّ ورفع حاجبًا: «أتريدين منِّي اختيار الوشم الذي سيُطبع بشكلٍ دائمٍ على جلدك لما تبقَّى من حياتك؟»

أومأت: «هل هذا غريب؟»

ضحك بهدوء: «كل شيءٍ تفعلينه غريب.»

وقبل أن أتمكن من التعقيب على تعليقه قال: «وهذا ما أُفضِّله فيك.»

سحب قطعةً من ورق الطبع وقلمًا، بعدها وضعها على خزانته وبدأ في رسم شيءٍ ما. قال: «لديك خمس دقائق لتغيير رأيك.»

شاهدتُه يرسُم وشمي لمدة خمس دقائق. لكن لم يُمكنني رؤيته بسبب طريقة تموضعه. عندما انتهى، لم أكن قد غيرتُ رأيي. مشى إلى باب الغرفة وأغلقه. «لو رأى أي أحدٍ هذا، من الأفضل أن تكذبي وتقولي أنكِ حصلتِ عليه من شخصٍ آخر.»

حاولتُ التلصص على الرسمة عندما مشى بالقرب مني. لكنه خبَّأها قائلًا: «لا يمكنك رؤيتها بعد.»

سقط فمي مفتوحًا: «لم أقل إنني سأدَعُكَ ترسُم لي وشمًا قبل أن ينال موافقتي.»

ابتسم: «أعدك ألا تكرهيه.» جذب ذراعي من كمِّي سائلًا: «هل يُمكنني رسمه هنا؟» ولمس أعلى المنطقة اليُمنى من ظهري. «سأرسمه صغيرًا.»

أومأتُ وأغلقت عينيَّ منتظرة في تحفُّز أن يبدأ. جلس على السرير مع كل أدوات الوشم بجواره. جلستُ في مواجهة الاتجاه الآخر وكان ذلك في الواقع مريحًا. لم أرد مشاهدته طوال الوقت. فقد تظهر أفكاري على وجهي بوضوح.

طبع الوشم على جلدي أولًا، وبعدها ناوَلَني وسادة لاحتضنها فوق الكرسي مباشرة قبل أن يبدأ. اللسعة الأولى كانت مؤلِمة، لكني أطبقتُ عينيَّ بقوة محاولة التركيز على التنفس. في الواقع لم تكن مؤلِمة كما توقَّعتُها أن تكون، لكنه بالتأكيد ليس شعورًا جيدًا. حاولتُ التركيز على شيءٍ آخر، لذا قررت محادثته.

ـ «ماذا يعني الوشم على ذراعك؟ هذا الذي يقول، (دورك يا دكتور).»

شعرت بدفقةٍ من الهواء الدافئ على عنقي عندما تنهَّد. توقف ساجان للحظة حتى توقفت عن الارتجاف. بعدها أكمل دقَّ الوشم ثانية.

«إنها قصة طويلة» قال محاولًا صرف الموضوع ثانية.

ـ «من الجيد أننا جميعًا لدَينا الوقت.»

ظل صامتًا طوال فترة عملِه على الوشم حتى افترضتُ أنه لن يستطرد كالعادة. لكن بعدها قال: «أتتذكَّرين عندما أخبرتُك أن العلَم على ذراعي كان شعار المعارضة السورية؟»

أومأت: «نعم. قلتَ إن والدك وُلد هناك.»

ـ «نعم، ولد هناك. لكن أُمِّي أمريكية. من كنساس، في الواقع لقد وُلدتُ هناك.» توقف عن الحديث للحظةٍ بينما ركَّز على الوشم، لكن بعدها أكمل: «هل تعرفين أي شيءٍ عن أزمة اللاجئين السوريين؟»

هززتُ رأسي وأنا مُمتنَّة أنه أخيرًا في مزاج مناسب للتحدث. هذا الوشم آلَمني قليلًا أكثر مما تخيلتُ واحتجتُ إلى إلهاء.

ـ «سمعتُ عنها. لكني حقًّا لا أعرف الكثير عنها.» الكثير تعني لا شيء.

قال ساجان: «نعم، هم لا يُدرسونها في المدارس هنا.»

ظلَّ صامتًا لمزيدٍ من الثواني القليلة المؤلمة، لكن بعدها تحرك إلى بقعة مختلفة من كتفي وشعرت ببعض الارتياح. بدأ الحديث مجددًا. لم أفعل شيئًا سوى الاستماع إليه.

ـ «ظلَّت سوريا تحت حكم دكتاتوري لفترة طويلة وحتى الآن. لهذا انتقل والدي إلى أمريكا لدراسة الطب. الكثير من الدول حول سوريا الحُكام فيها دكتاتوريون. حسنًا، منذ سنوات عديدة مضت، بدأ شيء يُسمَّى الربيع العربي. الكثير من المواطنين في تلك البلدان بدءوا في تنظيم الاحتجاجات والمظاهرات في محاولة للإطاحة بالدكتاتوريين. أراد الناس أن تكون بلادهم أقلَّ فسادًا. أرادوا أن تُدار بلادهم بمزيدٍ من الديمقراطية والشفافية والتوازن. نجحَت التظاهرات في تونس ومصر وتنحَّى الحكام. ووُضع شكلٌ جديدٌ للحكم. بعد ذلك، أمل الناس في سوريا والدول الأخرى أن يحدُث المِثل في بلادهم أيضًا.»

ـ «إذن هذا العلَم بشكلٍ ما مُرتبط بسوريا؟»

ـ «نعم. يعتقد الكثيرون أنه ما بدأ الثورة. الحاكم السوري بشار الأسد درس ليُصبح طبيبًا للعيون قبل وفاة والده ليتولَّى السلطة بدلًا منه كحاكمٍ جديد لسوريا. ولقب شهرة بشار هو دكتور. حسنًا .. مجموعة من أطفال المدارس رسموا جرافيتي على جدار مدرستهم بالكلمات: ( دورك يا دكتور). كانوا يُعبرون بالضرورة عما أملَ الكثيرون في سوريا بصمتٍ أن يحدث. أن يتنحَّى الدكتور كما فعل حُكام مصر وتونس، من أجل السماح بالحكم الديمقراطي في سوريا.»

رفعت يدي لأوقِفه. كنتُ أستوعب كل ما قال لكن كان لديَّ العديد من الأسئلة: «أعلم أنني قد أبدو غبية، لكن، في أي سنةٍ حدث ذلك؟»

- «2011.»

ـ «هل تنحَّى الدكتور بعد ذلك؟»

مسح ساجان على وشمي ثانيةً وبعدها ضغط بالإبرة على جلدي. جفلتُ عندما قال: «فعل العكس. في الواقع حبس وعذَّب الأطفال المسئولين عن الجرافيتي.»

كدتُ ألتفِتُ إليه، لكنه وضع يده بحزم على كتفي. سألته: «اعتقل الأطفال؟»

ـ «أراد أن يُوصِّل رسالة لأهل سوريا أنه ليس هناك تسامح مع المعارضة. لم يأبه بكونهم أطفالًا. عندما طالب ذووهم باطلاق سراح أطفالهم، لم تستمع الحكومة. في الواقع أحد الضباط في القيادة قال لهم «انسوا أطفالكم. أنجبوا أطفالًا آخرين. وإن لم تعرفوا كيفية إنجاب المزيد. سأُرسِل من يُعلمكم.»

همست: «يا إلهي!»

ـ «لم أقل إنها ستكون قصة جيدة، بمجرد أسْر الدكتور للأطفال المتورطين، خرج الناس في مدينة درعا للشوارع. بدأت الاحتجاجات والمظاهرات في الحدوث، لكن بدلًا من التوصل إلى تسويةٍ واجهت الحكومة المظاهرات بالقوة القاتلة. الكثير من الأشخاص قُتلوا. وهذا حرك التظاهرات في أنحاء العالم. طالب الناس الدكتور بالتنحِّي. لكنه رفض، وعوضًا عن ذلك. استخدم القوة العسكرية لقمع المتظاهرين بصورةٍ أكثر ضراوة. تصاعد العنف وتحوَّل سريعًا لحربٍ أهلية. وهذا سبب وجود أزمة لاجئين الآن. تقريبًا مات نصف مليون من البشر حتى الآن واضطُر الملايين للفرار من البلاد لينجوا بحياتهم.»

لم أستطع التحدُّث. لم أعرف ماذا أقول له. لم أستطع طمأنته لأنه لم يُوجَد أي شيءٍ مطمئن في القصة. وبصراحة شعرتُ بالإحراج لأنني لا أعرف أيًّا من ذلك. أري العناوين على الإنترنت وفي الجرائد لكني لم أفهم قطُّ أيًّا منها. لم تؤثر فيَّ بشكلٍ مباشر أبدًا لذا لم أفكر حتى في النظر إليها من قبل.

توقف عن دقِّ الوشم لكني لم أعرف حتى إن كان قد انتهى، لذا لم أتحرك. قال: «انتقلنا إلى سوريا عندما كنتُ في العاشرة»، قال بصوتٍ أهدأ، «أبي جراح، فتح هو وأمي عيادة طبية هناك. لكن بعد العيش لسنة، عندما ساءت الأمور أرسلَني والداي إلى هنا ثانيةً لأعيش مع أجدادي إلى أن يتمكن أبي من الحصول على تأشيرةٍ للعودة إلى الوطن. أُمي كانت على وشك ولادة أختي الصغيرة لذا لم تتمكن من الطيران وقتها. أخبروني أن الأمر سيستغرق فقط ثلاثة أشهر، لكن قبل أن يتمكنوا من العودة إلى الوطن مباشرة...»

خفتَ صوته حتى تلاشي. وبما أنه لم يعُد يدقُّ الوشم، استدرتُ لأنظر إليه. جلس ويداه مشبوكتان بين ركبتَيه، ناظرًا للأسفل. عندما نظر إليَّ، كانت عيناه حمراوين لكنه ظل متماسكًا.

ـ «قبل عودتهم للوطن، انقطع التواصُل فجأة. تحوَّلوا من الاتصال كل يوم إلى الصمت التام. لم أسمع عنهم منذ سبع سنوات.»

غطيتُ فمي مصدومة.

جلس ساجان برزانةٍ محدقًا في يدَيه ثانية. كلتا يديَّ ضغطتا على فمي غير مُصدقة. لا يُمكنني تصديق أن هذه هي حياته.

لذلك يردُّ على الهاتف دائمًا بهذا الاستعجال. لأنه يأمُل دائمًا أن تكون هناك أخبار جديدة عن عائلته. لم أستطع تخيُّل معاناة سبع سنواتٍ من عدم المعرفة.

همست: «أشعر بأني حمقاء. إن مشاكلي لا شيء بالمقارنة بما تعانيه...»

نظر إليَّ بعينَين جافتَين تمامًا. أعتقد أن هذا هو الأكثر حزنًا، أنه اعتاد على حياته لدرجة أنها لم تعُد تُبكيه لكل ثانية من اليوم.

وضع يده على مقعدي وقال: «أنت لستِ حمقاء يا مير.» أدارني مرةً أخرى للاتجاه المعاكس قائلًا: «اثبتي. تقريبًا انتهيت.»

جلسنا في صمتٍ بينما يُنهي وشمي. لم أستطع التوقُّف عن التفكير في كل شيءٍ حدث معه. شعرتُ بتقلُّص أمعائي. وشعرت بالفعل بأنني حمقاء. قرأ خطابًا كتبتُه أشتكي فيه من كل عائلتي ومشاكلنا التافهة. وهو لا يعلم حتى إن كانت عائلته على قيد الحياة.

همس: «انتهيت». نظَّفه بشيء ما بارد وبعدها بدأ في وضع ضمَّادة فوقه.

ـ «انتظر، أريد أن أراه أولًا.»

هز رأسه: «ليس بعد. أريدُك أن تحتفظي بالضمَّادة حتى يوم السبت.»

ـ «السبت؟ لا أستطيع الانتظار إلا ليوم الخميس.»

ـ «أريدك أن تنتظري لفترةٍ أطول قليلًا.»

قالها وابتسم. أحببتُ أنه ابتسم رغم كل ثقل مُحادثتنا. حتى ولو مكرهًا. أكمل: «سأدهن لك المُرطِّب كل بضع ساعاتٍ حتى ذلك الحين.»

أحببتُ الفكرة، لذا وافقتُ على استحياء: «على الأقل أخبرني ماذا يكون.»

ـ «سترينه يوم السبت.»

بدأ تنظيف الفوضى التي أحدثها. وقفتُ ودفعت الكرسي إلى المكتب. وضع صندوق مُعدَّاته في خزانته.

بينما أُشاهده، تغلَّب عليَّ شعور بالتعاطف تجاهه.

لكل ما مرَّ به. مشيتُ إليه ووضعت ذراعي حول خصره، وأسندت رأسي على صدره.

فقط أردتُ احتضانه بعد سماع كل ذلك. وبالاستناد إلى أنه أحاطني بذراعَيه وتقبل الحضن بلا سؤال، فلا بد أنه احتاجه أيضًا.

وقفنا هكذا لمدة دقيقةٍ كاملة قبل أن يطبع قبلةً أعلى رأسي.

ـ «شكرًا على ذلك.»

أومأت: «ليلة سعيدة.»

ابتسم في امتنان: «ليلة سعيدة يا ميريت.»

# الفصل الرابع عشر

ـ «هل أنتَ متحمس لهذا اليوم؟»

صرخ موبي من الردهة: «نعم!»

ـ «متحمس فقط؟»

ـ «متحمس جدًّا!»

سأل يوتاه: «متحمس جدًّا؟»

صرخ موبي مرةً أخرى: «متحمِّس جدًّا جدًّا!»

عادة، كانت هذه المحادثة تجعلني أقلِّب عينيَّ في هذا الصباح الباكر. لكن ذلك كان قبل الليلة الماضية، عندما بدأتُ أُحب يوتاه كأخٍ مرة أخرى.

لا يزال أبي لا يعلم أنني تركتُ المدرسة، لذلك أجبرت نفسي على النهوض من السرير. غسلتُ أسناني وأصلحتُ شعري وارتديتُ ملابسي وقمت بنفس الروتين الذي أقوم به كل صباح تقريبًا. وددتُ لو أخبرتُه بالحقيقة، لكنني لست متأكدة من رغبتي في التعامُل مع العواقب الآن. يبدو الأمر وكأن العمر قد حُشِر في الأيام القليلة الماضية.

سأنتظر أسبوعًا آخر قبل أن أُخبره. ربما اثنين.

أو الأفضل من ذلك، سأخبره أنني تركت الدراسة عندما يشرح أخيرًا سبب تناول أمي لأقراص الدواء الوهمي.

عندما دخلت المطبخ، كانت أونور وساجان يجلسان مُتجاوِرَين على الطاولة. ضحِكَت على شيءٍ قاله، مما جعلني أشعر بالارتياح قليلًا لرؤيتها تبتسِم. ربما ستتوقف عن الغضب منِّي الآن بعد أن تصالحْتُ مع يوتاه.

أو ربما لا..

بمجرد أن رأتني اختفت ابتسامتها. أعادت تركيز انتباهها على العصير الموجود أمامها، وحركت الماصَّة في كل اتجاه.

على الأقل ابتسم لي ساجان. ابتسمتُ بقلق، بالتأكيد بدوتُ في غاية الحمق وأنا أفعل ذلك.

قال يوتاه: «ميريت، تذوَّقي هذا». ثم دفع إحدى عصائره في وجهي وحاول لصق الماصة في فمي.

قلتُ وأنا أدفع بذراعه والعصير بعيدًا: «يع، أنا لا أتذوَّق هذا الهراء.»

دفعه نحوي مرة أخرى: «إنه جيد. أعدك، فقط تذوَّقيه.»

تناولت العصير وتذوقتُ هذا الشيء اللعين. من المؤكد أن مذاقه يبدو كما لو أن شخصًا ما أخذ مجموعةً من الخضراوات ومزجَها معًا وألقى بعض الفيتامينات التي بلا طعمٍ في المزيج. جفلتُ وأعدتُه إليه قائلة: «مُقزز.»

قال ساجان: «حمقاء».

انفتح الباب الخلفي ودخل منه أبي، قال وهو ينفض التراب عن يدَيه: «هناك خطأ ما في هذا الكلب». مسح يدَيه بالمنشفة وأكمل: «هل كان خاملًا إلى هذا الحد منذ ظهوره؟»

رددتُ بلامبالاة: «لقد بدا جيدًا بالأمس.» مشيتُ أمامه وخرجت من الباب الخلفي. سمعت ساجان وهو يتبعني. وصلنا نحن الثلاثة إلى بيت وولفجانج، ركعتُ ولمستُه على قمة رأسه: «أهلا صديقي.»

نظر إليَّ بنفس القدْر من الحماس الذي كان يتمتع به منذ ظهوره ليلة الأحد. ارتعش ذيلُه مرة أخرى، لكنه لم يبذل أي جهدٍ للوقوف. أو لعق يدي.

سألني أبي: «هل كان يتصرَّف بهذه الطريقة طوال الأسبوع؟»

أومأتُ برأسي بينما جلس أبي. مرَّر يدَه على ظهر وولفجانج وهو بصراحة مشهد لم أعتقد أنني سأراه أبدًا. أبي وهذا الكلب.. معًا من جديد.

قلت: «اعتقدتُ أنه مكتئب فقط». شعرت بالأسف لأنني لم ألحظ حالته، لكنني لا أعرف شيئًا عن الكلاب.

قال ساجان: «اتصلتُ بالطبيب البيطري بالأمس». وأضاف: «لقد قالوا إن بإمكانهم فحصه غدًا، لكنني لا أعتقد أنه يستطيع الانتظار كل هذا الوقت».

سأله أبي: «أي طبيب بيطري؟»

«العيادة على الطريق الثلاثين، بالقرب من متجر جود ويل.»

قال أبي: «هذا قريب من العمل». ربَّت يده على وولفجانج وأكمل: «سأوصله في طريقي، لأ رى ما إذا كا ن بإ مكانهم فحصه فورًا. » أشار أ بي برأسه نحو البوابة الواقعة على جا نب المنزل وقال: «ميريت، اذهبي وافتحي تلك البوابة حتى أتمكن من إيصاله إلى شاحنتي.»

ركضتُ وفتحت البوابة، ثم ركضت وفتحت باب الركاب لشاحنة أبي. وضع وولفجانج على مقعد الراكب. لا يبدو أن الكلب مُهتم بما نفعله، قلت: «هل تعتقد أنه سيكون بخير؟»

قال أبي: «لا أعرف». «سأُخبرك بما يقولون.» سار نحو جانب السائق وصعد إلى الشاحنة. بدأ بالتراجُع، لكنه أوقف الشاحنة، ناداني فتوجهتُ نحو نافذته. قال وهو يُسلمني كيسًا: «لقد نسيتُ أ ن أعطيك هذه في تلك الليلة عندما طلبتها» . أخذته منه وراقبتُه و هو يواصل التراجع في الممر.

بمجرد رحيله، فتحت الكيس. بداخله كأس. لقد نسيتُ أنني طلبت منه هذا. أخرجت الكأس، كان تمثالًا للاعب تنس.

سألني ساجان: «بماذا فزتِ هذه المرة؟»

قرأت اللوحة الصغيرة الموجودة أسفل الكأس: «كأس أبطال الولاية للتنس لعام 2005.»

ضحك. «لقد كنتِ طفلةً صغيرة معجزة إذن.» مشى إلى سيارته وفتح الباب: «هل تحتاجين إلى توصيلةٍ إلى المدرسة اليوم؟»

ضيقتُ عينيَّ. إنه يعلم أنني لا أذهب إلى المدرسة، فقلت: «محاولة جيدة.»

ركب سيارته وقال وهو يغلق الباب: «لا يزال الأمر يستحقُّ المحاولة». فتح النافذة وقال: «سأرسل إليك رسالةً نصية إذا تلقيتُ أي تحديثات حول وولفجانج من والدك.»

أومأتُ برأسي، ولكن بعد ذلك أدرتُ رأسي نحوه سائلة: «لماذا يُعطيك التحديثات؟»

ـ «لأن.. أنا أعمل لديه؟»

ـ «حقًّا؟» رائع. لم أعرف شيئًا عن ذلك.

ضحك: «فعلاً لا تعرفين ذلك؟»

هززت رأسي: «أعلم أن لديك وظيفة، لكنني لم أسأل قطُّ ما هي.»

ـ «وظَّفني أبوك وسمح لي بالانتقال إلى منزله في اليوم الأول الذي التقيتُه فيه. ولهذا السبب أُحبُّه كثيرًا، على الرغم من أنك لا تستطيعين تحمُّله في معظم الأوقات.»

نظر إليَّ من فوق كتفه وخرج من الممر. قبل أن يقف على الطريق، لوَّح لي بإشارة صغيرة. لوحتُ له وأنا أشاهده يقود سيارته.

لا أعرف لِكَم من الوقت ظللتُ واقفة في الممر أراقب الطريق الخالي. شعرتُ بشيء مثل.. الضياع؟ لا أعرف. لا شيء منطقي حقًّا هذا الأسبوع.

عدتُ إلى الداخل وقضيتُ الساعات القليلة التالية في إضاعة الوقت.

قضيتُ معظم الوقت في مشاهدة التليفزيون، لكنني لم أستطع التوقُّف عن التحقُّق من هاتفي انتظارًا لأي أخبارٍ عن ولفجانج. لكني لم أتلقَّ شيئًا من أبي. تلقيتُ رسالة نصية واحدة فقط وكانت من أُمي تسألني عما إذا كنتُ سأزورها في الطابق السفلي في أي وقتٍ بعد ظهر هذا اليوم. رددتُ عليها وأخبرتها أنني مشغولة. فأجابت: «حسنًا. ربما غدًا.»

أعلم أنني أقسمتُ بأنني لن أذهب إلى الطابق السفلي مرة أخرى، لكنني قلت ذلك فقط عندما كنتُ غاضبة. سأزورها في النهاية، لكني ما زلت مستاءةً منها، ومِن أبي. لا أعرف فعلًا لماذا وافقت فيكتوريا على العيش في مثل هذه البيئة الزوجية الغريبة.

وما زلتُ لا أعرف ما هي فائدة حبوب الدواء الوهمي.

أكره أن يكون لديَّ أي نوع من الاستياء في داخلي بعدما سمعتُ ما يمر به ساجان. لكن لسببٍ ما، لم تُلغِ مشكلاته مشكلاتي على الإطلاق وأنا أكره ذلك. أكره أنني ما زلتُ متأثرةً عاطفيًّا بالاختيارات السيئة لوالديَّ، في حين أنني محظوظة لأنهما على قيد الحياة. يجعلني هذا أشعر بالضعف. وبالتفاهة.

ركلتُ قدمي في طاولة المطبخ وأرسلتُ رسالةً نصية إلى أبي.

*أنا: هل هناك أي خبر من الطبيب البيطري؟*

انتظرتُ أيَّ رسالة منه، لكنه لم يرد. وضعتُ الهاتف جانبًا وسحبتُ الكلمات المتقاطعة من فوق الطاولة. رنَّ هاتفي، فتناولتُه للتحقق من هوية المتصل. ابتسمت عندما رأيت اسم ساجان.

ـ «مرحبًا؟»

ـ «أهلًا..» بدا صوته ثقيلاً، كما لو كان يسحب الكلمة بصعوبة.

ـ «ماذا حدث؟»

تنهَّد في الهاتف: «أراد أبوك أن أتصل بك. إنه.. آه.. وولفجانج.. لقد مات وهو في طريقه إلى الطبيب البيطري.

كدتُ أُسقط هاتفي: «ماذا؟ كيف؟»

ـ «لا أعرف.. بالتأكيد من الشيخوخة».

تنهَّدتُ ومسحت دمعةً نزلت دون أن أشعر.

ـ «هل أنت بخير؟»

ـ «نعم» قلتُ وأنا أتنهَّد مرة أخرى: «أنا فقط... هل أبي بخير؟»

ـ «أنا متأكد من أنه كذلك. لقد ذكر أننا قد نذهب لدفنِه لاحقًا. ربما في كنيسة القس برايان، لذلك سأتأخَّر عن المعتاد. سوف أُرسل لك رسالة.»

ـ «حسنًا. شكرًا على إعلامي.»

ـ «أراك الليلة.»

أنهيتُ المكالمة وحدقتُ في هاتفي لمدة خمس دقائق كاملة قبل أن أتحرك. أنا مندهشة من حزني. بخلاف العيش في الفناء المجاور للكلب عندما كنتُ طفلة، لم أتفاعل معه إلا لبضعة أيام فقط. لكن الأسبوع الأخير من حياة ذلك الكلب المسكين كان بمثابة حماقةٍ كاملة. ماتَ صاحبه ثم سار عدة أميال تحت المطر في منتصف الليل لينتهيَ به الأمر بالمرض والموت وسط غرباء. أنا سعيدة لأنهم سيدفنونه بجوار القس برايان. أنا متأكدة من أنهما يريدان ذلك.

لم أسمع من ساجان أو أبي لعدة ساعات. كان الوضع في المنزل متوترًا، لذلك ظللتُ في غرفتي معظم المساء. لم تطبخ فيكتوريا حتى، لذلك أكل كلٌّ شخص فينا بمفرده.

نظفتُ الفوضى الناجمة عن عشائي المجمَّد عندما رن هاتف يوتاه. كان جالسًا على الأريكة بجوار أونور ولاك يشاهدون التليفزيون، لكن هاتفه كان بجواري على بار المطبخ.

سألني «من المُتصل؟»

ألقيتُ نظرة على هوية المتصل، لكنه كان رقمًا غير محفوظ، قلت: «لا أعرف. إنه رقم محلي، لكن بلا اسم».

«هل يُمكنك الرد عليه؟»

جففتُ يدي بالمنشفة وأمسكتُ بهاتفه.

ـ «مرحبًا؟»

ـ «أونور؟»

ـ «لا، أنا ميريت.»

قال أبي: «ميريت، أين يوتاه؟»

ـ «إنه في غرفة المعيشة. ماذا هناك؟»

تنهَّد: «نحن.. نحن بحاجة إلى شخصٍ ما ليصحبنا إلى المنزل».

ضحكت.. هل هذا نوع من المزاح؟ قلت: «أنت تمتلك ثمانين سيارة. لماذا بحقِّ الله تحتاج إلى أحد ليصحبك؟ «

ـ «نحن.. آه.. في السجن.»

أبعدتُ الهاتف عن أذني وفتحتُ مكبر الصوت. أشرتُ ليوتاه ليكتم صوت التليفزيون. قلت: «ماذا تقصد بأنك في السجن؟ ومن أنتم؟ هل ساجان في السجن أيضًا؟

ـ «إنها قصة طويلة. سأُخبرك عندما تأتين.»

سأل يوتاه وهو يدلف إلى المطبخ: «من في السجن؟» أشرتُ له بأن يصمت حتى أتمكن من سماع أبي.

ـ «هل نحتاج مثل.. بعض المال للكفالة؟ لم أُخرج أحدًا من السجن من قبل.»

ـ «لا، نحن فقط بحاجة إلى شخصٍ ليأخذنا. نحن هنا منذ ساعتَين في انتظار السماح لنا بإجراء مكالمة هاتفية.»

أنهيتُ المكالمة: «تمام. نحن في طريقنا.»

سألني يوتاه: «لماذا هما في السجن؟»

ـ «لا أعرف. هل يجب أن نُخبر فيكتوريا؟»

دخلت فيكتوريا إلى المطبخ في توقيتٍ مثالي: صاحت: «تُخبرونني بماذا؟»

قال يوتاه وهو يستدير لمواجهتها: «أبي في السجن، مع ساجان.»

تجمَّدَت مكانها صائحة: «ماذا؟»

قال يوتا: «لا أعرف ماذا فعل، لكنني لا أستطيع الانتظار لمعرفة ذلك». كان لاك وأونور موجودين الآن في المطبخ. نظرنا جميعًا بعضنا إلى بعض وكأننا لا نعرف ماذا نفعل. أمر طبيعي، فنحن لا نذهب كل يوم لإحضار والِدنا من السجن.

قالت فيكتوريا: «اتصلي بي بمجرد وصولكم إليه، لا بدَّ لي من البقاء مع موبي.»

أومأتُ برأسي وتوجهتُ إلى غرفتي للبحث عن حذائي. ماذا حدث في هذا العالم؟

# الفصل الخامس عشر

لا أعرف ما الذي كنتُ أتوقعه، ولكن عندما خرج أبي وساجان من أبواب السجن، بدوا طبيعيَّين. انتظرنا في موقف السيارات لأكثر من ساعة حتى يتمكنا من إنهاء أوراقهما. كل ما أخبرانا به هو أنه تم القبض عليهما بتهمة التدنيس. أنا لا أعرف حتى ماذا يعني ذلك.

تمنيتُ الركض نحو ساجان ومعانقته، لكنني لم أفعل. وخاصة أننا لسنا وحدنا. بدلًا من ذلك، انتظرتُ حتى يصل إلى السيارة وضغطت على يده خلسة.

سألهما يوتاه: «ماذا فعلتُما يا رفاق؟»

فتح أبي باب الراكب في الشاحنة قائلًا: «كنا نحاول دفن كلبٍ لعين، هذا ما كنا نفعله.» جلس وأغلق بابه. فنظرنا جميعًا إلى ساجان الذي ارتسمت على وجهه تعبيرات غاضبة. قال: «حاولتُ إخباره أنها فكرة سيئة».

سأله لاك: «دفن الكلب؟»

هز ساجان رأسه: «ظننتُ أننا سندفنه في الكنيسة، لكن.. كان لدى أبوك خطة مختلفة.»

سألته أونور: «لا.. لم يفعل..»

وردَّد يوتاه: «لم يفعل ماذا؟»

أجابهما ساجان: «أراد أن يدفنه مع القس برايان».

سأل لاك: «في المقبرة؟»

سألته بدوري: «هل قُبض عليكما بتهمة تدنيس قبر؟»

أومأ ساجان: «أعني، من الناحية الفنية، كنا نحفر حفرةً بالقرب من القس برايان، ولكن عندما تُمسك بك الشرطة في المقبرة بالمجارف، فإنهم لا يهتمُّون حقًّا بالتفسير».

صاح يوتاه: «يا إلهي».

صرخ أبي: «اصعدوا إلى الشاحنة!»

صعدنا جميعًا إلى الشاحنة. انتهى بي الأمر في المقعد الخلفي مع ساجان، بالتأكيد لا أمانع ذلك. أدار يوتاه الشاحنة، ولكن قبل أن نخرج من مركز الشرطة مباشرة، وصلت سيارة

الدورية. فأنزل أبي زجاج النافذة.

قال ساجان: «أوه، لا».

ـ «ماذا؟»

أومأ برأسه نحو رجال الشرطة الذين يخرجون من السيارة: «إنهم هم الذين اعتقلونا»

صحت: «أبي»، لا أريده أن يفعل أي شيءٍ غبي.

سأل أبي الضابط: «ماذا فعلتم بالكلب؟»

اقترب الشرطي الذي كان يقود السيارة نحو النافذة. وقال: «دفنَّاه في كنيسة القس برايان، في نفس المكان الذي ربما كان ينبغي عليك دفنه فيه.»

ـ «نعم في الواقع.. فات الأوان على كل هذا القرف». لوَّح بيده إلى يوتاه مكملًا: «دعنا نذهب.»

تراجع يوتاه بينما نقر الشرطي على الجزء العلوي من غطاء المُحرك قبل أن يستدير نحو مركز الشرطة. راقبتُه من النافذة وهو يضحك مع الشرطي الآخر.

قالت أونور من المقعد الذي أمامنا: «عظيم. شائعة أخرى تخصُّ عائلة فوس».

قال ساجان: «من الناحية الفنية، هذه ليست شائعة، ضبطونا نحفر بالفعل في مقبرة دون تصريح. هذا غير قانوني.»

استدارت أونور قائلة: «أعلم ذلك، لكن البلدة بأكملها ستعتقد الآن أن أبي كان يحاول استخراج القس برايان من قبره. الجميع يعرف أنه مُلحد، والآن ستنتشِر شائعات عن رغبته في أداء طقوس شيطانية على جثته».

قال أبي من المقعد الأمامي: «لن يكون هذا أسوأ مما قاله الناس عنا».

استدارت أونور إلى الأمام مرة أخرى: «أعتقد أن الأمر لن يكون سيئًا للغاية إذ لم تكن معظم الشائعات صحيحة.»

نظر أبي إليها في مرآة الرؤية الخلفية قائلًا: «هل تقولين أنك تخجلين من كونك من آل فوس؟»

تنهَّدت أونور: «لا. أنا فقط أشعر بالخجل من كوني ابنتك.»

همس لاك: «أوه، اللعنة».

استدار أبي: «ولماذا هذا يا أونور؟»

قال يوتاه: «أبي.. أعطها قسطًا من الراحة. لقد كان أسبوعًا مجنونًا».

قالت أونور ساخرة: «أوه، لا أعرف، ربما لأنك لا تعرف أساسيات كونك زوجًا أو أبًا محترمًا؟»

استدار أبي وفتح بابه صائحًا: «أوقف الشاحنة.»

قال يوتاه: «ماذا؟ لا».

صرخ أبي: «أوقف الشاحنة!»

قلت: «فقط أوقف الشاحنة يا يوتاه». إذا كان أبي على وشك الإصابة بانهيار عصبي، فأنا أفضل أن يكون ذلك خارج الشاحنة بدلًا من داخلها.

ولكن قبل أن يبدأ يوتاه في وضع ناقل الحركة على التوقُّف، فتح أبي بابه، وقفز من الشاحنة. شاهدناه جميعًا، مذهولين، وهو يبدأ في ركل الحصى على جانب الطريق. لم أره قط بهذا الجنون.

سألت ساجان: «هل هو بخير؟»

هز ساجان كتفَيه: «بدا بخير بعد أن قُبض علينا. حتى إنه ضحك بشأن ذلك.»

فتح يوتا الباب الجانبي للمسائق ودار حول الشاحنة. فتحت أونور الباب الجانبي وبدأ الجميع في الخروج. بمجرد وقوفنا جميعًا بجوار الشاحنة، أوقف أبي هجومه على الحصى لفترة كافية لالتقاط أنفاسه. ولوَّح بيده في وجوهنا.

ـ «هل تعتقدون أنه لمجرد أنني شخصٌ بالِغ فقد فهمتُ كل شيء؟ هل تعتقدون أنه لا يُسمح لي بارتكاب الأخطاء؟»

لم يصرخ، لكن بالتأكيد صوته لم يكن منخفضًا. بدأ في التحرك ذهابًا وإيابًا: «مهما حاولتَ جاهدًا، فإن الأمور لا تسير دائمًا بالطريقة التي تتمناها.»

بدا يوتاه مضطربًا، قال: «حسنًا، عندما تأخذ قرارات سيئة، فإن الأمور لا تتحول عادةً إلى أشعة الشمس والورود يا أبي. ربما كان عليك أن تفكر في ذلك قبل أن تخون أُمي».

خطا والدي عدة خطوات نحو يوتاه. بسرعة كافية دافعًا إيَّاه للسير إلى الخلف حتى ضغط على الشاحنة بجسده. قال: «هذا ما أتحدث عنه! تعتقدون جميعًا أنكم تعرفون كل شيء!»

استدار أبي وابتعد عنا عدة خطوات. رفع يدَيه إلى مؤخرة رأسه وأخذ عدة أنفاس عميقة. عندما استدار نحوَنا أخيرًا، كان ينظر إليَّ مباشرة. وضع ساجان يده المطمئنة أسفل ظهري.

ـ «هل تريدين أن تعرفي لماذا كانت الحبوب التي سرقتِها حبوبًا مزيفة؟»

أومأتُ برأسي، لأنني كدتُ أموت لأعرف ذلك منذ أن اكتشفت الأمر.

قال أبي: «إنها لا تتألم، أمك لا تتألم، ولا تتعافى من السرطان. ولم تُصبْ بالسرطان قط». اقترب منَّا. وكرَّر: «أمُّك لم تُصبْ بالسرطان قط، لندع الحقائق تظهر أخيرًا».

استطعتُ أن أرى قبضتَي يوتا مشدودتَين وهو يتَّخذ خطوة مفاجئة نحو أبينا. صاح: «من الأفضل أن توضح ذلك لأنني على بُعد خمس ثوانٍ من لكمك».

ضحك أبي بفتور وسحب يده المُحبطة إلى أسفل وجهه. ثم سقطت يداه على وركيه. صاح: «أُمك.. إنها.. لديها.. مشاكل. إنها تُعاني من مشاكل منذ الحادث». لم يعد يصرخ بعد الآن. فقط بدا مهزومًا. أكمل: «إصابة الدماغ.. لقد غيَّرتها، لم تعد هي نفسها، وأنا أعلم أنكم لم تعرفوها قبل ذلك الحين، ولكن..» تلوَّى وجهه ونظر إلى السماء وكأنه يحاول حبس دموعه. أكمل: «كانت مُذهِلة. كانت مثالية. كانت.. سعيدة.»

استدار ليواجهِ الاتجاه الآخر حتى لا يراه أحد منَّا وهو يبكي. إنها واحدة من أتعس الأشياء التي رأيتُها على الإطلاق.

وضعت يدي على فمي وانتظرتُ حتى يستجمع قواه. هذا كل ما أمكنني فعله.

وعندما استدار أخيرًا، لم ينظر في عينَي أيٍّ منَّا. حدق في الأرض قائلًا: «إن مشاهدتها وهي تتحوَّل من المرأة التي أحببتُها إلى امرأةٍ أخرى كان أصعب شيءٍ مررتُ به على الإطلاق. أصعب من محاولة رعاية ثلاثة أطفال تحت سنِّ الثانية بنفسي. عندما تُصاب بنوباتها وتستلقي في السرير لأسابيع في كل مرة. كان الأمر أصعب مما كانت عليه عندما بدأت تخترع هذه الأمراض في رأسها، وتقنع نفسها بأنها تحتضر. أصعب مما كانت عليه عندما اضطررتُ إلى إدخالها مصحة، ثم كذبتُ عليكم جميعًا وأخبرتكم أنها في المستشفى بسبب السرطان الذي كانت مقتنعةً بأنها مصابة به».

نظر إليَّ ثم إلى أونور، أخيرًا وضع عينَيه على يوتاه: «إنها ليست المرأة التي تزوجتُها. ونعم، أعلم أنه كان شيئًا فظيعًا منِّي أن أتورط مع فيكتوريا، لكنه حدث ولا أستطيع التراجُع عنه.

ونعم، إنه لأمر فظيع الآن أن تتمتع أُمك بلحظات نادرة من وضوح الفكر. لأنها عندما تفعل ذلك، تُدرك ما أصبحتْ عليه حياتها. ما أصبح عليه زواجنا. وهذا مُدمر لكلينا. كل ما يُمكنني فعله هو احتضانها وطمأنتها بأنني ما زلتُ أُحبها. بأنني سأُحبها دائمًا.» أطلق نفسًا مرتعشًا ومسح دموعه: «لأني أُحب أمَّكم. سأحبها دائمًا. إنه فقط.. في بعض الأحيان لا تسير الأمور كما نريدها. وعلى الرغم من أنني مُلحد، لا يمر يوم دون أن أشكر الله على أن لديَّ زوجة تتفهَّم ذلك. لقد عاشت فيكتوريا السنوات الأربع والنصف الماضية في منزلٍ واحد مع امرأةٍ ما زلتُ أحبها. إنها لا تستجوبني عندما تحتاج أمُّكم لي. ولا تُصحِّح لأي منكم معلوماته عندما يُهينها ويُلمِّح بأنها خرَّابة بيوت».

مشى إلى الشاحنة ومد يدَه إلى الداخل ليأخذ سترته: «لم أخبر أيًّا منكم بالحقيقة قط لأنني لم أرغب في أن يحكم أيٌّ منكم على أُمِّكم. لكنني لم أخُنْها عندما كانت تحتضِر بسبب السرطان. لم تكن تحتضر أصلًا. وهي لا تحتضر الآن. إنها مريضة، نعم. ولكن ليس بالطريقة التي يمكن لأيٍّ منَّا أن يُساعدها. ارتدى سترته وأغلقها قائلًا: «سأسير إلى المنزل.»

بدأ بالسير بعيدًا عن الشاحنة، باتجاه منزلنا الذي لا يزال على بُعد أكثر من ثلاثة أميال. لكنه توقف وواجهنا مرة أخرى: «كل ما أردتُه هو أن تتاح لكم يا أطفال الفرصة لتُحبوا أمَّكم كما تستحق. للتفكير فيها بشكلٍ جيد. هذا كل ما أرادتْه فيكتوريا لكم أيضًا». بدأ بالمشي للخلف مُكملًا: «لم يكن لديَّ أي فكرة عن مدى كُرهكم لي طوال تلك السنوات.»

استدار مرةً أخرى وبدأ بالمشي في اتجاه المنزل. استطعتُ سماع بكاء أونور. حتى أنني سمعتُ بكاء يوتاه. مسحت دموعي وحاولتُ أن آخُذ نفسًا سيدعمني لأكثر من ثانيتَين.

بدا أننا جميعًا في حالة صدمة. مرت عدة دقائق قبل أن يتحرك أيٌّ منَّا. كان أبي قد استعدَّ فعلًا عندما استعاد يوتاه رباطة جأشه بما يكفي للتحدُّث.

قال: «اصعدوا إلى الشاحنة». ركض نحو جانب السائق وصعد، لكن لا أحد منَّا تحرك. أطلق البوق ثم ضرب عجلة القيادة: «اصعدوا إلى الشاحنة اللعينة!»

أخذ لاك المقعد الأمامي بينما صعد البقية منَّا إلى الخلف. قبل أن يغلق ساجان الباب حتى، كان يوتاه يستدير بالشاحنة، ويدور على شكل حرف U.

سألته أونور: «إلى أين نحن ذاهبون؟»

ـ «سوف ندفن هذا الكلب اللعين مع القس برايان.»

# الفصل السادس عشر

كنيسة القس برايان الجديدة أكبر كثيرًا من القديمة التي نعيش فيها. لم أعد أشعر بالسوء لشراء أبي كنيسته القديمة من سنوات. فالأمر يبدو وكأن القس برايان ترقى للأفضل. حسنًا.. حتى موته.

«أسرع،» قالت أونور لساجان وهو يحفر قبر وولفجانج الحديث. بينما يقف يوتاه في نهاية الممر يُراقِب. أما لاك فيقوم بـ... أوه يا إلهي!

ـ «هل تُنظف أنفك؟»

مسح لاك أصابعه في قميصه وهزَّ كتفَيه.

ـ «أنت مُقرف جدًّا» قالت أونور. ونظرت إليَّ وتمتمت هامسة: «لا أصدق أنك كدتِ تمارسين الجنس معه.»

تجاهلتُ إهانتها. لا أشعر أني في حاجة لعراك آخَر معها بينما ثلاثة منَّا نحن الخمسة يحملون المجارف الجديدة التي اشتريناها ونحن في طريقنا إلى هنا. لن ينتهي هذا الأمر على خير. لم أجادل معها أيضًا بسبب... حسنًا.. لأني أيضًا لا أُصدق أنني كدتُ أمارس الجنس معه.

«وجدته.» قال ساجان. وانحنى وبدأ يُحرك التراب من فوق الملاءة الملفوف فيها وولفجانج. صاح: «لاك، ساعدني.»

هز لاك رأسه: «مُستحيل يا رجل. لا بد أن الكارما ستُعاقبك على ما تفعل. لا أريد أي دور في ذلك.»

«أوه، دورك الوحيد هو العويل.» قلتُها وانحنيتُ لأساعد ساجان على حفر ما تبقَّى من تراب لإخراج وولفجانج. تمكن ساجان من رفعه وحملِه إلى الشاحنة وحدَه. فتحت الباب الخلفي فوضعَه داخل الشاحنة.

قال ساجان: «أريد ردم التراب مرةً أخري داخل القبر حتى لا يشكَّ أحدٌ بشيء.»

قلتُ محاولة إغاظته: «يبدو أنك ستحترف الإجرام.»

ابتسم ساجان وأغلق الباب الخلفي للشاحنة. «هل تجدين المُجرمين مُتحجِّري القلب جذَّابين؟» رفع حاجبَه، ارتجف قلبي داخل صدري مِن مغازلته الصريحة.

سمعتُ أونور تتأوَّه وهي تمر بجوارنا: «أكره ذلك بالفعل.»

أدار ساجان عينَيه ومشى ثانية إلى جانب الكنيسة ليردم القبر. عندما عدنا جميعًا إلى داخل الشاحنة. قالت أونور: «ما الغرض من ذلك، على أي حال؟ كره أبي ذلك الكلب. لا أعتقد حقًّا أنه يهتمُّ أين دُفن؟»

اعترض ساجان بهزةٍ من رأسه: «لا، هو يهتم. لا أعرف لِمَ كان مصرًّا على دفن الكلب مع القس برايان. لكن أيًّا كان السبب هو يُريدهما معًا.»

انسحب يوتاه من موقف سيارات الكنيسة وقلَّب الأضواء الأمامية: «أعتقد أن أبي شعر دائمًا بالذنب لشراء دولار فوس رغم أنف القس برايان. ربما تلك هي توبته.»

ـ «إنه مُلحد.» قال لاك وأكمل: «أعتقد أن الندم هي الكلمة الملائمة.»

غطت أونور فمَها وأنفها بيدها. صاحت: «ليفتح أحد النافذة، رائحة هذا الكلب سيئة للغاية، أريد التقيؤ.»

رائحته كانت تفوح بالفعل. أنزل يوتاه الزجاج الأمامي ولكن هذا لم يساعد. غطيتُ أنفي بقميصي حتى وصلنا إلى المقبرة.

«أي طريق يؤدِّي إلى مقبرة القس برايان؟» سأل يوتاه. فأشار ساجان إلى مقبرة ليست بعيدة عن البوابة الأمامية. دار يوتاه بالشاحنة حتى أصبحت مؤخرتها تواجه مدخل المقبرة. عندما توقف. طلب مني أنا وأونور أن نجلس في المقاعد الأمامية ونراقب المكان.

«لا أريد أن أظل للمراقبة.» قلت بينما أُغلق الباب الجانبي للشاحنة. «أريد أن أساعدكم يا رجال على دفنه.»

مشت أونور إلى مقعد السائق. «سأُراقب أنا.» توجَّه يوتاه ولاك إلى مؤخرة الشاحنة لإحضار وولفجانج.

أمسك ساجان يدي واعتصرها. ونظر إلي: «ابقَي في الشاحنة، لن يستغرق الأمر طويلًا.»

هززت رأسي: «لن أبقى وحيدةً في الشاحنة مع أونور. إنها تكرهني.»

نظر إليَّ ساجان بحدة: «لهذا بالضبط يجِب عليكِ أن تبقَي في الشاحنة، ميريت. أنتِ الوحيدة التي يُمكنها إصلاح هذا.»

زفرتُ وعقدتُ ذراعيَّ أمام صدري، قلت بتوتر: «حسنًا، سأتحدث إليها لكني لست سعيدة بذلك.»

«شكرًا لك.» قالها واستدار نحو المقبرة. راقبتُ ثلاثتهم وهم يمشون عبر المقابر إلى المقبرة المحفورة حديثًا. وبعدها ركبتُ الشاحنة اللعينة.

عندما أغلقتُ الباب، رفعت أونور صوت الراديو، لتُنهي أي احتمالية للحديث. فانحنيتُ للأمام وأخفضتُ صوت الراديو.

انحنت للأمام ورفعت صوته.

أخفضتُه..

رفعَتْه..

مددتُ يدي وأوقفت تشغيل الشاحنة، سحبتُ المفاتيح فانقطع صوت الراديو تمامًا.

«حقيرةٌ أنتِ.» تمتمت

بدأنا في الضحك. فـ «حقيرةٌ أنتِ» كانت من الجُمَل المفضلة التي كنا نقولها لبعضنا. لم تقلها لي منذ سنوات.

عندما كنا صغارًا، كان ليوتاه صديق يُسمَّى دوجلاس، يعيش على بُعد ميل على الطريق. لذا كان يأتي إلينا طوال الوقت عندما كنا نعيش في منزلنا القديم خلف دولار فوس. آخر مرة أتي فيها دوجلاس إلى بيتنا، اتَّهمني بالغش في الحجلة. من يغش في الحجلة؟

أتذكر غضب يوتاه الشديد منه لاتهامي بالغش. قال لدوجلاس اذهب إلى المنزل. فصرخ فيه دوجلاس: «حقيرٌ أنت!»

ربما كان يوتاه ليشعر بالإهانة أكثر لو استخدم دوجلاس كلمة اللعن بشكلٍ صحيح. كنت في الثامنة أو التاسعة فقط. لكن حتى أنا كنتُ أعرف أن تعبير «حقيرٌ أنت» مضحك بما يكفي لأضحك عليه. وهذا أغضب دوجلاس أكثر، فرفع قبضتَيه وهدَّد بضربي.

ما لم يُدركه دوجلاس أن أبانا كان يقف خلفه مباشرة.

«دوجلاس؟» قال أبي، مما جعله يقفز ثلاثة أقدام من على الأرض. «أعتقد من الأفضل أن تعود للمنزل الآن.» لم يستدر دوجلاس حتى. فقط مشى بأقصى سرعة مُمكنة في اتجاه الطريق. وعندما أصبح على بُعد خمسة عشر قدما صرخ والدي، «ولِعلمك، إنها «تبًا لك!» وليست «حقيرٌ أنت!»

لم يعد دوجلاس أبدًا. ولكن باتت «حقيرٌ أنت» السُّبَّة الجديدة المُفضلة لنا. لم أسمعها منذ وقتٍ طويل. تقريبا نسيتُ أنها كانت خاصَّةً بنا.

وضعَت أونور يدَيها على السماعات وتنهَّدت. «لقد سمعتُ ما قلتِه لأبي بالأمس.» وبدأت في خمش عجلة القيادة بأظافرها، مُقتلِعةً أجزاء صغيرة من الجلد.

ـ «قلت العديد من الأشياء لأبي بالأمس. إلى أي جزءٍ تُشيرين بالتحديد؟»

مالت إلى الخلف في مقعدها وحدقت خارج النافذة: «أخبرتِه أنني على بُعد نبضة قلب من التحوُّل إلى النيكروفيليا.»

أغمضتُ عينيَّ وشعرت بنوبة من الندم والتي أصبحت معتادةً طوال هذا الأسبوع. لم أكن أعرف أن أونور لا تزال هناك عندما قلتُ ذلك لأبي بالأمس.

ـ «تجعلين الأمر يبدو وكأن حياتي كلها تتمحور حول الموت. ميريت، الموضوع ليس هوسًا. لقد كان هناك رجلان منذ موت كيرك. اثنان.»

ـ «هل تحسبين كولبي؟»

أدارت أونور عينَيها: «لا، ما يزال على قيد الحياة.»

«وكيرك،» أشرت. «في الواقع هم أربعة. لقد أصبح متوسطك حبيبَين ميتَين في العام.»

«حسنًا،» قالت غاضبة. «فهمتُ ما تقصدين. ولكن هذا لا يجعلك أفضل منِّي.»

ـ «لم أقل قط ذلك.»

ـ «لستِ في حاجة إلى القول. أرى الطريقة التي تنظُرين بها إليَّ. أنتِ دائمًا تحكمين علي.»

فتحت فمي لأعترض، لكني أغلقتُه لأنها قد تكون مُحقَّة. لدي آراء متطرفة عن أختي. هل هذه أحكام؟ أغضب جدًّا عندما يحكم عليَّ الناس. ربما لستُ أفضل منهم.

فجأة تمنيتُ لو لم أغلق الراديو. لا أُحب تلك المحادثة حتى الآن.

سألتني: هل تعتقدين أنك تُحبِّين ساجان؟»

ـ «الأمر عشوائي.»

ـ «فقط جاريني، لديَّ نقطة لأوضحها.»

نظرت من النافذة أُراقب ساجان وهو يحفر نفس الحفرة التي حفرها سابقًا اليوم. «بالكاد أعرفه.» قلت لأونور.»لكن هناك أشياء أُحبها فيه. أُحِب الإحساس الذي يجعلني أشعر به. أُحب أن أتواجد حوله. وأُحِب ضحكته الهادئة وفنَّه السوداوي وكيف يبدو تفكيره مختلفًا عن معظم الناس في سنِّنا. لكني لم أعرفه لفترةٍ كافية لأقع في حُبه.»

ـ «انسَي موضوع الوقت يا ميريت. انظري إليه وقولي لي أنك لم تقعي في حُبه.»

تنهدت. الوقوع هو كلمة بسيطة. الأمر أشبَهُ بانهيار. انحدار. هويت عند أقدامه. أي شيءٍ عدا الوقوع.

سحبتُ ساقيَّ للأعلى ودرتُ في جلستي لمواجهتها: «أشعر بالغباء لقول هذا لأني بالكاد أعرفه، لكني أعتقد أنني أحببتُه منذ المرة الأولى التي وقعَتْ عيناي فيها عليه. لهذا كنتُ غريبة الأطوار مؤخرًا، لأنني اعتقدتُ أنك تواعِدينه، لذا فعلتُ كل ما أقدر عليه لأبتعد عنكما. والآن كلما تعرفتُ عليه أكثر. أهتمُّ به أكثر ولا أتحمَّل ذلك. هو كل ما أفكر فيه. من الصعب التنفُّس وهو قريب منِّي، ولكن من الصعب التنفس أيضًا وهو ليس بجانبي. إنه يجعلني أريد أن أتعلم وأتغيَّر وأنضج وأكون كلَّ شيء يؤمِن أن بإمكاني أن أكونه.»

أخذتُ نفسًا بعد لفظي للكلمات. ضحكت أونور وقالت: «واو، حسنًا إذن.»

أغلقتُ عينيَّ، مُحرجةً مما خرج مني للتو. عندما فتحت عينيَّ، استدارت أونور نحوي في مقعدها. أراحت رأسها على مسند المقعد وغامت عيناها. قالت بهدوء:

«هذا بالضبط ما شعرتُ به تجاه كيرك، أعني، أعرف أنني كنتُ طفلة، ولكني شعرت بنفس الأشياء تجاهه. اعتقدتُ أنه توءم روحي. اعتقدت أننا سنكون معًا لما تبقَّى من حياتنا.» رفعت عينَيها لعيني. «وبعدها... مات. ولكن كل المشاعر التي شعرتُ بها تجاهه لا تزال داخلي، مع عدم وجود مكانٍ للذهاب إليه أو أحدٍ لأتشبث به. أشعر بالقلق عليه دومًا لأنني لا أستطيع رؤيته أو لمسه. واعتقدتُ أنه ربما، أينما يُوجَد، مُحطَّم مثلي.»

شعرتُ بالحرج في صوتها وهي تُخبرني بكل ذلك. هزَّت كتفَيها وقالت: «كان هذا هو الوقت الذي بدأتُ فيه الحديث إلى الشباب في مجموعات الدعم على الانترنت. الحديث إلى أطفالٍ آخرين يحتضرون مثل كيرك. وكنتُ أخبرهم كل شيءٍ عن كيرك. وحرصتُ على إخبارهم بكل مشاعري، لذا عندما ينتقلون إلى الجنة ويجدونه يُمكنهم أن يقولوا لكيرك، مرحبًا أعرف صديقتك. بالتأكيد هي تُحبك.»

تراجعَتْ في مقعدها ورفعت قدمَيها على لوحة القيادة: «لا أعتقد في أيٍّ من ذلك الآن، ولكن ذلك ما بدأ كل هذا. بعد شهور قليلة من وفاة كيرك، وُضِع تريفور ـ أحد الأعضاء من مجموعة الدعم في دالاس ـ في مستشفى للحالات الميئوس منها. لم أُحبه كما أحببتُ كيرك، لكني اهتممتُ به. وعرفت أن وجودي بجانب كيرك وقت احتضاره جلب له السلام. لذا حين احتاج تريفور ذلك أعطيتُه له. وكان أمرًا لطيفًا. جعلني أشعر بإحساسٍ جيد أنني جعلت موته محتملًا ولو قليلًا. وبعد تريفور كان هناك ميشا. والآن.. كولبي. أعرف أنك تعتقدِين أن هذا شيء فظيع. وكأني أستغل الناس. أو أنني بشكلٍ ما غريب أنجذب للرجال ذوي الأمراض الميئوس من شفائهم.» نظرَت إليَّ في حدة. «أنت مُخطئة يا ميريت. أفعل ذلك لأني أعرف أنه بطريقةٍ ما، أساعدهم على تجاوز أصعب شيءٍ يمكن أن يمرَّ به أحد على الإطلاق. هذا ما أفعله. يُعطيني إحساسًا جيدًا بأنني أساعدهم على الشعور بالقليل من السلام وهم يحتضرون. ولكنك تجعلين الأمر يبدو فظًّا وأنت تتكلَّمين دومًا عن حاجتي للعلاج النفسي. هذا.. لئيم. في بعض الأوقات يمكنك أن تكوني لئيمةً جدًّا.»

لم أقُل كلمة واحدة طوال الوقت الذي تكلَّمَت فيه. كنت فقط أستمع.. وأُحلل. أنظر إلى أختي.. أختي توءمي المتطابق.. ولا أعرفها تمامًا في تلك اللحظة. للمرة الأولى في حياتي، شعرتُ وكأني أنظر إلى شخصٍ غريب. وكأنه من المُحتمَل أن كل تلك الآراء التي أحمِلها عنها طوال تلك السنوات مجرد سوء تقدير شديد.

أشحتُ بنظري عنها ونظرتُ من النافذة، أشاهد الرجال وهم يعملون لملء القبر بالتراب. وحاولت أن أتخيّل بماذا كنتُ سأشعر إن حدث شيءٌ ما لساجان. بماذا كنت سأشعر لو أنني أجلس بجانبه وأشاهده يحتضر؟

لم أتعاطف مع أونور ولا لمرةٍ واحدة أثناء حُزنها على كيرك. لم أفهم هذا النوع من الحب. كنَّا صغارًا في ذلك الوقت واعتقدتُ أنها تُبالغ في الدراما.

كل هذه السنوات، كرهتُ يوتاه لأنه لا يبذل جهدًا للتقرُّب مني، وها أنا أعامل أختي بنفس الطريقة.

استدرتُ ومددتُ يدي عبر المقعد وجذبتُها إليَّ. وبمجرد أن فعلتُ ذلك شعرت بتنهيدتها، وكأن ما كانت تحتاجُه مني هو عناق بسيط. لفترةٍ طويلة كنتُ أستاء من عائلتي لأنهم لا يُعانقونني بينما ربما كانوا مُستائين مني لنفس الشيء.

«أنا آسفة يا أونور.» مسحتُ على شعرها برفقٍ وقلتُ لها نفس الشيء الذي قاله لي يوتاه. «سأكون أُختًا أفضل. أعدك.»

تنهَّدت بارتياح، لكنها لم تتركني. تعانقنا لفترةٍ طويلة، وهذا جعلني أتساءل لِمَ كان الجميع في هذه العائلة يُعارضون العِناق على مدى السنوات العديدة الماضية. الأمر في الواقع ليس سيئًا للغاية. أعتقد أننا جميعًا وصلنا إلى نقطةٍ ننتظر فيها شخصًا آخر ليبدأ، لكن أحدَنا لم يفعلها قط. ربما هذا هو أساس الكثير من مشاكل العائلة. في الواقع لم تكن مشكلةً ضخمة من التي يعلَق فيها الناس لفترةٍ طويلة. كانت المشكلة أن لا أحد لدَيه الشجاعة لاتخاذ الخطوة الأولى والحديث بصراحة عن مشاعره.

في النهاية ابتعدَت عني وأنزلتِ المرآة الداخلية. مسحت أسفل عينَيها بأصابعها مُزيلةً الماسكارا الذائبة عنهما. تراجعَت إلى مقعدها ومدَّت يدها إلى يدي. وضغطت عليها: «أنا آسفة على كل شيءٍ قلتُه لك الأيام الماضية. عما حدث مع يوتاه. أنا فقط.. أعتقد أنني كنتُ غاضبة منك لعدم إخباري أبدًا. لِمَ لمْ تُخبريني شيئًا كهذا يا ميريت؟ أنا أختك.»

ـ «لا أعرف. كنتُ خائفة. وكلما أبقيتُ الأمر سرًّا، كلما تحوّل خوفي في النهاية إلى استياء. خصوصا مع رؤيتي مدى قُربك من يوتاه. أردتُ ذلك أيضًا.»

ـ «كلتانا عنيدتان جدًّا ضدَّ مصالحنا.»

أتفق معها. صمتْنا بينما نُحدق خارج النافذة. كان الرجال ما يزالون يعملون. لكن ساجان خلع قميصه. لم أستطع أن أرفع نظري عنه وهي ينحني مرارًا وتكرارًا لردم الحفرة: «هل تُوجَد فيه أي غلطة؟ إنه مثالي للغاية.»

ـ «ممم، هو قوي للغاية بالنسبة لي. أُحبُّهم أكثر هشاشة.»

ـ «أوه، يُمكنك قول النكات عن ذلك ولكن لا يُمكنني أنا؟»

ضحكَتْ وبعدها تحوَّلت ضحكتها إلى ابتسامة: «هو بالفعل شخص جيد يا ميريت» تنهَّدت، «كوني جيدةً معه. حسنًا؟»

سأفعل إن أعطاني الفرصة. «أنا سعيدة جدًّا لأنني كنتُ مخطئة بشأنكما. لا أدري إن كنا سنتصالح كأخواتٍ لو كنتِ تُحبِّينه.»

ضحكت: «حقيرة أنتِ.»

ابتسمت. يا إلهي. كم افتقدتُ ذلك.

بعد لحظة، قالت: «هل تعتقدين أن بإمكانه أن يُفرق بيننا؟»

هززت كتفي.

استقامت أونور في مقعدها وعيناها مليئتان بالمُشاكسة: «دعينا نختبره.»

ابتسمنا بتواطؤ. وصعدنا إلى مؤخرة الشاحنة وبدأنا في تبديل ملابسنا. فككتُ عقدة شعري وأعطيتُها رباط الشعر. خللتُ أصابعي في شعري، بينما سحبَت شعرها للأعلى.

ـ «عليَّ أن أتبوَّل» قالت ضاحكة. «هل لاحظتِ من قبل أن إعداد المقالب يجعلك مُضطرَّة للتبوُّل؟»

ـ «لَمْ ألحظ حتى الآن.»

بمجرد أن بدَّلنا ملابسنا، عُدنا إلى المقدمة، هذه المرة أنا في مقعد السائق وهي في مقعد الراكب. مباشرة بعد استقرارنا رمى الرجال المجارف عن أكتافهم وبدءوا في التوجُّه إلينا. نبض قلبي بقوة في صدري من فرط التوتُّر، خفتُ ألا يلاحظ. ماذا سيعني ذلك؟ أن كل شيءٍ قاله عن المرة الأولى التي شاهدَني فيها كان كذبًا؟ وأنه فعليًّا لا يُمكنه معرفة الفرق بيننا؟ لقد اكتشف الأمر بسرعةٍ كبيرة على الأريكة الليلة الماضية.

بدأتُ أندم على هذا المقلب. خبط ساجان على ظهر مقعد يوتاه. «أسرع»

وصل يوتاه للشاحنة أولًا. «سأقود أنا.» قال، وأشار إليَّ أن أنتقل إلى المقعد الخلفي. أونور وأنا عُدنا إلى الخلف. جلستُ في المقعد الأخير وجلست أونور على أحد المقاعد في الوسط. كان ساجان يتحدَّث مع لاك عندما صعد إلى الشاحنة، لذا لم ينظر إلى أيٍّ منا. جلس على

المقعد الأوسط الآخر وأغلق الباب، بالضبط عندما أدار يوتاه الشاحنة. قال ليحثَّ يوتاه: «لا أريد أن يُقبَض عليَّ مرتَين لنفس السبب في يومٍ واحد.»

استراح ساجان في مقعده ونظر إلى أونور بابتسامةٍ حلوة. «هل أنتِ جائعة؟» نظر خلفه إليَّ وقال: «ماذا عنكِ؟» ونظر للأمام: «هل هناك أحد جائع؟ أنا أتضوَّر من الجوع.»

أومأت أونور، لكنها لم تقُل أي شيء. أعرف أن صوتَينا متشابهان، ولكني متأكدة إذا بدأنا في التحدث، سيكون من الأسهل عليه كشفنا.

قال لاك: «لنذهب إلى تاكو بيل»

«أونور تكرَه تاكو بيل،» قال يوتاه. «لنذهب إلى أربيز.»

كان من الجيد أنني أتظاهر أنني أونور لأن تاكو بيل هو المُفضل لدي: «تاكو بيل يبدو جيدًا، في الواقع لا أُمانع إن ذهبنا إلى هناك.»

استدارت أونور وحدَّقت في وجهي.

«أتعرفين؟» قال ساجان واستدار في مقعده ليواجهِ أونور. مدَّ يدَه ليُمسك يدها. أوه يا إلهي. ماذا لو قرَّر أن يُقبلني ثانية وأنا حتى لستُ هي؟ رفع يده الثانية ولمس خد أونور. «تبدين غريبة للغاية في ملابس ميريت.»

«اللعنة،» تمتمت أونور. «اعتقدنا أننا أوقعنا بك.»

أوه، الحمد لله.

ترك وجه أونور واستدار وانتقل إلى المقعد الخلفي. جلس بجواري وأحاط كتفي بذراعه. طبع قبلةً سريعة على جانب وجهي وهمس: «شكرًا لك.»

نظرتُ إليه كان مبتسمًا. علمتُ من ابتسامته أنه سعيد أنني وأونور دبَّرنا مقلبًا ضده. ما يعني أننا تصالَحنا، وهذا كان أملَه. قلت: «رائحتك مثل كلب ميت،»

ـ «لا، رائحتي مثل مجرم عتيد.»

«لا،» قالت أونور. «جميعكم رائحتكم رائحة الموت. أنزلوا النوافذ!»

الرائحة فائحة. سحبتُ قميصي على فمي وأبقيتُ أنفي مُغطًّى حتى وصلنا إلى تاكو بيل.

عند عودتنا كان الوقت منتصف الليل. لكن بالرغم من الوقت المتأخر، بمجرد دخولنا من الباب الأمامي، استلمنا أونور ويوتاه وأنا جميعًا رسالةً هاتفية جماعية من أُمِّنا. أعتقد أنها

سمعتنا ندخل.

*هل يمكنكم النزول هنا من فضلكم؟ لقد سمعتُ شيئًا.*

رفعتُ نظري من الهاتف للأعلى، كان يوتاه وأونور ينظران إليَّ.

«دور من هذا؟» سأل يوتاه.

هزت أونور كتفَيها. «دوري، أعتقد. لم أذهب للأسفل منذ يومَين.»

ـ «ولا أنا» قال يوتاه

ـ «ولا أنا.»

توجهنا ثلاثتنا إلى القبو. نزلنا السلالم بينما وقفت أُمُّنا على الجانب الآخر من الغرفة، أسفل نافذة القبو. بدا وكأنها كانت نائمة. كانت ترتدي بيجامةً وشعرها فوضوي. قالت: « هل سمعتم ذلك؟» وخطت تجاهنا بعينَين متسعتَين: «أسمعه طوال اليوم.»

مشى يوتاه إلى النافذة، لكنه نظر إليَّ وإلى أونور. حاولنا جميعًا إخفاء ما نشعر به، لكن الأمور مختلفة الآن. بعدما عرفنا ما عرفه أبونا طوال تلك السنين، لا أعرف إن كنا سننظر لأُمي بنفس النظرة ثانية. لست واثقة إن كان ذلك سيئًا. هو جيد، في الواقع. أشعر بمزيدٍ من التعاطف معها أكثر من أي وقتٍ مضى. ولا يُوجَد أي استياء بعد أن أدركتُ تمامًا حالتها.

هناك شك، رغم ذلك. تساءلتُ إن كانت تسمع الأصوات بالفعل أم لا والآن أعرف الدور الكبير الذي تلعبه صحتها العقلية في حياتها. علِمْنا دائمًا أن لديها مشاكل، لكن الآن بعدما أخبرَنا أبونا عن مدى عمق تلك المشاكل، ربما جميعًا سنكون أكثر تشككًا في سلوكها المُضطرب. وقف يوتاه أسفل نافذة القبو للحظة. وبقينا جميعًا صامتين، لكننا لم نسمع أي شيء.

«ماذا تسمعين بالضبط؟» سألها يوتاه.

لوَّحت تجاه النافذة: «يبدو أن الكلب يُعاني من مشكلةٍ ما. ظل يبكي طوال الليل ولم أستطع النوم.»

نظرت أونور بحزن. لم تُدرك والدتنا حتى أن وولفجانج مات ودُفن. أكثر من مرة في الواقع.

«أمي» قلت. «الكلب لم يعُد هنا.» حاولت قولها بأصدق صورة مُمكنة. ولكن في رأسي فكرت، يا لكِ من مسكينة!

ـ «لا، أنا أخبركم، هناك شيء ما قُرب النافذة.»

كانت مصرَّةً جدًّا على ذلك، وبدأت في السير جيئةً وذهابًا.

أومأ يوتاه برأسه ومشى تجاه السلالم. «سأذهب لأتحقَّق من الأمر.» قالها وصعد السلالم جريًا.

مشت أمُّنا إلى السرير وجلست على حافته. جلست أونور بجوارها ومررت يدَها في شعرها برفق.

«هل أنت جائعة؟» سألتها أونور.

حينما قالت ذلك تذكرت أننا جميعًا لم نتناول العشاء الليلة. تلقَّينا المكالمة أن أبانا قُبض عليه، فهُرعنا للتعامل مع الأمر. لم أفكر حتى أن آتي لها بشيءٍ من تاكو بيل.

ـ «لا، فيكتوريا أحضرت لي طبقًا من الطعام. وأنتما تنسَيان أنني أملك ثلاجتي الخاصة هنا. لن أموت من الجوع إن لم أحصل على وجبة.»

نظرنا أنا وأونور إحدانا إلى الأخرى متفاجئتَين: «فيكتوريا أحضرت لكِ الطعام؟»

وقفت أُمي بلا اهتمامٍ ثانية وكأنها لم تقذف في وجهينا أن فيكتوريا كانت في هذا القبو. لا أعتقد أن فيكتوريا دخلت القبو منذ انتقال أُمي إليه.

لكن إن كنتُ تعلمتُ شيئًا هذا الأسبوع، فهو أنني لا أعرف الناس كما اعتقدت.

كان هناك صوت طرقةٍ على النافذة. «ميريت» قال يوتاه، خرج صوته مكتومًا من خلف الزجاج. «تعالي إلى الخارج.»

صعدت السلالم وجريتُ إلى الخارج، إلى نافذة القبو حيث ركع يوتاه على الأرض. «لن تُصدقي هذا» قال ورفع شيئًا للأعلى وأشار لي بالاقتراب.

ـ «ما هذا؟»

ـ «جرو، بل جروان.»

على الفور نزلتُ على ركبتيَّ بجواره: «أنت تمزح. من أي مكانٍ في العالم أتيا؟» التقطتُ جروًا من يوتاه. كان أسود وصغيرًا يبلُغ من العمر يومًا أو اثنَين على الأكثر. نظرتُ حولي.

«باعتقادك أين توجَد أُمهما؟»

رفع يوتاه الجرو الآخر إلى صدره: «أشك أنها مدفونة بجوار القس برايان.»

مهلًا..

مهلًا..

«وولفجانج كان أنثى؟»

«يبدو ذلك» قال يوتاه ضاحكًا.

«لكن...» نظرت إلى الجرو بين يدي. «مِن المرجَّح أنهما يتضوَّران جوعًا، كيف من المفترض أن نُبقيهما على قيد الحياة الآن؟»

ناولني يوتاه الجرو الآخر ووقف. «سأرى إن أمكنني التواصُل مع بيطري طوارئ. خُذيهما للأسفل إلى ماما حتى يُمكنها أن ترى ما أبقاها مُستيقظة.»

وضعتُ الجروَين بين ذراعيَّ وحملتهما إلى المنزل ونزلت إلى القبو بالأسفل.

«ما هذا؟» قالت أونور. والتقطت أحدهما منِّي على الفور. «من أين أتيا؟»

وللمفاجأة أمسكت أُمي الجرو الآخر. «يا إلهي!» قالت. «إذن أنت الجاني؟ هاه؟» وداعبتِ الجرو بأنفِها. «أوه أنت لطيف للغاية.»

«اتضح أن وولفجانج كان أنثى. يتصل يوتاه بالطبيب البيطري ليرى ماذا يمكن أن نفعل لهما.»

ـ «أريد أن أحتفِظ بأحدهما» قالت أُمي. «هل تعتقدان أن بإمكاني الاحتفاظ بأحدهما؟»

مددتُ يدي وداعبتُ الجرو بين ذراعَيها: «لا أعرف يا أُمي. من الصعب تربية كلب في قبو.»

«نعم» قالت أونور، ونظرت إليَّ نظرةً ذات مغزًى قبل أن تنظر إلى أُمي: «لكني أراهن أن يوتاه سيسمح لك بالاحتفاظ بواحدٍ إن انتقلتِ إلى المنزل القديم معه. سيكون جاهزًا خلال أسابيع قليلة.»

لم تقُل أمي شيئًا للحظة. فقط نظرت إلى الجرو وهي تُمرر يدَها على ظهره وقالت بهدوء: «تعتقدين أنه سيفعل؟»

نظرت أونور إليَّ وابتسمت.

ليس لديَّ فكرة إن كانت ستنتقِل فعلًا إلى منزلنا القديم، ولكن كان هذا أكبر تقدُّم في حالتها منذ أن سكنت القبو، مع الاعتبار أن هذا حدث منذ مدةٍ طويلة.

نزل يوتاه على السلالم للأسفل: «لقد وجدتُ طبيبًا بيطريًّا طلب إحضارهما إليه. قال إن هناك تركيبة يمكن حقنها لإطعامهما، ولكن يجب علينا فعل ذلك كل ساعتَين في الأسبوع الأول.»

قالت أمي بحماس: «يُمكنني المساعدة. هل ستحضرهما إليَّ مرة أخرى عند عودتك؟»

أومأ يوتاه برأسه وأخذ الجروَين منها ومن أونور: «بالطبع. قد أستغرق بعض الوقت، لكني سأوقظك عندما أصل إلى المنزل.»

«سأذهب معك.» قالت أونور وصعدت السلالم جريًا وراءه. وبمجرد ذهابهما. نظرتُ إلى أُمي. كانت تتجول في شقة قبوِها الصغيرة، تُرتب الأشياء، وتتجهز لعودة الجروَين. جعلني هذا ابتسِم، أن أراها مُتحمسةً لشيءٍ ما.

«هل قال يوتاه إن وولفجانج أُمُّهم؟ هل هي نفس الكلب الذي كرهه والدك؟»

ـ «هي بنفسها.»

ضحكت. «لا أعرف لماذا، ولكن هذا جعلني أُحب الجروَين أكثر.» تهاوت على أريكتها وتثاءبت، راقبتُها للحظة، حتى لاحظت تحديقي بها. فسألتني: «ماذا هناك؟»

هززت كتفي: «لا شيء.»

ـ «تبدين غاضبة.»

تنهدتُ وجلست بجوارها: «أبي يعتقد أنني أحتاج إلى بدء جلسات العلاج النفسي يوم الاثنين القادم.»

ربَّتَت على رُكبتي. في لفتة غير معتادة منها. وقالت: «يعتقد أبوك أن الطبيب يُمكنه علاج أي شيء. لكن طبيبي لم يُعالجني.» نظرت إليَّ وسألتني: «أتريدينني أن أتحدث معه؟»

فكرتُ في ذلك السؤال للحظة. ولكني فكرتُ أيضًا في الورقة المكوَّرة الملقاة على أرضية غرفتي. «ألا تعتقدين أنه ربما لم تحظَي بالطبيب المناسب؟»

نظرت أُمي إليَّ في صمتٍ للحظة. وبدأت التململُ بيدَيها واستطعت أن أرى القلق يرتسم على وجهها. كسرت تواصلنا البصري وقالت: «لقد تأخر الوقت، أعتقد أني سأنام.»

خيَّبَت كلماتها أملي، ولكن ليس بقدْر ما أحزنتني: «حسنًا، ليلة طيبة يا أمي.»

كانت قد ابتعدت عن الأريكة ومشت في اتجاه سريرها. توجهت إلى السلالم، لكنها نادتني، فتوقفتُ مكاني قائلة: «نعم؟»

هزت كتفها الأيسر وقالت: «أعلِميني إن أعجبك الطبيب.»

ابتسمتُ لها. خطوة أخرى للأمام. حتى ولو كانت خطوة صغيرة.

عندما صعدت للأعلى، كان أبي يُحدق من النافذة. لم أره منذ غادرتُ باكرًا هذا المساء. ترددت للحظة، تساءلتُ هل يجب أن أذهب لغرفتي فقط أم يجب أن أقول له شيئًا. في النهاية مشيتُ إلى حيث وقف ونظرتُ من النافذة. رأيت يوتاه وأونور ولاك يمشون في اتجاه الشاحنة. تحمل أونور الصندوق الذي يحوي الجروَين.

«كان أنثى؟» سأل أبي وهو يهزُّ رأسه. «هذا الكلب اللَّعين كان أنثى» كرَّر. شاهدنا من النافذة أونور وهي تجلس في مقعد الركاب في الشاحنة، لكن قبل أن يصعد لاك أو يوتاه للداخل، أمسك يوتاه يدَ لاك وتبادلا قبلةً سريعة. يبدو الأمر جميلًا إن أمكنك التغاضي عن كل شيءٍ مرتبط بالزواج.

تذمَّر أبي بعدما رأى استعراضهما العاطفي: «أتمنَّى ألا يستمر ذلك.»

أطلقتُ ضحكة مكتومة: «أنا متأكدة أن يوتاه سيظل مِثليًّا للأبد. هذا ليس شيئًا يتلاشى بالزمن.»

أشاح أبي بوجهه عن النافذة هازًّا رأسه: «أعرف يا ميريت. لا أهتم أنه مِثليٌّ. أنا أشير لما يحدُث بينَه وبين لاك، أيًّا كان. كيف من المُفترض أن أشرح لموبي أن عمه وأخاه نصف الشقيق بينهما.. شيء؟»

ـ «هناك أشياء أسوأ يمكن أن يكتشِفها عنَّا.»

ـ «مثل ماذا؟»

ـ «أنك قُبض عليك لنبش قبر جثة. هذا سيئ للغاية.»

ضحك أبي: «ربما سيُحب موبي ذلك.» حدق خارج النافذة ثانيةً لفترة كافية ليجتازوا الممر.

دفعتُ يدي في الجيبَين الخلفِيَّين لبنطالي الجينز: «أبي؟» لم أُخطط لما سأقوله. لقد تحمَّل الكثير طوال حياته ولا يسعني إلا الشعور بأنني أضفتُ لحملِه كل تلك السنوات. بدلًا من أن أحاول رفع بعض الأحمال عن كتفَيه. هل أعتذِر؟ هل أشكره؟

أومأ برأسه، وأخذ خطوةً تجاهي وجذبَني إلى حضنه. ربما العناق الأول الذي شعر أنني سأسمح له به منذ فترةٍ طويلة: «أنا أعرف يا ميريت.» همس، ليُريحني من حرج عدم معرفة ماذا أقول له. أكمل: «أنا أيضًا.»

سحبتُ يديَّ من جيبيَّ وعانقتُه بدوري. ضغط أبي بخدِّه على رأسي ولم أستطع منع نفسي من الابتسام لأنه ربما يكون هذا أفضل عناقٍ تلقيتُه. هو العناق الذي احتجته أكثر من سواه. ظللنا هكذا لفترة. تقريبًا كأنه يعوِّض الوقت الضائع. وربما أنا أيضًا.

لو أن أحدهم أخبرني الأسبوع الماضي أننا سنحظى بهذه اللحظة الليلة. لكنت ضحكتُ عليه وقلت إن هذا من سابع المعجزات.

ربما هو كذلك.

كنتُ في مواجهة غرفة المعيشة ورأسي يستريح على صدر أبي. نظرت إلى يسوع وتساءلت: هل استجاب إلى صلاتي، بعد كلِّ شيء؟ مرَّت أيام قليلة منذ نزلت على ركبتيَّ في غرفتي وصليتُ من أجل حياة جديدة.

يمكنني القول إن الأحداث التي وقعت بعد ذلك بالتأكيد أعطتني حياة جديدة.

خففتُ قبضتي عن أبي ونظرت إليه: «لماذا لا تؤمن بالرب؟»

اختلس النظر إلى يسوع وفكر في سؤالي للحظة. وبعدها قال: «أنا مجرد شخص عملي.»

ابتسم لي وشدَّ شعري وهو يُطلِقني: «هذا لا يعني ألا تؤمني أنت به. فنحن لم نُوضَع على الأرض لنكون نسخًا من والدَينا. السلام لا يأتي للجميع بنفس الشكل.»

تمنَّى لي ليلة سعيدة ومشى إلى غرفته. ألقيتُ نظرة على الممر، كان ساجان يتكئ على الحائط ويُراقبني. على وجهه ابتسامة باهتة. قال: «تجاوزنا منتصف الليل.»

نظرتُ إلى الساعة على الجدار، وكانت تقريبًا الواحدة صباحًا. مما يعني.. أنه يوم السبت. «إنه يوم السبت! وشمي!»

ضحك ساجان: «هيا نذهب إلى الحمَّام حتي يُمكنك رؤيته في المرآة.»

اتَّبعته إلى الحمام، يخفق قلبي بقلق داخل صدري. بحثتُ عن مرآة يدٍ حتى أراه عن قرب: «من الأفضل أن يكون جميلًا، لو وشمْتَني بوشم البراز سأقتُلك.»

ضحك بهدوء وهو يسحب كُمَّ قميصي ليُزيل الضمادة: «ألم تختلسي النظر إليه حقًّا؟»

هززت رأسي نافية: «وعدتُكَ ألا أفعل.»

أخذ المرآة منِّي وحملها للأعلى خلفي: «حسنًا. افتحي عينيك.»

عندما رأيته، شهقت، كانت جملةً مكتوبة بخطٍّ صغير، «مع ميريت.» حدقتُ فيه لثوانٍ عديدة قبل أن أفهم المعنى حقًّا.

في الخطاب الذي كتبتُه للجميع. وقَّعتُ: «بدون ميريت.»

كتب ساجان العكس.

«مع ميريت.»

غيَّمتِ الدموع رؤيتي وأنا أُمرر أصابعي فوق الوشم. شعرتُ وكأنه علامة النضج. همست: «ساجان، إنه مِثالي.»

ابتسم لي في المرآة: «أعتقد أنه سيبدو رائعًا كوشمٍ مائي. سأُضيف بعض الألوان إليه عندما أكتسب مزيدًا من الخبرة.» لمسَه فشعرتُ ببشرتي تحترق. قال: «أنا سعيد أنه أعجبك.»

«أحببته.» همست.

استدرت لأواجهه. كان لا يزال قريبًا للغاية. لكنه لم يتراجع. نظر إليَّ وكأن لديه شيئًا آخر لقوله. انتظرتُ بأنفاسٍ محبوسة. لكنه فقط تنحنح ورجع خطوة للخلف. انكمشت رئتاي كالبالونات عندما اتَّسعتِ المسافة بيننا.

«ليلة سعيدة يا ميريت.» ومشي مُتجهًا إلى الحمَّام فتنهَّدت.

مشيت إلى غرفتي وجلست على سريري. مددت يدي خلف كتفي ولمست الوشم بأصابعي مرة أخرى. «مع ميريت»، كان يجب أن أسأل ساجان لِمَ اختار هذا الوشم. هل فعل ذلك ليجعلني أشعر بشعورٍ أفضل؟ كنتُ أتساءل مؤخرًا، لم يبدُ حتى مهتمًّا بأن نكون صديقَين. بالطبع كان لدَينا رابط غير مُعتاد أول مرة تقابلنا، لكنه اعتقد أنني أونور. وبعد ذلك اليوم كنتُ دائمًا فظَّةً معه. حتى هو نفسه أخبرني بأنه كلما تعرف عليَّ أكثر كلما قلَّ إعجابه بي.

لكن رغم كل هذا، ما يزال يبذل جهدًا من أجلي. لا أعرف لماذا أفترض أن لدَيه دافعًا خفيًّا. ربما بالفعل وجد شيئًا جذابًا في شخصيتي.

نظرتُ عبر الغرفة إلى قطعة الورق المكوَّرة التي لا تزال على الأرضية. مشيت إليها والتقطتُها. فردتُ الورقة وجلست على سريري. نظرت إلى علامات الاختيار وتساءلت إن كانت تلك القائمة صحيحة بأي شكلٍ من الأشكال. لا أعرف الكثير عن الصحة العقلية، لكن معرفة أنني ربما ورثتُ اضطرابات أُمي ملأني بالخوف المجهول. هل سأنتهي لأكون مثلها؟

ارتعدتُ من الفكرة.

طويتُ الورقة من المنتصف ووضعتها جانبًا. وسحبتُ الغطاء فوقي. تركت المصباح مضاءً وحدقتُ في رسومات ساجان. فكرت في عائلته. فكرت في عائلتي. حاولت النوم رغم كل التفكير، لكن كان لعقلي خُطط أخرى. استلقيتُ وعقلي يقظ للغاية حتى سمعتُ الباب الأمامي يُفتَح، عاد الجميع من عند الطبيب البيطري مع الجروَين.

لا زلتُ لا أصدق أن وولفجانج كان أنثي.

مرَّت نصف ساعةٍ على الأقل وأنا أحدق في السقف. في الحائط. أستمع إلى مياه الدش تجري وإلى الأبواب تُغلق. هدأ المنزل أخيرًا، لكن بعد ذلك جفلتُ لوجود طرقةٍ على بابي. مددتُ يدي لالتقاط القائمة التي أعطاها لي لاك ودفعتُها أسفل الغطاء. صحت: «الباب مفتوح.»

دخل لاك وسار نحوي، لا يجب أن أظل أندهش من اختياراته للملابس حتى الآن، لكني ما زلتُ أضحك. كان يرتدي أحد الأزياء الجراحية الوردية الخاصة بفكتوريا.

سألته: «هل تريد الذهاب للتسوُّق؟» أفسحت مكانًا على سريري، فارتمى بجواري قائلًا: «لا. ما زلتُ أجد الكثير من الأشياء في غرفة الغسيل.»

لم يسمح بزلَّةٍ لِلَكنتِه إلا في الكلمة الأخيرة من تلك الجملة كلها. كان يتأقلم. مددت يدي تحت الغطاء وأمسكتُ الورقة المطوية. ناولتها له. «إذن ماذا تعني هذه؟»

فتح لاك الورقة وتفحصها. راقبتُ تعابير وجهه بعناية. لكنها لم تفصح عن أيٍّ من أفكاره. قال بلامبالاة: «إنها تعني أنك ربما تكونين مكتئبة.»

تذمرتُ وسقطت على السرير بشكلٍ درامي: «أليس من الممكن أن تعني أنني فقط مررتُ بشهر سيئ؟»

وضع القائمة على صدري فأمسكتها وكورتُها وجلست مرة أخرى.

ـ «من الممكن، لكنك لن تعرفي ما لم تتحدَّثي مع شخصٍ ما عن ذلك.»

أدرتُ عينيَّ: «ماذا لو ذهبتُ إلى جلسة العلاج الغبية لأكتشف أنني مكتئبة؟ ما نوع الحياة التي سأتطلع إليها يا لاك؟ لا أريد أن أقضي ما تبقَّى من حياتي كأُمي.»

أخفض لاك رأسه ونظر إليَّ في حدة: «أنا لم أرَ أُمك ولستُ بطبيب نفسي. ولكني أعتقد أنها تعاني ما هو أكثر كثيرًا من الاكتئاب، رُهاب الأماكن العامة، ربما يكون هذا هو مشكلتها الأساسية.»

ـ «نعم، لكنها لم تصِل إلى تلك الحالة إلا منذ سنواتٍ قليلة. حالتها تسوء مع الوقت. من المُحتمَل أن يحدث هذا لي أيضًا.»

فكرة أنه ربما يكون هناك شيءٌ خاطئ للغاية بي تركني بإحساسٍ من الخواء داخل أمعائي. لا أريد التفكير في ذلك. لم أُرد التفكير في ذلك منذ أن فتح لاك الموضوع من البداية. سألته: «لِمَ لا يُمكنني أن أكون فقط طبيعية؟»

أثار سؤالي ضحك لاك. لم أتوقَّع ردة الفعل تلك. قال: «عادية؟ صِفي العادي لي يا ميريت.»

ـ «أونور عادية. وكذلك يوتاه. وساجان. ومعظم الناس من دون عقل فاسد.»

أدار لاك رأسه ووقف. وفتح باب غرفتي على مصراعَيه صائحًا: «يوتاه! أونور! ساجان! تعالوا هنا!» وقف بجوار الباب، وثبَّتَه ليظلَّ مفتوحًا. دفنتُ وجهي في يدي، ماذا يفعل بحق الجحيم؟

ـ «لِمَ ناديتَهم؟ إننا في منتصف الليل!»

رغم تأخُّر الوقت، أتى أونور ويوتاه وساجان جميعًا إلى غرفتي واحدًا تلوَ الآخر. أشار لاك إلى السرير: «اجلسوا»، نظرتُ للأعلى كان ساجان ينظر إليَّ وهو يغلق باب غرفة النوم.

سأل ساجان وهو ينظر إليَّ مباشرة: «هل كل شيء بخير؟» هززتُ كتفي لأنه ليس لدي أي فكرة عما يُدبره لاك.

قال لاك: «ساجان، ماذا يحدث عندما تشرب الحليب؟»

أطلق ساجان ضحكةً مترددة: «لا أشرب الحليب. لدي حساسية من اللاكتوز.»

لم أعرف أن لدَيه حساسية من اللاكتوز. ولكن ما علاقة ذلك بأي شيء؟

ـ «هل تتناول الأدوية لذلك؟»

أومأ ساجان: «أحيانًا.»

حول لاك انتباهه إلى يوتاه: «ماذا يحدث لو خرجتَ في الشمس لفترةٍ طويلة من دون واقٍ للشمس؟»

أدار يوتاه عينَيه: «أحترق. لم ننعم ببشرةٍ تسمرُّ بسهولة» وأومأ برأسه تجاه ساجان.

وجَّه لاك حديثه إلى أونور: «وأنت، لماذا تضعين عدساتٍ لاصقة بينما لا تفعل ميريت؟»

ـ «ربما لأن نظرها أقوى منِّي يا آينشتاين.»

نظر لاك لي ثانية وقال: «هم ليسوا طبيعيين. الإصابة بالاكتئاب ليست خارج سيطرتك، تمامًا كما يُسيطر ساجان على حساسيته من الألبان، أو يوتاه على بشرته الشاحبة، أو أونور الضعيف. إنه شيء لا نخجل منه. لكنه شيء يمكن تجاهله أو تصحيحه بطريقتك. ولا يجعل منك غريبة. هو فقط يجعل منك طبيعية مثل هؤلاء البلهاء» قالها ملوِّحًا تجاه كل الآخرين.

شعرت باحمرار خديَّ بسبب مزيجٍ من الإحراج والاهتمام غير المطلوب الذي تلقيتُه الآن. لكني لم أقدر على التوقف عن الابتسام لأني أُقدِّر عمي الأبله. أنا نوعًا ما سعيدة لظهوره في حياتي.

قال ساجان: «أنا أيضًا أُعاني من مرض قدَم الرياضي*. نظرتُ إليه فجعَّد أنفه: «الأمر سيئ للغاية. خصوصًا في الصيف.»

ضحكت وقالت أونور: «بالحديث عما نُعاني منه. أتتذكَّرين تشخيص أبي بمتلازمة توريت؟»

قال لاك: «مستحيل»

وضَّح يوتاه: «ليست من ذلك النوع الذي يجعل صاحبها يسبُّ بشكلٍ لا إرادي، في الغالب هذا يحدث فقط في التليفزيون. اعتاد أن تأتيه تلك التقلُّصات وأن يصدر تلك الأصوات من

حنجرته. قال الطبيب إنَّ سبَبَها الضغط العصبي. لذا تناول الأدوية لمدة سنتَين، لستُ واثقًا إن كان لا يزال يتناولها إلى الآن.

«أترين؟» قال لاك في حماس. «كل عائلتك تُعاني من كل الأشياء. لا يجب أن تشعري أنك مُميزة للغاية. نحن جميعًا على درجةٍ ما من المعاناة.»

ضحكت، لم أعرف حتى ما يجب أن أقوله. شعور جيد أن أحظى بتشجيعهم. مهما بدا غريبًا.

قالت أونور بلمحةٍ من الذنب على وجهها: «ميريت، أنا حقًّا آسفة. أشعر أنني كان يجب عليَّ...» هزّت كتفَيها ونظرت للأسفل. وأكملَت: «أن أري العلامات، أعتقد!»

هززتُ رأسي: «أونور، أنا الشخص الذي حاول قتلَ نفسِه ولم أعرِف حتى أنني مكتئبة.»

أسند لاك ظهره إلى الحائط وقال: «ميريت على حق، كثير من الناس ممَّن يُعانون من الاكتئاب لا يعرفون حتى أنهم مُصابون به. هو تغيُّر تدريجي. أو على الأقل كان كذلك بالنسبة لي. اعتدتُ أن أشعر أنني على قمة العالم. وفجأة، ذات يوم، لاحظتُ أنني لم أعُد على قمة العالم. فقط أطفو بداخله. وبعدَها في النهاية شعرت وكأن العالم كله يجثم فوقي.»

تشربتُ ما قال لاك، لأنه اختصر ما حدث معي العام الماضي في جملٍ قليلة. فتحت فمي لأقول شيئًا، لكن انقطع صوتي بصوت أبي المفاجئ الآتي من الممر: «ميريت، من الأفضل ألا...» وبينما يفتح الباب، أطبق أبي على فمِه مُغلقًا. افترضت أنه سمع أصواتًا واعتقد أن شيئًا أكثر شرًّا يحدث. نظر حوله لنا جميعًا ومن الواضح أنه لم يكن مُهيئًا لهذا المنظر. لقد مرَّ الكثير من الوقت منذ أن تجمَّعنا أونور ويوتاه وأنا في نفس الغرفة.

*(مرض فطري يصيب الرياضيين خصوصًا لتعرُّض أقدامهم لدرجات حرارة مرتفعة)

تردد، أومأ برأسه قليلًا وبعدها ابتسمَ قبل أن يُغلق باب غرفة نومي مجددًا. بدأنا جميعًا في الضحك، لكنه فتح الباب بقوة ثانية وقال: «أنا سعيد أنكم تقضون الوقت معًا. لكن الوقت متأخِّر. اذهبوا للنوم.»

تذمَّر يوتاه: «إننا في عطلة نهاية الأسبوع.»

رفع أبي حاجبَيه ليوتاه، وتلك النظرة الواحدة كانت كافية ليقوم الجميع من على السرير. كان ساجان آخِر من غادر غرفتي. ومباشرة قبل أن يُغلق الباب ابتسم وقال: «كان من السهل

جدًّا الإعجاب بك اليوم يا ميريت.»

تنهَّدتُ واستلقيت على سريري. يا لها من ليلة!

يا له من أسبوع!

أغلقتُ المصباح مرة أخرى وحاولت لثانيةٍ أن أقطع أفكاري. كنت أخيرًا على وشك النوم عندما سمعتُ طرقةً خفيفة على بابي. كان الظلام حالكًا في غرفتي، لكن عندما انفتح الباب، اقتحم الضوء الغرفة. عندما أطلَّ ساجان برأسه من خلف الباب، همس: «هل نمتِ؟»

جلستُ ومددت يدي إلى المصباح: «لا.» اهتزَّت يدي وأنا أفكر في احتمالات أسباب عودته. أغلق الباب وجلس بجواري على السرير. لا يرتدي قميصًا. فقط ارتدى سراويل رياضية. جلستُ ولكني أبقيتُ الغطاء حتى معدتي. فبعد أن رحل الجميع سابقًا خلعتُ سراويل بيجامتي. والآن أرتدي تيشيرت فقط. ضِعنا معًا وسنكوِّن شخصًا كاملًا عاريًا.

ـ «لديَّ شيءٌ آخر لأقوله لكني لم أُرِد قوله أمامهم جميعًا.»

ـ «ما هو؟»

ـ «ذكرتِ شيئًا الليلة الماضية عن كيف شعرتِ بالحماقة عند سماعك لقصتي.»

أومأت برأسي: «نعم فعلتُ وما زلتُ أشعر بذلك.»

هز رأسه: «يُضايقني أنك تعتقدين ذلك. لا يجب أن تُقارني ضغطك النفسي بضغطي. جميعنا لدَينا خطوط قاعِدية مختلفة.»

حدقتُ فيه بلا استيعاب. «ماذا؟»

مد يدَه وأخذ يدي ليضعها على حجره. أدار كفي للأعلى ولمس معصمي، ليرسم خطًّا وهميًّا فوقه: «لنتظاهر أن هذا هو مستوى الضغط الطبيعي. خطك القاعدي.» وسحب إصبعه للأعلى حتى وصل إلى طرف إصبعي الأوسط. «ودعينا نتظاهر أن هذا هو أقصى مستوًى للضغط لدَيك.» حرك أصابعه للأسفل حتى لمس معصمي ثانية. «خطُّك القاعدي هو عندما تحظَين بيومٍ عادي، لا يوجد الكثير من الضغط، وكل شيءٍ يسير بنعومة. لكن لنقُل إنك كسرتِ ساقك.» وجرى بأصابعه من خط القاعدة عند معصمي إلى منتصف كفي. «سيرتفع مستوى الضغط لديكِ إلى خمسين بالمائة لأنكِ لم تكسري ساقك من قبل.»

أطلق يدي وقلب يدَه، نظر إليَّ: «هل تعرفين كم مرة كُسِرَت عظامي؟»

هززت كتفيَّ: «مرتَين؟»

«ستَّ مرات» قال مُبتسمًا. «كنت طفلًا مشاغبًا.» ولمس معصمه راسمًا خطًّا وهميًّا خلاله: «لذا لو كنتُ لأكسر ساقي. سيُسبب هذا لي الضغط. لكني مررت بذلك من قبل، لذا سيرتفع مستوى الضغط لديَّ بنسبة عشرة في المائة وليس خمسين.» توقف لحظة ثم أكمل: «هل تفهمين ما أقوله؟»

بأمانةٍ لم أكن واثقةً ما النقطة التي يريد توضيحها. قلت: «هل تقول أنك أكثر صلابة منِّي؟»

ضحك: «لا يا ميريت. كان هذا فقط مثالًا. ما أقوله، أن نفس الشيء يمكن أن يحدث لشخصَين. لكن لا يعني هذا أنهما سيختبران نفس الضغط النفسي بسببِه. لدينا جميعًا مستويات مختلفة من الضغط نتكيَّف معها. ربما شعرتِ بنفس القدر من الضغط بسبب وضع عائلتك الذي أشعر به أحيانًا تجاه عائلتي، رغم أنهما في مستويين مختلفين تمامًا. ولكن هذا لا يجعلك أضعف. ولا يجعل منكِ حمقاء. نحن شخصان مختلفان مررْنا بأنواع تجارب مختلفة.»

أخذ يدي ثانية لكن ليس لإثبات وجهة نظره. فقط شبَّك أصابعه في أصابعي وأمسك يدي: «يُضايقني عندما يحاول الناس إقناع أناسٍ آخرين أن غضبهم أو قلقهم غير مُبرَّر لأن هناك آخرين في العالم يُعانون أكثر منهم. هذا هراء. عواطفك وردود فعلك مقبولة يا ميريت. لا تَدَعي أحدًا يخبرك عكس ذلك. فأنتِ الوحيدة التي تشعرين بها.»

ضغط على يدي. ولا أدري عند أي نقطةٍ خلال المحادثة وقعتُ في حُبه. لكنه حدث. قد يبدو وكأني أجلس بفتورٍ بجواره على السرير، لكنِّي مجازيًّا، ذُبْتُ عند أقدامه.

ما بين لاك وساجان، الساعتان الماضيتان فتحتا عينيَّ.

لم أحاول حتى أن أجيب على كل ما قاله لي. بدلًا من ذلك أرحتُ رأسي على كتفه بينما أحاطني بذراعه. وفكرتُ فيما قاله سابقًا عندما أخبرَني أنه كان من السهل الإعجاب بي اليوم. وجدتُ الراحة في ذلك، لأنه خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، ربما شاهد أكثر جوانبي أصالةً مما رأى من قبل. أغلقت عينيَّ وعدلت وضعي بجواره.

«من السهل الإعجاب بك اليوم» همست، قبل أن أنام أخيرًا.

# الفصل السابع عشر

بالرغم من أنه يوم السبت ـ أخيرًا يوم لا يجب عليَّ فيه التظاهر بالاستيقاظ والذهاب إلى المدرسة – لكني مع ذلك استيقظتُ مبكرًا عما أردت. سقط ساجان نائمًا في غرفتي الليلة الماضية، لذا بمجرد أن فتحتُ عينيَّ، تقلبتُ لأوقظه حتى لا يجده أبي هنا.

لكنه لم يكن هنا. وعلى الوسادة حيث نام الليلة الماضية وجدتُ رسمة. ابتسمت والتقطتُها. على ظهرها، كتب ساجان: «لا أعرف حتى ما هذا، لكني رسمتُها وأنا أنظر إليك أثناء نومِك. اعتقدتُ أنها قد تُعجبك.»

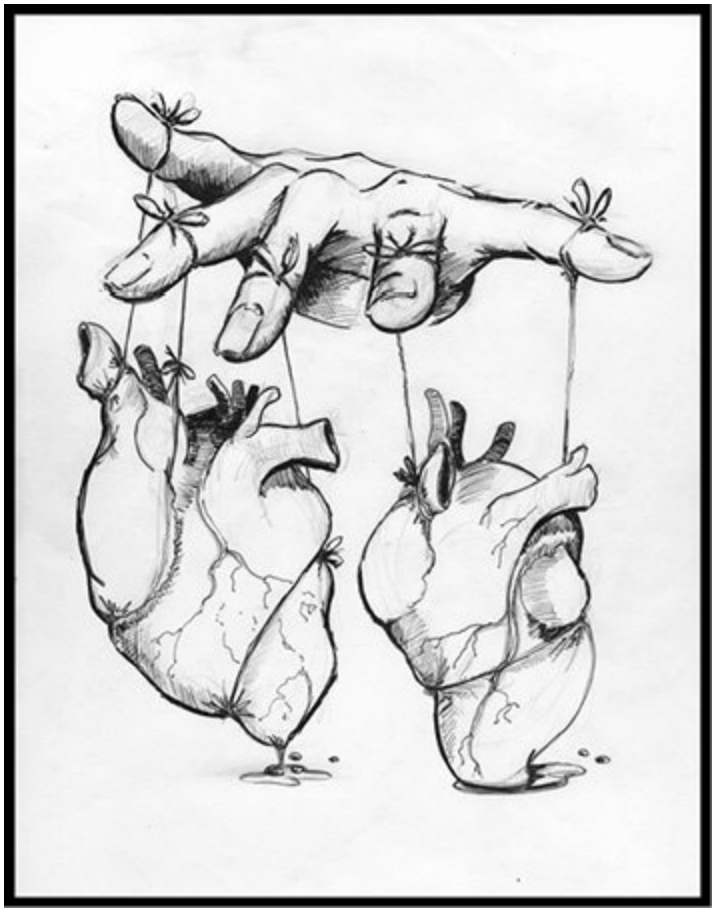

لم أعرف ما هذا أيضًا، لكني أحببتُها. ربما حتى ستكون رسمتي المفضلة الجديدة. ألصقتُها على الحائط.

ارتديتُ بنطلون جينز وتوب بلا كتفَين وتوجهت إلى المطبخ، لكني توقفت لألقي نظرةً على غرفة ساجان، كانت في حالةٍ فوضوية، كل الأدراج مفتوحة ولوحاته على الجدار اختفت. بدأ قلبي يخفق بشدة في صدري وحاولتُ أن أسيطر على الذعر الذي شعرت به. درتُ لأذهب إلى المطبخ لأكتشف ما حدث، ولكني تفاجأت بأبي يعترضني خارج باب غرفة ساجان مباشرة.

«أين ساجان؟»

«لقد طردته» قال أبي بكلٍّ بساطة.

رفعت يدي إلى رأسي: «ماذا؟»

«لقد نام في سريرك الليلة الماضية يا ميريت.»

هذا لا يُصدق. «لذا طردته؟ من دون حتى أن تتحدَّث إلي؟» درتُ في الأرجاء ونظرت في غرفة الضيوف ثانية، تمنيتُ لو أني أحلم، تقريبًا انتهى كل شيء. «ألا تمتلك قلبًا؟» درتُ مرة أخرى لأواجه أبي. «ألا تعرف ما حدث لعائلته؟ ما يمر به؟»

تنهَّد أبي: «ميريت، اهدئي» أمسك مِعصمي وسحبني إلي الممر وعبر المطبخ إلى الباب الخلفي. كان ساجان واقفًا في الجانب الآخر من الباحة، حاملًا كيس قمامة حجم ثلاثين جالونًا على كتفه. أكمل أبي: «سينتقل إلى منزلنا القديم.»

شاهدتُ ساجان وهو يفتح البوابة ويحمل كيس القمامة إلى المدخل الخلفي لمنزلنا القديم.

ـ «أوه.»

ـ «أخبرت ساجان أنه يمكنه العيش في منزلنا طالما لا يتورَّط مع أيٍّ من الفتيات. لكنه كسر تلك القاعدة.»

ـ «لكننا لسنا معًا يا أبي. لم نفعل حتى أي شيءٍ الليلة الماضية، فقط نِمنا بينما نتحدث.»

رفع أبي حاجبه: «إذن لماذا وافق على الانتقال عندما أخبرتُه أن ذلك خياره الوحيد إن أراد مواعدتك؟»

ضغطتُ على شفتيَّ ونظرت ثانية خارج الباب في اللحظة التي رأيتُ ساجان فيها يختفي داخل المنزل، سألت بهدوء: «وافق على الانتقال؟»

ـ «نعم».

أوه. هذا نوعًا ما غيَّر مزاجي بالكامل: «هل يُمكنني الذهاب إلى هناك؟»

ـ «لا، أنت معاقبة.»

درتُ حول نفسي مرةً أخرى: «لماذا؟»

ـ «لنرى، لوجود شابٍّ في غرفتك. لسرقة دواء أُمك. لطلاء السور باللون الوردي. لـ...»

رفعتُ يدي قائلة: «حسنًا، هذا عادل.»

ـ «للانقطاع عن الدراسة.»

جعدتُ أنفي وتراجعتُ خطوة للوراء: «أوه. أنت تعرف.»

ـ «أخبرتني أُمك أنها تلقت مكالماتٍ من المدرسة.»

دخل أبي إلى المطبخ وفتح غسالة الأطباق. أشار إليها، ليُعلمني أنني مسئولة عن كل الأعمال المنزلية خلال فترة عقوبتي. وبعدها استدار ليُعد لنفسه كوبًا من القهوة. مشيتُ إلى غسالة الأطباق وسحبتُ بعضًا من الأطباق.

قال أبي: «قابلتُ مديرك بالأمس، قال إنه مستعدٌّ للعمل معك على اللحاق بفروضك المتأخرة، لكن لا يمكنك الغياب ولو ليومٍ واحد لباقي السنة. سآخُذك إلى المدرسة يوم الإثنين. وسألتقطُك بعدها وسنذهب لزيارة دكتور كريس.»

مددتُ يدي والتقطتُ مقلاةً وفتحت خزانة أخرى: «سنذهب إلى دكتور كريس؟ هل يعني هذا أنك أيضًا ستتلقي العلاج النفسي؟»

كنتُ نصف مازحة، لذا عندما قال: «جميعنا سنخضع للعلاج النفسي» صُدمت.

استدرتُ لأواجهه: «كلُّنا؟»

أومأ برأسه: «أنا وأنتِ وأونور ويوتاه وفيكتوريا.» ثم أنزل فنجان قهوته مكملًا: «أعتقد أننا تأخَّرنا لعدة سنوات.»

ابتسمت، لأني شعرت بالارتياح. الارتياح الشديد. لقد قررتُ بالفعل أن أذهب للعلاج، خصوصًا بعد تلك الورقة المكوَّرة الغبية على أرضية غرفتي والمحادثة السخيفة التي تلَتْها الماضية. لكني شعرتُ أنه من غير العدل أن لا أحد غيري في هذه العائلة كان مطالبًا بالذهاب. كان والدي على حق. هذه العائلة تأخرت كثيرًا. سألته: « ماذا عن أُمي؟ هل ستخضع للعلاج هي الأخرى؟»

تجهم وجهه: «سأبذل قصارى جهدي معها. أعدك.»

«تعِد بماذا؟» قال يوتاه وهو يمرُّ من الباب الخلفي وبصحبته أونور.

استقام أبي واقفًا وتحشرج صوته وهو يقول: «أخْلِ مواعيدك بعد الدراسة يوم الإثنين. سنذهب إلى جلسة علاج نفسي عائلية.»

تذمَّرت أونور: «هذا يبدو فظيعًا.»

ـ «هل فات الأوان للتملُّص من ذلك؟» سأل يوتاه.

ضحك أبي: «أنت في الثامنة عشرة، أنت بالغ بالفعل ومسئول عن قراراتك»، بدأ بالمشي خارجًا من المطبخ، ولكنه سرعان ما توقف وأخذ خطوةً للخلف: «ميريت؟ ما هذا الذي على ظهرك بحق الجحيم؟» شعرتُ بأصابع أبي تمسح ظهري فتجمدتُ في الحال. يا للحماقة! لقد ارتديتُ سروال الجينز والتوب بلا كتفَين ونهضتُ من فراشي، لم تغطِّ الملابس جلدي بالكامل. نسيتُ أمرَ الوشم.

ـ «أممم...»

سمعتُ صوت ارتطام الباب السلكي ونظرتُ للأعلى ووجدت ساجان واقفًا هناك.

مالت أونور عليَّ ونظرت إلى الوشم قائلة: «أه.. أنا رسمتُه. إنه مؤقَّت.»

وافقتُها بسرعة: «نعم، إنه.. كالحنة.»

«أونور لا ترسم بتلك الجودة.» قال أبي.

استدرتُ وواجهته حتى يتوقف عن النظر إليه: «أبي، بالطبع يُمكنها ذلك. علَّمَها ساجان» نظرتُ إلى ساجان ليدعمني. فأومأ برأسه على الفور.

ـ «نعم أونور تريد أن تُصبح فنانة. هي جيدة بالفعل.»

ـ «أنا جيدة للغاية.» قالت أونور

نظر أبي لثلاثتنا، لكن بعدها قرَّر أنه لا يستطيع تحديد مَن منَّا يكذب. فاستسلم ومشى بعيدًا.

«شكرًا لك» قلت لأونور.

غمزت إليَّ وقالت: «أتشعُرين بالرغبة في تجهيز الإفطار؟»

انتهينا تقريبًا من البيض عندما خرجت فيكتوريا من غرفتها.

«ماذا يحدث؟» نظرت إلينا بشك.

تولَّت أونور أمر البيض وبدأتُ أنا في باقي الأشياء. «نمنحك استراحة» قالت أونور.

«هل هذه خدعة؟» سألت فيكتوريا.

«لا توجَد خدعة.» صببتُ الماء على عجين الفطائر المحلاة. «فقط نعد الإفطار.»

لم تتوقَّف فيكتوريا عن شكِّها. مشت ببطءٍ وأعدت إناءً من القهوة وصبَّت لنفسها كوبًا، من دون أن ترفع عينَيها عنَّا، قالت: «يجب قلب البيض في النهاية.»

ابتسمت: «ما زلنا نتعلَّم. إنها مرتنا الأولى.»

جلست فيكتوريا على الطاولة: «أنا مُستمتعة للغاية ولا أستطيع التوقُّف عن المشاهدة.»

كنتُ لا أزال أقلب العجين حين قررتُ عرض الأمور على المكشوف لفيكتوريا.

«اسمعِي، أنا أخت موبي الكبيرة. وفي بعض الأحيان، تقوم الأخت الكبرى ببعض الأشياء كتهريب الدونتس لأخيها الصغير. ولن أتوقَّف عن فعل ذلك لأن هذا هو الشيء الخاص بي وبموبي. لكن...» نظرتُ إليها. «سأُقلِّل ذلك إلى مرةٍ واحدة في الأسبوع. لو سمحت بذلك.»

نظرت فيكتوريا إلي وكأني ممسوسة. وبعدها أومأت: «سأُقدر ذلك يا ميريت. شكرًا لك.»

وهكذا توصلنا لتفاهُم طال انتظاره كثيرًا.

درتُ لأصبَّ أول فطيرة في المقلاة، فقط عندما دخل ساجان عائدًا من رحلةٍ أخرى إلى المنزل القديم. توقف عن سيره ليستطلِع المشهد. أنا وأونور نجهز الإفطار. وفيكتوريا واقفة وعلى وجهها ابتسامة. ابتلع ذلك ومشى إلى أونور وقبَّلها على خدِّها. «صباح الخير يا جميلة.»

عندما وصل إلي، أحاطني بذراعَيه من الخلف بطريقةٍ أكثر حميميةً من قوله مرحبًا للمتوِّ لأونور. قبل مؤخرة رأسي وأراح ذقنه على كتفي بينما ينظر إلى الفطائر المحلاة التي حاولتُ إعدادها، قال: «تفوزين بمسابقات الجمال وبطولات البولينج ومسابقات العدو، والآن أكتشف أنك طاهية مُحترفة؟ أعتقد أنني سأحتفظ بك يا ميريت.»

ـ «لو سمحتُ لك بذلك» قلت بوجهٍ جامد. بالتأكيد سأسمح له.

«ساجان، انظر» قال موبي، مهرولًا إلى المطبخ. التقطه ساجان وأجلسه على الطاولة. فأعطاه موبي رسمة.

ـ «أوه. واو»

قال ساجان، وطوى الرسمة من المنتصف على الفور ثم دسَّها في جيبه.

سألته فيكتوريا: «ما هي؟»

هز ساجان رأسه، وكان من الواضح أنه يُخفي شيئًا. «لا شيء. لا شيء على الإطلاق.»

قال موبي في حماس: «لقد رسمتُ كل الأجساد الميتة التي كدسها الملك داخل الجبل!»

نظرت فيكتوريا إلى ساجان، فضحك وجذب موبي من على الطاولة قائلًا: «ربما علينا التمرُّن على رسم النباتات قبل الانتقال إلى الأجساد الميتة.»

قاطع يوتاه ساجان وموبي وأمسك موبي ووضعه على كرسي الطاولة.

ـ «هل أنت مُتحمِّس لليوم؟»

ـ «نعم!»

ـ «ما مدى حماسك؟»

ـ «متحمس للغاية!» ضحك موبي.

ـ «ما مدى حماسك؟»

ـ «الأكثر حماسًا!»

مالت عليَّ أونور ونظرت إلى قطعتَي الفطائر المحلاة اللتَين تمكنتُ من حرقهما: «سنحتاج إلى بعض التدريب. أعتقد أنني أفسدت البيض.»

بعدها بنصف ساعة، كان كل شيء جاهزًا تقريبًا وكنتُ أعمل على قطعة الفطيرة الأخيرة عندما دخل لاك إلى المطبخ. كان يرتدي تيشيرت ستار بكس الرسمي الخاص به.. لكنه زاوَجَه مع تنورته الخضراء.

سمعتُ يوتاه يضحك من مقعده على الطاولة: «هل تتمنَّى طردك من العمل؟»

أحضر لاك كوبًا من الخزانة: «لو لم يسمحوا لي بارتداء تنورتي في العمل. سأُقاضيهم على التمييز العنصري.»

أخذتُ قطعة الفطائر الأخيرة وقلبتُها على الطبق. وأنهت أونور وضع باقي الطعام على طاولة المطبخ عندما وضعت الفطائر المحلاة وجلست بين ساجان وموبي.

أخذ موبي قضمةً من الفطير وبملء فمه قال: «هل أنتَ مِثليٌّ يا يوتاه؟»

نظرنا جميعًا في الحال إلى موبي، وانفجر يوتاه ضاحكًا.

تحشرجت فيكتوريا وقالت: «أين سمعتَ تلك الكلمة، موبي؟»

هز موبي كتفَيه. «سمعتها منذ عشر سنوات تقريبًا. أحدُهم قال إن يوتاه مثليٌّ. هل هي مثل كلمة وغد؟»

ضحك يوتاه وقال: «أن تكون مثليًّا يعني أن رجلًا من المُمكن أن يتزوَّج رجلًا آخر بدلًا من فتاة.»

أضافت فيكتوريا: «أو فتاة من المُمكن أن تتزوَّج فتاة.»

أومأ لاك: «وبعض الأشخاص يُفضلون الرجال والفتيات.»

قال موبي: «أنا أُحب قطع الليجو.»

ـ «لا يمكنك أن تتزوج قطعة ليجو» قالت له فيكتوريا.

انقلب وجه موبي في خيبة أمل: «لِمَ لا؟»

أشار أبي بشوكته إلى موبي: «إنها ليست شيئًا حيًّا يا بُني.»

«هل يجب أن يكون كائنًا حيًّا؟» سأل موبي أبي، «مثل الجراء التي أريتني إياها الليلة الماضية؟»

هز أبي رأسه على الفور: «يجب أن تلتزم بفصيلتك. يجب أن تتزوَّج كائنًا بشريًّا.»

عبس موبي: «هذا ليس عادلًا. أريد أن أتزوَّج من الجراء.»

ضحكتُ: «من الجيد أنك تعلمتَ أن الحياة ليست عادلة مبكرًا. لقد استغرق الأمر منِّي سبعة عشر سنة.»

وضعت فيكتوريا فطيرةً محلاة أخرى في طبقها قائلة: «هذا جيد حقًّا يا فتيات.»

«إنه كذلك.» وافق أبي.

تمتم كل الآخرين نوعًا ما بنفس الكلام بأفواهٍ مليئة بالطعام، لكننا جميعًا تشتَّتنا بطَرْق مفاجئٍ على الباب الأمامي. نظرتُ من النافذة ورأيتُ سيارة شرطة في الممر الخاص بنا، صحت: «أوه، لا.»

تفحصنا أبي جميعًا بنظراته، لم ينظر أحد منَّا إلى عينَيه. قال: «لِمَ تبدون جميعًا مجرمين؟» لم يتحدث أحدنا. في الواقع كنا ندفع قطعًا من الطعام إلى أفواهنا في نفس الوقت، مما جعلنا نبدو أكثر إثارة للشك. هزَّ أبي رأسه ونهض من الطاولة.

لم ينهض أحد منَّا عندما فتح الباب. فقط أنصتنا جميعًا في هدوء.

«صباح الخير، برنابي» قال الضابط.

ـ «صباح الخير. ما المشكلة؟»

ـ «حسنًا.. بعد أن دفنَّا كلب القس برايان في الكنيسة ليلة أمس، تم العبث بقبر الكلب. كما تمَّ العبث بقبر القس برايان كذلك. يبدو أن أحدًا ما نقل الكلب.»

ـ «هل هذا صحيح؟»

تنهَّد الضابط بحدة: «توقف عن الهراء، برنابي. هل نبشتَ قبر الكلب ثانيةً بعد أن قبضنا عليك بالفعل لذلك؟»

ضحك أبي وقال: «بالطبع لا. لقد عدتُ مباشرة إلى المنزل وذهبت إلى سريري» بدأ الضابط في الحديث ثانية، ولكن قاطعه أبي: «مع كل الاحترام اللازم، أنت تُضيع وقتك. الكلبة ميتة بالفعل ويبدو لي أنها موجودة بالفعل في المكان المناسب الذي أراد القس برايان أن تكون فيه. أليس لديكم أيها الرجال أشياء أخرى أهمُّ تركزون عليها؟»

حاول الضابط مرةً أخرى أن يقول كلمة. لكن أبي قاطعه: «هل لديك مذكِّرة توقيف؟»

ـ «حسنًا، لا. فقط جئنا للتحدث إليك عن...»

ـ «جيد. لقد تحدثتَ إليَّ بالفعل. أريد العودة لإكمال إفطاري الآن. أتمنَّى لك يومًا سعيدًا، يا مُحارب الجريمة.»

أغلق أبونا الباب. وشاهدتُه عائدًا إلى الطاولة. من الصعب القول هل كان غاضبًا أم لا. دفع كرسيه إلى الأمام والتقط شوكته. طعن قطعتَين من الفطائر المحلاة ونظر إلينا جميعًا ثم قال: «أنتم جميعًا حفنة من الوثنِيِّين.»

# الفصل الثامن العشر

سألني موبي: «ماذا يجب أن نُسميهما؟» كان يجلس بجواري في الباحة. أبي لم يقل إن كنتُ ممنوعة من الخروج إلى الباحة أم لا.

ـ «لا أعرف. لم لا تُسمِّي أحدَهما وأنا سأُسمي الآخر؟»

«حسنًا» قال موبي في حماس. رفع الجرو الذي بين يدَيه عاليًا وقال: «سأُسمي هذا ديك.»

ضحكت: «لستُ واثقة إن كانت أمك ستوافق على ذلك.»

تجهَّم وجهه: «لِمَ لا؟ لقد أسمتني موبي. أريد أن أُسمي جروي ديك حتى نُصبح إخوة.»

ـ «طالما تستخدِم تلك الحجة»

خرج ساجان من الباب الخلفي لمنزله الجديد وتوجَّه نحوَنا. جلس على العشب بجواري. حملتُ الجرو الذي بلا اسم: «يجب أن نُسمي هذا. هل لديك أي مقترحات؟»

لم يتردد ساجان: « تُقبرني. ويمكن أن نُناديه تاك.»

ابتسمت. أنت تدفنني. رفعتُ الجرو لوجهي وقبلتُ أنفه: «أُحب ذلك. تقبرني.»

وقف موبي وأمسك تاك من بين يدي: «كن حذرًا معهما يا موبي.»

ـ «سأفعل. أريد فقط أن أُري تاك وديك لأُمِّي» احتضن كِلا الجروَين بين ذراعَيه واتجه نحو الباب الخلفي.

تاك وديك؟ أتمنَّى التحوّل إلى حشرة على الحائط لأُراقبهما وهو يُخبرها بتلك الأسماء.

اختفى موبي داخل المنزل ونظر ساجان إلي: «أتريدين رؤية حفرياتي الجديدة؟»

ضحكتُ وتمددتُ على العشب: «لا يمكنني. أنا مُعاقبة. ومن فضلك لا تُشرِْ أبدًا إلى ذلك المكان باسم حفرياتك مرةً أخرى.»

ـ «أنت معاقبة؟ إلى متى؟»

ـ «لم يُقَرَّر بعد.»

استلقى ساجان بجواري، وحدقنا معًا في السماء: «لكن ألم يخرج مبكرًا للتبضُّع؟ هو ليس في المنزل حتى.»

واجهتُه بابتسامة. أُحب ذلك الجانب المتمرِّد فيه: «أنت على حق. لنذهب ونتفقد حفرياتك الجديدة» دفعنا أنفسنا عن الأرض ومشَينا إلى المنزل القديم. لم أزره منذ ستة أشهر، منذ بدأ يوتاه إعادة تجهيز الأرضيات. ظل فارغًا لفترةٍ طويلة، نوعًا ما شعرت بالسوء لأن ساجان اضطر للعيش في تلك الظروف، لكن عندما مشيتُ عبر الباب الخلفي تلقيتُ مفاجأة سارة. أعني، لا يزال يحتاج إلى الكثير من العمل. لكنه قطع شوطًا كبيرًا في ستة أشهر.

«واو. بالفعل بذل يوتاه الكثير من الجهد في هذا المكان.» الأرضيات تقريبًا مكتملة. فقط ينقصه أرضية غرفة المعيشة وبعدَها يبدو أن الأمر تقريبًا مُنتهٍ. تبعت ساجان إلى الممر وأشار إلى غرفة يوتاه القديمة.

«سيأخذ يوتاه تلك الغرفة.» ودار ومشى عكسيًّا مُشيرًا إلى غرفة أونور القديمة. «وإن تمكن من إقناع أُمك بالانتقال إلى هنا. ستأخذ غرفة أونور القديمة»، نظر للأمام ثانية وتوقف عند باب غرفتي القديمة: «وغرفتك القديمة.. هي الآن غرفتي».

فتح الباب وكانت في فوضى تامَّة. كلُّ أشيائه ما زالت في الأكياس ومَرتبتُه ليس عليها ملاءات بعد. وبعض أشيائي القديمة ما زالت في صناديق على الأرض.

مشيتُ إلى السرير وسقطتُ على المرتبة قائلة: «إنها مريعة».

ضحك: «أعرف لكنها مجَّانية.»

جلس بجواري على السرير ورن هاتفه. والآن بمعرفة ماذا قد تعني أي مكالمة بالنسبة له، أقلق تقريبًا بمقدار قلقِه كلَّما أخرجه من جيبه. استطعتُ أن أرى خيبة الأمل عندما رأى اسم يوتاه. أجاب فاتحًا السماعة الخارجية. «نعم؟»

«هل أخذتَ لفَّة أكياس القمامة إلى البيت الآخر؟»

ـ «لا، إنها على خزانة الملابس في غرفة الضيوف.»

ـ «حسنًا، شكرًا» قال يوتاه قبل أن يُغلق المكالمة. ارتمى ساجان على المرتبة وحدق في هاتفه للحظة، بعدها وضعه ثانية في جيبه.

سحبتُ ساقيَّ ووضعتهما متقاطعتَين على السرير، في مواجهته. أردتُ سؤاله أكثر عن عائلته.. ماذا يعتقد قد حدث لهم.. إن كان يعتقد أنه ما يزال هناك أي أمل لمعرفة ما حدث لهم. لا بد أنه رأى نظرة التمزُّق على وجهي، لأنه مدَّ يدَه إلى يدي وشبك أصابعه في أصابعي.

استطعتُ أن أرى في عينَيه أنه فقد أيَّ أملٍ حولهم. جعلني هذا حزينة لأجله. نظرتُ إلى الذراع المُرتبطة باليد التي تُمسك يدي. لمست الوشم الذي يقول «دورك يا دكتور»

ـ«أنا واثق أنه مع الوقت سأعتاد على أنني لن أعرف أبدًا. لكن ما زال عندي أمل.»

حاولتُ الابتسام بشكلٍ مُطمئن، لكني لست واثقة إن كانت خرجت بذلك الشكل. مد يده وضغط بإبهامه على جبهتي، مباشرة بين عيني ليفرد جبهتي المُتغضِّنة: «توقفي عن القلق علي، كان لديَّ سنوات لاعتاد على ذلك. أنا بخير.»

أومأت برأسي، وبعدها سحبني إلى السرير بجواره. أسندت خدي على صدره واستلقَينا صامتَين لفترة.

أردتُ سؤاله عما قاله أبي هذا الصباح، عن اختياره للانتقال إلى هنا حتى يُمكنه الارتباط بي. لكني أيضًا لم أُرِده أن يعرف أني أعرف.

بدلا من ذلك، سحبتُ ذراعه أقرب وتتبَّعت أحد الوشوم الأخرى. لمستُ الإحداثيات الرقمية. سألته: «ما موقع تلك الإحداثيات؟»

ـ«ليس من الصعب اكتشاف ذلك. كل ما عليك فعله هو كتابة تلك الإحداثيات على هاتفك.»

لِمَ لَمْ أفكر في ذلك؟

مددتُ يدي إلى هاتفي وانقلبتُ على ظهري. فتحت خرائط جوجل وكتبت الإحداثيات 33°16.8’08«N, 95°36’04.4«W. عندما ظهر الموقع على الهاتف، حدقتُ فيه. كبَّرتُ الصورة. وحدقت فيه أكثر. قلت: «لكن.. أنا حائرة. قلتَ من قبلُ إن تلك الإحداثيات تؤدِّي إلى مكان ولادتك.»

رفع ساجان مرفقه وأخذ هاتفي من بين يدي، ووضعه على السرير بجوار رأسي. ومال عليَّ قائلًا: «ليس هذا ما قلتُه. أنت سألتني إن كان حيثُ ولدتُ وأنا قلتُ قريبًا منه».

ـ«أنت قلتَ أنك وُلدت في كانساس. تلك الإحداثيات تقود إلى ميدان مدينتنا حيث قبلتني. في تكساس. وهذا ليس قريبًا من المكان الذي وُلدتَ فيه.»

«بالضبط» قال مزيلًا الشعر من على جبهتي. «إنه ليس مكان ميلادي. إنه المكان الذي دفنتني فيه.»

حدقتُ فيه للحظةٍ وأنا مصدومة نوعًا ما. حاولت إخفاء ابتسامتي، لكن الأمر صعب عندما يبتسم لي هو الآخر. سألته: «تلك القبلة استحقَّت أن تجعل منها وشمًا؟»

هز رأسه: «لم أدُقَّ الوشم لأنه المكان الذي قبلتكِ فيه للمرة الأولى. دققتُه لأنه المكان الذي قابلتُك فيه.» مرَّر يده خلف عنقي وبعدَها ببطءٍ هبط بفمه بالقرب من فمي. همس: «لكن القبلة كانت جميلة، أليس كذلك؟»

تلاقت شفتانا، كانت شفتاه ناعمتَين ورقيقتَين. لم تكن بالخطأ كقبلتنا الأولى، لم تكن خادعة، كقبلتنا الثانية، ولم تكن محمومة، كقبلتنا الثالثة. كانت هذه قبلتنا الأولى الحقيقية التي نتبادلها، وأردتُها أن تستمر لأطول فترة ممكنة. تحركت شفتاه فوق شفتي بصبرٍ، أحببتُ التأنِّي في تلك القبلة أكثر من أي شيءٍ آخر. إنها تعني أن كِلَّا منَّا علِم أنه لا يزال هناك الكثير الذي سيأتي بعد.

تدحرج ليُصبح فوقي، وبينما أصبحنا في أكثر وضعٍ مثالي كنتُ فيه أثناء تقبيله، رن هاتفي. ضحك ساجان قُرب فمي وانسحب على مضض. التقطتُ الهاتف ورأيت أنها أونور. فكرتُ ألا أرد، لكن في الواقع كنت مُتحمسة لأنها تتصل بي. لا نتحدث على الهاتف أبدًا، لذا هذا دليل آخر على أن الأمور ربما تغيَّرت حقًّا بَيننا.

ـ «أهلًا؟»

ـ «مرحبًا، وصل أبي إلى البيت للتو. من الأفضل أن تعودي إلى هنا الآن.»

أغلقتُ الخط وطبعت قبلة سريعة على فم ساجان: «عاد أبي، يجب أن أذهب.»

لفَّ ذراعَه حولي بقوة وجذبني نحوه، وأعطاني قبلةً سريعة قبل أن يدفعني بعيدًا: «أراكِ على العشاء، مير.»

ابتسمتُ وجريتُ عائدة إلى البيت.

البيت..

هذه هي المرة الأولى التي أُشير فيها إلى دولار فوس بالبيت..

النهاية

إذا كنت ترغب في الحصول على مزيدٍ من المعلومات حول الاكتئاب، يرجى زيارة موقع جمعية القلق والاكتئاب الأمريكية:

www.adaa.org

# شكر وتقدير

أكثر ما أُحبه في الكتابة هو التمتُّع بحرية كتابة ما يُلهمني. في بعض الأحيان تكون هذه القصص أثقل من الكتب الفعلية التي تضمُّها، وأحيانًا تكون ملتوية وممتعة. لكن الثابت الوحيد في كل كتابٍ أكتبه هو الدعم الذي أتلقَّاه منكم، أيها القراء. أشكرك على السماح لي بالحرية لمُواصلة حُبِّ ما أقوم به، عامًا بعد عام.

شكرًا جزيلًا لمجموعة CoHorts. لقد كان عام 2017 هو العام المُفضل لديَّ معكم جميعًا. نضحك معًا، ونبكي معًا، ونتحدَّث عن الكتب معًا. أنا مقتنعة بأن لدينا أكبر مجموعة على الإنترنت مع أقل عددٍ من الحمقى. أنا أُحب ذلك عنا.

إلى عائلتي: لقد كان تسليم هذه الرواية أصعب من أي وقتٍ مضى، لكن لم يشتك أحد منكم في وجهي على أية حال. شكرًا لكم على ذلك.

إلى زوجي الذي هو قلبي وروحي وصديقي المُفضل: لا أستطيع أن أفعل هذا بدونك، حرفيًّا. لا أستطيع أن أفعل أي شيءٍ بدونك. الحياة، الغسيل، هذه المهنة. ابقَ بجواري إلى الأبد، اتفقنا؟

إلى ليفي. أنتَ طفلي المُفضل. أُحبك.

إلى القلة الذين رافقتُهم خلال تجربة الكتابة هذه. بروك هوارد، جوي نيكولز، كاي مايلز، وأمي. أنا أُحبكم جميعًا!

إلى مُحررتي، التي كانت ستُصبح عاقلةً جدًّا لولا كاتبتها المُفضلة. جوانا كاستيلو، سأقدر إلى الأبد صبرك الهائل مع هذا الكتاب ومعي.

إلى بيكهام. أنت طفلي المُفضل. أُحبك.

شكرًا جزيلًا لوكلائي في Dystel & Goderich. إلى الناشرين في Atria Books. إلى مسئول الدعاية الخاص بي، أرييل فريدمان، لأنه دائم التألُّق، حتى في أصعب الظروف.

إلى كال. أنت طفلي المُفضل. أُحبك.

وشكرًا جزيلًا لبراندون آدامز لتزويدي برسومات ساجان وأيضًا لتزيين The Bookworm Box بموهبتك. أنت رائع وكريم، ويُسعدني أن أدعوك صديقًا.

دليل قراءة رواية «بدون ميريت»

دليل القراءة هذا لرواية «بدون ميريت» يتضمن مقدمة ومناقشة وأسئلة وأفكارًا لتعزيز نادي القراءة الخاص بك. الأسئلة المقترحة غرضها مساعدة مجموعة القراءة الخاصة بك على إيجاد مواضيع وزوايا جديدة ومُثيرة للمناقشة. نأمُل أن تُثري تلك الأفكار محادثاتك وتزيد من مُتعتك بالكتاب.

# مقدمة

عائلة فوس غريبة الأطوار ومَعيبة ومليئة بالأسرار. مع كل ما يجري في دولار فوس، كان من السهل على ميريت أن تشعر بالتهميش والتجاهل التام. بدأَت تعتقد أنها لن تكون خسارةً كبيرة لعائلتها إن اختفت يومًا ما. ولكن قبل ذهابها، قررت ميريت أنَّ الوقت قد حان لتصفية الأجواء من أحلك أسرار عائلتها وأجبرَتْهم على أن يواجِهَ كلٌّ منهم حقيقة الآخر. عندَها أدركَتْ فجأة أنها لا تريد الرحيل، فقد فات الأوان. ميريت وبقية آل فوس مُجبرون على التعامل مع طبقات الأكاذيب التي ربطت عائلتهم معًا، والقوة المذهلة للحُب والحقيقة.

## مواضيع وأسئلة للمناقشة:

1. تجمع ميريت الكئوس التي لم تكسبها، تشترى واحدًا جديدًا كلما حدث لها شيء سيئ بشكلٍ مريع في حياتها. هل هناك أي شيء تريد جمعه؟ لماذا؟
2. الأمانة هي سمة أساسية ولها أهمية كبرى لدي ميريت طوال الرواية. كيف كانت العلاقات ستختلف بين عائلة فوس إن كانوا أكثر أمانةً وانفتاحًا فيما بينهم؟
3. سمة أخرى سائدة هي المنظور. أخبر لاك ميريت أنه بعد أسبوعٍ واحدٍ فقط تمكن من القول أنها تعيش في نسختها الخاصة من الواقع. كيف حرَّف منظور ميريت الطريقة التي تتعامل وتحكم بها على نفسها وعلى الآخرين؟
4. قارنت ميريت نفسها باستمرار مع أختها التوءم أونور، فتخيلت نفسها شكلًا قاسيًا غير متسامح. كيف أثَّر ذلك على إحساسها بالهوية واحترام الذات؟ كيف أثر ذلك على علاقتها بأونور؟
5. بينما تعارَض إحساس ميريت بالهوية دائمًا مع أونور، فإن هوية يوتاه متجذرة بقوة فيما يعتقده الآخرون فيه. كيف أدَّى ذلك إلى ما فعل لميريت؟ وكيف أثر ذلك على سلوكه بعدها؟
6. تدفن ميريت مشاعرها في الداخل مثل قِدْر بغطاءٍ على وشك الغليان فتتناثر منه قطرات من الحقائق الحارقة بين الحين والآخر حتى تصبَّ في النهاية كل سرٍّ حارق في رسالتها.

لماذا من السهل عليها أن تكون صريحةً بشأن أسرار الآخرين بينما يصعُب عليها التعبير عن حقائقها الخاصة؟

7. «ليست كل غلطة تستحق أن يتبعها عواقب. أحيانًا الشيء الوحيد الذي تستحقه هو المغفرة.» فكر في الرسالة التي كتبتها ميريت وفي كل الأسرار والأخطاء التي كشفتها داخلها وبعدَها. هل توافق على ذلك؟ لماذا؟

8. قال ساجان لميريت، «تقبريني، وهي كلمة تصف الإحساس الكُلي بعدم المقدرة على الحياة من دون شخصٍ ما. وهذا سبب أن ترجمتها الحرفية هي «أنت تدفنني»، كيف فسرت ميريت تلك الكلمات؟ ما الذي يكشفه ذلك عن تصوُّرها لنفسها؟

9. انفتح لاك على صراعه مع الاكتئاب ومحاولته إنهاء حياته. قارن تجربته بتجربة ميريت. ما الذي قادهما للاعتقاد بأن الانتحار كان حلهما الوحيد؟ وأن غيابهما سيُقابل باللامبالاة؟

10. بينما تمرُّ ميريت على قائمة أعراض الاكتئاب (صفحات 265ـ266) أكدت أنها اختبرتها جميعًا. فكر واسترجع سلوك ميريت طوال الرواية وحدد أمثلةً على كل عرض. لماذا يتم تجاهل العديد من هذه الأعراض بسهولة من قبل البعض باعتبارها سلوكًا طبيعيًّا في سنِّ المراهقة؟ متى تصبح تلك الأعراض علامة على عدم اتزان عميق؟

11. على الرغم من الجهود المبذولة لزيادة الوعي حول الأمراض العقلية، فإن الصحة العقلية وعلاجها موصومان للغاية. كيف حاول لاك مساعدة ميريت أن تدرك أن معاناتها من المرض العقلي والبحث عن علاج لا يجعل منها مختلفةً عن أي شخصٍ آخر؟

12. في النهاية، لماذا كان مُهمًّا لبرنابي فوس أن يُقرر بأن الوقت قد حان لتذهب كل العائلة إلى العلاج النفسي؟ ماذا يعني هذا لميريت، وميريت بالتحديد؟

# عزز نادي الكتاب الخاص بك

1. إجرِ مناقشة مفتوحة وصادقة حول الصحة العقلية مع أعضاء نادي الكتاب الخاص بك أو في المنزل مع عائلتك وأصدقائك.
2. زر مواقع مثل SuicidePreventionLifeline.org والتحالف القومي للأمراض العقلية (NAMI.org) وProjectSemicolon.com وموقع لتكتب الحُب على ذراعَيها (twloha.com) لتتعلَّم المزيد وليظل الحوار مستمرًّا.
3. لتعرف المزيد عن كولين هوفر ولتتحقَّق من كُتبها الأخرى ولتعرف جولاتها، ولتتابعها وسائل التواصل الاجتماعي قم بزيارة موقعها ./http://www.colleenhoover.com

# عن المؤلفة

هي الكاتبة الأولى في قائمة نيويورك تايمز للأكثر مبيعًا. مؤلفة روايات: *Slammed*، *Point of Retreat*، *This Girl*، *Hopeless*، *Losing Hope*، *Finding Cinderella*، *Maybe Someday*، *Maybe Not*، *Ugly Love*، *November 9*، *Confess* و*It Ends with Us*.

فازت كولين بجائزة اختيارات جودريدز للرواية الرومانسية مرتَين عن رواية *Confess* 2015 ورواية *It Ends with Us* 2016. وتم تحويل *Confess* إلى مسلسل على الإنترنت من سبع حلقات. في 2015 قامت كولين وعائلتها بتأسيس مكتبة بوكوورم بوكس لبيع الكتب وخدمة اشتراك شهرية تعرض روايات موقَّعة يتبرع بها المؤلفون. كل الأرباح يتم توزيعها على مؤسسات خيرية متنوعة كل شهر لمساعدة المُحتاجين. تعيش كولين في تكساس مع زوجها وأبنائها الثلاثة. قم بزيارة: ColleenHoover.com.

# أعمال أخرى لكولين هوفر

*Slammed*

*Point of Retreat*

*This Girl*

*Hopeless*

*Losing Hope*

*Finding Cinderella*

*Maybe Someday*

*Ugly Love*

*Maybe Not*

*Confess*

*November 9*

*It Ends with Us*